
كتابي
٨ قروش
الزوج .. والعشيق !
وكتب أخرى
حلمي مراد

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

تاب الرابع والعشرون (السنة الثانيـة) : فبراير ١٩٥٤
شتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ ، و ٦٥٦٠٨

استفتاء جديد

ساهم فى وثبة ((كتابى)) الكبـرى

فى عامه الثـالث

عزيزى القارىء ...

◆ **بهذا** العدد يختتم « كتابى » عامه الثانى بحمد الله .. والعامان الا
من عمر المجلة كالعامين الاولين من عمر الطفل ، تتوقف عليهما الى حد
صحته و « بنيته » فى مستقبل حياته : فاما نشأ قويا صلب العود مكتمل الع
والقدرة على مواجهة الحياة واعبائها .. واما شب هزيلا ضعيفا معتل البدن ممرو
النفس - ان لم يعجز عن تخطى مرحلة الرضاع ومغالبة أمراض الطفولة فيقض
مأسوفا عليه ، لا قدر الله ..

وكتابى بحمد الله يتخطى اليوم عامه الثانى وقد بلغ فى نموه وبنيته قامة العمالقة ، واستطاع بفضل حبك الذى يعتز به أن يتقدم فى طريق الكمال خطوات واسعة ، فقـدم لك فى عامه المنصرم اعداده الثلاثة الممتازة الفاخرة ، كمـا قدم لك منذ أكتوبر المـاضى « ربيبته » الجـديدة (مطبوعات كتابى) ، التى تستهدف رسالة مغايرة ومكملة لرسالة كتابى ، هى تقديم طبعات عربية دقيقة الترجمة ، أنيقة الطباعة ، لاعظم الكتب الطويلة بنصها الكامل ، كيما تكون لنا ترجمة « معتمدة » لامهات المؤلفات العالمية ، القصصية وغير القصصية .. فانه من العار أن توجد فى جميع اللغات الحية ترجمة كاملة « لاخوة كارامازوف » أو « الجريمة والعقاب » مثلا ولا تكون لقراء العربية الا ترجمات شائهة مبتورة ، لا هى بالتلخيص الموجز المعترف بأنه تلخيص ، ولا هى بالنص الكامل « الرسمى »!

وثبة جديدة الى الامام

◆ **على** أن المكانة التى بلغها (كتابى) فى العالم العربى قاطبة ، والمنزلة التى أنزلته اياها فى قلبك ، لا تغريه - كما يفعل سواه - بأن يتوانى لحظة عن مواصلة كفاحه فى طريق الكمال الذى ينشده ، وتنشده له ، وانما هى على العكس تحفزه
على أن يضاعف حماسته كى يضرب أرقاما قياسية جديدة فى مبلـغ ا
وتعلقك به ، ويقدم لك أمثلة متوالية على مبلغ تفانيه فى ارضائك واشبا
الى الثقافة الرفيعة والقراءة النافعة والمتعة الذهنية الراقية .. فان أحدا
أن صحة الطفل المكتملة الناضرة تغرى ذويه بأن يهملوا فى رعايته .. و
الصحيح أنها تزيدهم حدبا على طفلهم وحرصا على مضاعفة نموه وقوته ..

**ومن ثم فقد صح عزم « كتابى » على أن يستهل عامه الثالث فى أول ما
المقبل باذن الله بوثبة جديدة كبرى سوف تلمسها بنفسك فى العدد القادم وج
الاعداد التى تليه .. واستكمالا لهذه الوثبة ، وحرصا منى على تحرى رغبا
وتحقيقها كاملة بعون الله ، رأيت أن أطرح عليك هذا الاستفتاء الجديد ، راجيا أ**

اونني به على أن يكون كتابى فى عامه الثالث ـ أضعاف ما كان فى عاميه الاولين ـ ى نموذجيا لميولك ونزعاتك ، ومثالا فريدا لمجلتك الشهرية المفضلة ..

الآن ، ما عليك الا أن تستعرض أمامك الاعداد الاربعة والعشرين السابقة من ، وتتصفحها من جديد على مهل .. ثم تجيبنى (فى خلال أسبوع على) بردودك على الاسئلة التالية جميعا :

ـ ماذا أعجبك وماذا لم يعجبك من أبواب كتابى التى تضمنتها اعداده مية ، وهذه الابواب هى : القصة المصرية ، القصة الممصرة ، روائع القصص ى، كنوز الكتب القديمة ، عظماء فى غير السياسة ، أنبياء الوطنية ، يرات النساء ، روائع المسرح العالمى (التمثيلى والغنائى) ، غوامض القصص بوليسى ، كتاب الشهر ، عباقرة الانسانية فى حياتهم الخاصة ، المحاكمات لكبرى فى الماضى والحاضر ، قصص التاريخ ومآسيه ، كتاب علم النفس **(عند الاجابة رتب الابواب السابقة حسب تفضيلك لكل منها وسبقك الى قراءته .. أو ضع لكل باب درجة من عشرة (٨ من ١٠ مثلا أو ٥ من ١٠ ..الخ)**

٢ ـ لما كان العدد الواحد من كتابى لا يتسع بطبيعة الحال لكل هذه الابواب مجتمعة ، فما هى الابواب التى تقترح أن تظهر فى كل عدد بانتظام ، والابواب التى ترى أن تظهر بالتناوب بين الحين والآخر ، والابواب التى تفضل الاستغناء عنها نهائيا ، والابواب التى تستحسن اضافتها ؟

٣ ـ **اذكر مثالين أو أكثر** للموضوعات التى أعجبتك من بين ما نشر فى كل باب من الابواب فى الاربعة والعشرين عددا

٤ ـ يقترح البعض أن يتوسع كتابى فى تلخيص كل كتاب من كتبه ، ولو أدى الامر الى الاقلال من عدد الكتب التى يتضمنها كل عدد ، أى أن تكون خمسة كتب مثلا ، كل منها فى ثلاثين أو أربعين صفحة ، بدلا من ثمانية كتب فى نحو عشرين صفحة .. **فأى الاقتراحين تفضل ؟**

٥ ـ ما رأيك فى الابواب القصيرة التى دأب كتابى على نشرها بين أبوابه الكبرى فى الفترة بين العدد العاشر والسادس عشر (والتى توقفت الى حين لظروف مؤقتة) .. **هل ترى العودة اليها أم العدول عنها ؟ وما أفضل تلك الابواب القصيرة فى نظرك ؟**

٦ ـ كم عددا ممتازا تحب أن يصدر كتابى فى العام ، وما رأيك فى الصور ...ات الداخلية التى تتضمنها الاعداد الممتازة على ورق (كوشيه) فاخر ... ى الاستمرار فيها أو الاستعاضة عنها بزيادة فى عدد الصفحات العادية .. الخ

الا رسل الى مشكورا باجابتك على هذه الاسئلة جميعا فى خلال أسبوع على كثر ، تساهم فى مسايرة كتابى لرغباتك وآمالك .. وسيمنح كل من الخمسة حاب الردود الاقرب الى رأى الاغلبية اشتراكا مجانيا فى كتابى ومطبوعات ابى لمدة عام ..

والله ولى التوفيق

حلمي مراد

كتابى

أعداد نفدت

كتابى الاول :	« خطايا الحب »	وكتب	اخرى	مارس ١٩٥٢
كتابى الثانى :	« قلب عذراء »	«	«	ابريل «
كتابى الثالث :	« الهاربة من الجنة »	«	«	مايو «
كتابى الرابع :	« حواء الجديدة »	«	«	يونية «
كتابى السادس :	« جريمة حب »	«	«	اغسطس «

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى الخامس «**احدب نوتردام**» ، والسابع «**عشيقة نابليون**» ، والثامن «**مذكرات كيوبيد**» ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر «**عندما تحقد المراة**» ، والثانى عشر «**لعبة الحب والموت**» ، والثالث عشر «**توبة خاطئة**» ، والرابع عشر «**ايها الربيع ترفق**» ، والخامس عشر «**الشيطان على الارض**» ، والسادس عشر «**ليدى هاملتون**» ،والسابع عشر «**الارملة المرحة**» والثامن عشر «**حياة جورج صاند**» ، والتاسع عشر «**حياة سارة برنار**» ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالثوالعشرون « **كوخ العم توم** »

◆ وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، و١٦ ، وثمن كل منهما بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرون وثمنه عشرون قرشا (تحديدا للطلبات نظرا لوشك نفاده وعدم امكان اعادة طبعه)

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد **MONEY ORDER** ، ولا تقبل العملة الاجنبية او أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشتراكات

◆ وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا - وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة

◆ قيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٠٠ قرش ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٥٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى ١١٠ قروش (عن سنة) و٦٠ قرشا (عن نصف سنة) - أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات في بيروت وفي بغداد (بشارع السنك ، بغداد)



قصة مصرية : للمحرر

الرد خالص!

- ١ -

◆ **جلست** تداعب كلبها الابيض الصغير ، وجلس هو الى جوارها يداعب بمنديله حبات العرق المتساقطة من وجهه ..

كان كلاهما ينتظر القطار الذى يقله من محطة «كوبرى الليمون» الى منزله ..

وجمع بينهما ملل الانتظار ، وخفة الكلب الجميل الذى مرق من بين يديها فقفز الى جانبه ومضى يحييه على طريقته الخاصة .. بنهش ملابسه !

انتهرته صاحبته ، دون جدوى .. فلم تر بدا من أخذه بين ذراعيها والاعتذار الى جارها بكلمات رقيقة موجزة ، كانت كافية لان تطلق لسانه برد لبق..وعندما أقبل القطار الذى سيركباه، كان قد عرف اسم كلبها « نوسى » .. وعرفت هى ان الجو حار !!

سارا معا متجهين نحو القطار ، وكل منهما ينوى أن يحتل مقعدا فى عربة الدرجة الاولى ، متناسيين « أبونيهى السكندو » اللذين يدفئان جيبه وحقيبتها .. !

وفى القطار جلسا فى مقعدين متقابلين .. قدم لها أقراص النعناع ، فتناولت منهاشاكرة.. وانقضت فترة صمت أنهاها هو بكلمة أبدى فيها اعجابه « بالبارفان » الذى ينبعث منها فيعطر مزاجه ، متسائلا عن نوع الزهرة التى قطر منها العطر.. فأجابت فى اقتضاب : « لا فاند »

ثم تطرق به الاعجاب الى .. لون عينيها الفاحم .. فشعرها المتهدل الجميل .. فأنفها الدقيق.. ففمها القرمزى ، الذى خلق ليرشق بالقبل .. !

٠٠ وازاء اصراره ، تشعبت بينهما الاحاديث ٠٠ وتبودلت، بعد حين ، الضحكات ٠٠ يطلقها هو قصيرة خافتة ، وتهمس هي بها رقيقة واهنة ، ثم تقطعها بالضـــغط على شفتيها في هدوء ٠٠

وحين مر القطار على الحدائق الجميلة التى تترامى عند أعتاب الطريق ، ذكرته أشجار السرو العالية بما رآه فى احدى ضواحى أثينا ٠٠ وذكرتها برحلتها القصيرة الى بور توفيق ٠٠

ونبتت فى ذهن كليهما فكرة كافية عن الآخر : عـــرفت منه أنه مهنـــدس باحدى شركات البنـــاء التى احتكرت مبانى بعض المناطق بالزمالك ، وانه يعيش وحيدا فى مسكن صغير باحدى عمارات المطرية ٠٠ وعرف هو منها انها تقطن مع والدتها واخواتها « فيلا » كبيرة خلفها والدها للاسرة قرب محطة « عين شمس » ٠٠

وأما هو فيميل الى لون ثوبها « السيكلامان » الفاتح ، ويفضل من كواكب السينما «ريتا هيوارث» ٠٠

٠٠ وهى، تحب من الالوان الازرق القاتم ، ومن الممثلين « تيرون باور » ٠٠

وبعد الحاح منه اتفقا على حضور فيلم «محايد» لنجـــوم آخرين ٠٠ !

وقبل أن يفترقا كانت الكلفة بينهما قد زالت ٠٠ وغادر « رشدى » القطار فى المطرية تاركا « رئيفة » تواصل رحلتها الى عين شمس ٠٠

وفى القطار العائد الى كوبرى الليمون بعد نصف ساعة جلس كل منهما فى احدى عربات الدرجة «الثانية» فى الطريق الى بيتيهما : هو فى الزيتون ، وهى فى كوبرى القبة ٠٠ !

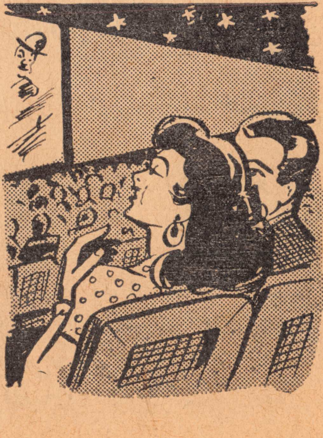
وكان من حسن الحظ أن لم يلتقيا ٠٠ !

وحين وصل الى منزله ، واستقبله كلب الجيران بالنباح ، لم يزجره كعادته ٠٠ بل غالى فى ملاطفته ٠٠ فقد أحس لاول مرة بفوائد الكلاب !!

- ٢ -

◆ **يالعبث** الرجال ٠٠ يعمد الواحد منهم الى اغراء المرأة والتماس رفقتها فى الملاهى والنزهات كى يقضى معها وقتا طيبا، ويغرق فى حنانها ما بنفسه من الضيق والسأم ، غير عابىء بما يكون من أمرها حين يتركها ـ وقد استطالت فى التعريض بها الالسنة ـ ليتزوج من احدى «بنات البيوتات» ، مسكتا ضميره بالادعاء ان كرامته تأبى عليه الزواج من فتاة سمحت له أن يتعرف بها ٠٠ فى الطريق!

وهكذا ما كانت العلاقة التى أغرى رشدى الفتاة على الرضا بها لتحتمل فى عرفه أن تنتهى الى زواج !٠٠ لكنه حين أوى الى فراشه عصر ذلك اليوم كان يمنى نفسه باللحظات السعيدة التى سيقضيها مع فتاته ، يتسامران ويضحكان ٠٠ حتى تحن الشفاه الى الشفاه ، فيغوص العفاف الى بطون الاقدام ، لتطفو القلوب النشوى فوق الرؤوس التى أسكرها اللهو وأطاح بها الاستهتار ٠٠



وفى المساء التقيا فى احدى حدائق السينما الصيفية، وكانت تعرض فيلما هزليا ممتازا ، أشفق النظارة على بطلته التى

نكبها الدهر بعودة زوجها الذى حسبته قد مات ، بعد أن تزوجت من صديق له ٠٠ فحيرتها المفاضلة بين «زوجيها»!!

ضحكت رئيفة ، وأطاحت برأسها الى الوراء فى بساطة مرحة ٠٠ أما هو فلم يضحك ، لانه كان أبعد ما يكون عن الشاشة، لا يرى الا بشرة وجهها الناصعة ٠٠ ولا يحس الا بذلك الاحساس الغريب الذى شمل كيانه كله حين تطاير شعرها المتماوج الطويل فلمس عنقه لمسة خفيفة لينة !

وعند القطار افترقا فى ذلك المساء ليلتقيا فى أمسيات تالية عديدة ، لم يبخلا فيها بخلواتهما على مكان ٠٠ وفى كل مرة كانت تقترح عليه أن يفترقا هكذا فى كوبرى الليمون ، « لئلا يراها أحد بصحبته » ٠٠ فكان هو يوافقها على الفور ، كى لا تتكرر مأساة الوصول الى المطرية والعودة فى القطار التالى الى الزيتون !

٠٠ وهو لا يدرى انها قد تورطت يوم ذكرت « عين شمس » كما تورط هو ، رغبة منها فى اطالة الطريق، وافساح الفرصة للتعارف ٠٠ والتواعد على لقاء !

- ٣ -

٠٠ **وبدأ** يحس مع مرور الايام بالشوق يلهب كيانه، الشوق الى امتلاك هذه المخلوقة الناعمة، التى تبعث الرجفة والنشوة فى بدنه كلما تلامسا ، عفوا أو عن قصد مستور ٠٠ وهو الذى ألف تلك اللمسات والخلوات من قبل ، فلم يعهد فى نفسه يوما أدنى تردد أو اجفال !

٠٠ وبدأت عيناها هى تسيلان رقة وحنانا ، ونظراتها تزداد ليونة وشرودا ٠٠ كان من الواضح أن عاطفة قوية قد قيدتهما، فلم يعد هو يستطيع منها فرارا، ولم يرد لها ضعفها منها فكاكا ٠٠



فآثر كل منهما ـ وقد لمس فى نفسه حائلا خفى على الآخر يباعد بينه وبين صاحبه ـ أن ينطوى على روحه يغـالبها فى سكون ..

وفى خلوة حالمة فى المعادى، فى ذلك الكازينو المطل على النيل ، جلسا ذات أمسية متلاصقين ، صامتين، يرقبان ماءه الاسمر العذب ينساب هكذا فى عروق الاجيال، فى هدوء .. وسخاء .. ومن بعيد ، حمل اليهما الهواء أصوات الصيادين وقد جلسوا فى قاربهم يرددون برنتهم الفطرية الرخيمة أغنية عبد الوهاب القديمة العذبة :

امتى الزمان يسمح ياجميل
واسهر معاك على شط النيل
القمـر طالل علينا
والعذول غاب عـن عنينـا
والدنيا كلها حاسـدانا
والنسمة كانت حـيرانه
والمـوج بيحكى حـكاية
للشـط ما لهـا نهاية
ياهـل ترى يازمـانى
حاسهر مع الحـلو تانى
وأسهر معاك ولا فيش عذول
وأسمع غناك والليل يطول

وأنا والجميل قاعـــدين
سـوا على شط النيـــل

٠٠ ثم خفتت أصواتهم ، وابتعد قاربهم فى الظلام ، تاركا العاشقين يصارعان فى قلبيهما الامواج التى انحسرت عنهـا غمرة الخيال ٠٠

٠٠ وانحنى على خدها ، فأجفلت قليلا ، ولكنها لم تمانع ٠٠ ومضيا يتراشفان بالقبل ، حارة شهية ، حتى عادا الى نفسيهما فغادرا المكان ٠٠

وفى بيته ارتمى هو على الفراش مسهدا ، يتنازعه الحنين اليها ٠٠ والاشفاق من أن يدنس محرابها ٠٠

٠٠ وفى الصباح كان قد اعتزم الابتعاد عن طريقها مهما كلفه الامر !

وعندما وضع سماعة التليفون ، قبل أن يسمع ردها ، كان قد صارحها بحذره من التمادى فى العلاقات بينهما ، معتذرا عن الزواج بأنه ٠٠ ليس أهلا لها !

وأحس براحة خفية ، فقد كان مخلصا فى قوله ٠٠ !

*

◆ **ومضت** أيام ، خرجت بعدها رئيفة مع صديقة لها كانت تنوى السفر الى الخارج للحاق بزوجها الذى أرسلته الحكومة فى بعثة دراسية ، كى تقضى معه شهرا فى أوربا قبل عودته٠٠

واقترحت عليها الصديقة أن يمرا على أحد مكاتب السياحة التى ازدحم بها شارع عبد الخالق ثروت ، فدخلاه ٠٠ وطلبت الزوجة بعض الاستعلامات من الموظف المختص ٠٠ ولكنه لم يعبأ بطلبها ، بل ظل يحدق فى زميلتها رئيفة !

٠٠ تحولت اليها الصديقة لترى ما دهاه ، فرأتها هى الاخرى تحدق فيه ، وابتسامة تتلاعب على شفتيها ٠٠ انها تود أن

تصارحه بأمر يهمه ، لكنها تسكت على مضض والخجل يمسح ابتسامتها !

واستدار رشدى بعد لحظة ليلبى طلب الزوجة المسافرة ، فلمحت هذه على وجهه ٠٠ حبات من العرق !

وحين خرج من مكتب السياحة بعد برهة ، أحس بألسنة الهواء تمتد نحوه لاذعة ساخرة ٠٠

❊

◆ **ومضى** صاحبنا فى اليوم التالى الى أحد محال الروائح العطرية فى شارع قصر النيل ليبتاع زجاجة من «البارفان» الذى تتعطر به فاتنته ، علّه يعالج الشوق الذى أضناه ٠٠

لكنه لم يكد يتقدم فى داخل المحل خطوة حتى توقف فى مكانه وكأن الارض قد شلت قدميه ٠٠ فان البائعة لم تكن غريبة عنه !

اذن فهى ليست من وارثات عين شمس !

وهو ٠٠ ليس من مهندسى شركة المبانى !

وكان لقاؤهما التالى على مرأى ومسمع من المأذون والشهود !

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء: جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج: اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله: روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين: سنكليرلويس
- الشيطان على الارض :
- رسالة من مجهولة : زفايج
- الحب الاول : ترجنيف
- بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- تاييس : أناتول فرانس

برتراند رسل

- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه القصة الساخرة الممتعة : الزوج والعشيق !

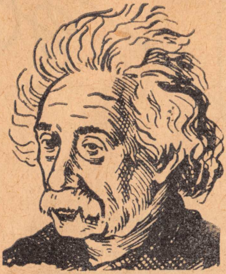
الحياة قصة



روائع القصص العالمى



لينين



اينشتين

كل هـؤلاء

وأكثر من عشرين
شخصيةعالمية أخرى
من القدماء والمحدثين
كتب قصص حياتهم
بأسلوبه الشائق

الكاتب العالمى

ديل
كارنيجى

فى كتاب واحد
طويل تقدمه اليك
بنصه الكامل



لورد بيرون



موزار

مطبوعات
كتابى

فى عددها الثالث
الفاخر
ترقب الاعلانات عن
موعد صدوره قريبا



الامبراطورة جوزفين



غاندى

أروع وأمتع من «قصة مدينتين» و «ذات الثوب الابيض»



سومرست موم

الزوج.. والعشيق!

المؤلف

(١٨٧٤ ـ ٠٠٠٠)



◆ ولد « وليم سومرست موم » منذ ثمانين عاما فى باريس ، حيث كان والده « روبرت اورموند موم » يعمل مستشارا قانونيا للسفارة البريطانية بها .. ثم ماتت أمه بالسل وهو فى الثامنة ، ولحق بها أبوه فى العام التالى..فانتقل الصبى الى أهله فى لندن حيث التحق بمدرسة الملك فى (كنتربرى) ، ثم بكلية الطب التابعة لجامعة هيدلبرج فى سنة ١٨٩٢ .. وبعد تخرجه قضى مدة التمرين العملى فى مستشفى سانت توماس المشهور

لكن موم كان وهو يدرس الطب يهوى الادب ، فخرج من تجاربه فى الاختلاط بالمرضى فى أحقر أحياء لندن بقصته الاولى « ليزا غادة حى لامبث » ، وكان فى الثالثة والعشرين .. ثم مارس هوايته المفضلة أحد عشر عاما ، عاشها فقيرا مغمورا ، حتى مثلت رواية له على المسرح سنة ١٩٠٧ ، فلاقت من النجاح ما أغرى المخرجين بالتهافت على تقديم مسرحياته السابقة للجمهور .. لكن موم أصيب بالسل سنة ١٩١٥ ، فانتقل الى سويسرا طلبا للعلاج ، وهناك استعان على كسب معاشه بالعمل فى قلم المخابرات السرية البريطانية حتى وضعت الحرب الكبرى الاولى أوزارها .. وبعدها أصيب بانهيار عصبى ، فسافر ليستشفى منه فى بحار الجنوب ، وعاد من رحلته مزودا بمادة لعشرات القصص التى كتبها بعد ذلك عن الحياة فى تلك الاصقاع..

واستأنف موم عمله فى التجسس على الروس لحساب وطنه ، وحين عاد من روسيا نصحه الاطباء بالاستشفاء فى مصحة باسكتلندا لمدة عامين ، خرج بعدهما ليستأنف الكتابة طيلة الثلاثين سنة الاخيرة .. وهو يعتبر اليوم أشهر روائى معاصر فى انجلترا ، بعد أن مات زملاؤه السابقون « ويلز » و « ارنولد بنيت » و « جون جالزورثى » .. ومن أشهر مؤلفاته : اغلال الحب ، القمر وستة بنسات ، القناع الملون ، الكعك والجعة ، شجرة الجزورينا ، حد الموسى .. ومن مسرحياته : أرض الموعد ، كاردولينا ، زوجة قيصر ، شرقى السويس ، ظهر الجمل ، الزوجة الدائمة ، الخطاب ، المطر..فضلا عن مجموعة كبيرة من القصص القصيرة

- ١ -

◆ **لست** أجزم بصدق هذه القصة ، لكنهـا رويت لى بلسان أستاذ للادب الفرنسى باحدى الجامعـات الانجليزية ، وكان رجلا ذا شخصية وقورة وخلق عال ، أستبعد معهما أن يرويها لى ما لم يكن واثقا من صحتها ..

وكان من عادة محدثى هذا أن يلفت انتباه طلبته الى ثلاثة من الكتاب الفرنسيين يجمعون فى رأيه الصفات التى هى خصائص الخلق الفرنسى ، بحيث يسـتطيع من يقرأهم أن يعرف عن الفرنسيين الكثير .. بل كان يقـول انه لو ملك النفوذ والسلطان لما سمح لساسة الانجليز الذين تقتضيهـم مناصبهم أن يتعـاملوا مع الشعب الفرنسى أو حكومته بأن يدخلوا مكاتبهم قبل أن يجتازوا امتحانا عسيرا فى مؤلفـات أولئك الكتاب الثلاثة !

فأما هؤلاء الثلاثة فهم « رابليـه » .. و « لافونتين » .. و « كورنى » .. والثالث هو مؤلف القصة الرائعة « باناش » .. وهى كلمة معناها – فى القاموس – « الريشـة » التى يضعها الفارس المسلح على خوذته . أما معناها المجازى فهو خليط من الوقار والشجاعة الكاذبة .. من البطولة والمظهر الخادع .. من العزة والتفـاخر الزائف !.. وقـد كانت « باناش » التى جعلت نبلاء الفرنسيين فى « فونتنوى » يقولون لضباط الملك جورج الثانى : « أطلقوا النار أولا أيها السادة!» .. وكانت « باناش » التى انتزعت من شفتى القائد«كومبرون» فى معركة واترلو هذه العبارة الخالدة : « الحرس يمـوت ولكنه لا يسلم ! » .. وكانت « باناش » ذاتهـا التى دفعت

شاعرا فرنسيا معدما منح جائزة نوبل الى أن يتنازل عن قيمتها الضخمة بحركة ترفع رائعة !

ومحدثي ، أستاذ الادب الفرنسي ، ليس بالرجل المستهتر .. ومن رأيه أن القصة التى أرويها نقلا عنه قد جمعت بوضوح تام خصائص الفرنسيين الثلاث الرئيسية ، بحيث يمكن القول أن لها قيمة ثقافية رفيعة .. كما سترى :

*

◆ **كانت** « ليزيت » ـ بطلة القصة ـ فرنسية .. وكانت تقضى ساعات عديدة كل يوم ـ من أيام عملهـــا ـ فى ارتداء الثياب وخلعها فى مؤسسة من أغلى مؤسسات باريس أسعارا وأكثرها شهرة بالاناقة .. وهو عمل ممتع ولا شك بالنسبة لفتاة تعلم عن يقين ، وتحس ، أن لها وجها جميلا !

وبالاختصار كانت ليزيت عارضة أزياء أو « مانيكان » !

وكان قوامها من الطول بحيث يسمح لها بأن ترتدى الاثواب ذات الذيول الجرارة ، وتبدو فيها أنيقة .. وردفاهـــا من الرشاقة بحيث يسمحان لها بأن ترتدى الازياء الرياضيـــة ، فتبعث الى خياشيمك رائحة نبـــات « الخلنج » !.. وكانت ساقاها الطويلتان تمكناها من ارتداء « البيجاما » والتجلى فيها .. وخصرها النحيل ونهداها الصغيران يظهران أبسط لباس حمام فى مظهر التحفة الرائعة .. أو بعبارة أخرى كانت ليزيت تستطيع أن ترتدى .. أى شىء !

أما طريقتها فى « الغندرة » وهى مرتدية فراء «الشنتشيلا» فكانت تقنع أكثر الناس تعقلا بأن الشنشيللا تستحق ثمنها الغـــالى دون تردد !.. وهكذا كانت النسوة البـــدينات ، والمترهلات ، والقصيرات ، والنحيفات ، والقبيحات، والعجائز، وذوات الجسم الذى لا شكل له ، يجلسن فى مقـــاعد المكان الوثيرة .. ولأن ليزيت كانت تبدو عذبة رائعة ، كن يبتعن هن الثياب التى تناسبها وحدها !

وكانت لها عينان واسعتان فى لون البن ، وفم كبير أحمر، وذقن رائعة رشقت بقليل من النمش ٠٠ وكان عسيرا عليها أن تتخذ ذلك المسلك المتعالى البارد الكئيب الذى ينم عن عدم المبالاة ، الذى يكاد يبدو ضرورة حتمية لعارضة الازياء وهى تختال أمام الزائرين بخطى متأنية وتستدير ببطء نحو هذه الجهة وتلك ثم تخرج من الباب الآخر وهى تلقى على الكون نظرة احتقار شبيهة بنظرة الجمل !٠٠ وانما كانت ليزيت تغمز بعينيها ، وشفتاها الحمراوان توشكان أن ترتجفا بحيث لا يحوجهما الامر الا لاستفزاز بسيط كى تنفرجا عن ابتسامة مضيئة ٠٠

وقد كانت غمزة من غمزات عينها هذه ٠٠ التى لفتت اليها انتباه مسيو ريموند لوسيور ٠٠!

كان جالسا فى مقعد فاخر من طراز لويس السادس عشر الى جوار زوجته التى أغرته بالحضور معها لرؤية المعرض الخاص لازياء الربيع ، وكان ذلك دليلا على طبيعة مسيو لوسيور الودودة وطيبة قلبه ! فقد كان رجلا ذا مشاغل كثيرة أهم بكثير من الجلوس بلا حراك مدة ساعة من الزمان للتحديق فى «دستة» من الحسان الفاتنات يستعرضن أنفسهن أمامه مرتديات « تشكيلة » عجيبة محيرة من الاثواب الجميلة ٠٠



وما كان هو ليعتقد أن ثوبا من تلك الثياب يمكن أن يجعل زوجته غير من هى ٠٠ وكانت هى امرأة فى الخمسين طويلة

القامة نحيلة الجسم ذات قسمات أكبر من الحجم المألوف ٠ **ولم يكن قد تزوجها اعجابا بجمالها ، ولا دار بخلدها هي يوما ما - حتى في الايام الاولى المحمومة من شهر العسل - أنه قد فعل !٠٠ وانما تزوجها بغية أن يضم مصانع الصلب المزدهرة التى ورثتها عن أبيها الى مصانع القاطرات التى لا تقل عنها ازدهارا ، التى يملكها هو !**

وكان زواجهما ناجحا ٠٠ أنجبت الزوجة له ابنا يلعب التنس كأحد محترفيه ، ويرقص فيجيد الرقص مثل البهلوان ، ويلعب البريدج مع أى خبير من لاعبيه فيكون ندا له !٠٠ ثم أنجبت له بنتا استطاع أن يزودها بمهر يكفى لان يزوجها من أمير !٠٠ ومن ثم كان للرجل أن يفخر بنسله بحق ٠٠

وبالمثابرة ، وقدر معقول من الاستقامة ، استطاع مسيو لوسيور أن يضاعف ثراءه الى حد كفل له الاشراف على مصنع لتكرير البترول وشركة لانتاج الافلام السينمائية ، ومؤسسة لصناعة السيارات ، وجريدة يومية ٠٠ **وأخيرا استطاع أن ينفق من المال قدرا كان كافيا لاقناع الناخبين « الاحرار ذوى الارادة المستقلة » بأن يرسلوه الى مجلس الشيوخ عضوا يمثل دائرتهم !**

وكان صاحبنا رجلا وقورا ، بدين الجسم ، أحمر البشرة ، ذا لحية صغيرة نظيفة غبراء اللون ٠٠ ورأس أصلع ٠٠ وكرة من الشحم فى مؤخر عنقه ٠ ولم تكن فى حاجة الى أن تتأمل الزر الاحمر الذى يحلى سترته السوداء كى تحكم بأنه رجل ذو حيثية ! وكان بطبيعته سريع الحسم فى الامور ، يقر قراره على الشىء دون تردد طويل ٠٠ فلما خرج وزوجته من معرض الازياء ، وقالت هى انها ذاهبة لتلعب البريدج فى النادى ، تركها زاعما أنه يبغى التريض على قدميه حتى مجلس الشيوخ ٠٠ حيث واجبه نحو وطنه يناديه !

لكنه لم يذهب فى رياضته الى ذلك الحد ٠٠ بل قنع بأن يقصرها على الانحراف الى شارع جانبى قدر أن عارضات الازياء الفاتنات سوف يسلكنه عند خروجهن من مؤسستهن بعد انتهاء ساعات العمل ٠٠ وهناك أخذ يذرع الطريق ذهابا وجيئة ، ونظره لا يبرح الباب الخلفى للمؤسسة !

وبعد انقضاء نحو ربع ساعة ، لمح سربا من النساء يمرق من الباب ٠٠ كان بعضهن فى طور الشباب ، وعلى قدر كبير من الجمال ٠٠ والبعض الآخر قد خلفن طور الشباب منذ زمن قريب أو بعيد ، وحرمن من الجمال حرمانا متفاوت الدرجات ٠٠ وأدرك صاحبنا أن اللحظة التى طال ارتقابها قد حانت ، وفعلا لم تمض لحظات حتى برزت «ليزيت» بدورها من الباب !

وكان « الشيخ المحترم» يدرك جيدا أن مظهره وسنه يجعلان من غير المحتمل أن تنجذب اليه الحسان من أول وهلة ٠٠ لكنه كان يدرك أيضا أن ثراءه ومركزه يرجحان كفة الميزان ضد هذه النقائص !

وكانت بصحبة ليزيت فتاة أخرى ربما كانت تعوق خطى رجل يقل عنه فى الاهمية ، أما « الشيخ المحترم » فلم يجد فى هذه الاخرى ما يعوق خطاه لحظة واحدة ٠٠ ومن ثم حزم أمره واتجه الى الاولى رأسا ، ثم رفع قبعته فى أدب ٠٠ ولكن ليس الى الدرجة التى تكشف صلع رأسه ، وحياها قائلا وهو يبتسم ابتسامة تودد : « طابت ليلتك يا آنسة »

رمقته ليزيت بنظرة سريعة ـ أسرع نظرة فى وسعها أن تنظرها لانسان ـ وللفور غاضت من شفتيها الحمراوين الممتلئتين ابتسامة كانت فى طريقها اليهما ٠٠ ثم أدارت رأسها بعيدا وتشاغلت بالحديث مع صاحبتها، وهى تغذ السير فى هيئة من لا تلقى الى الرجال بالا على الاطلاق !

لكن « الشيخ المحترم » لم يرتبك أو يفاجأ ، بل استدار وتبع الفتاتين ، تاركا بينه وبينهما بضع خطوات ، حتى بلغا نهاية الشارع الجانبى فدلفا الى الطريق العمومى ٠٠ وفى ميدان « المادلين » استقلتا احدى سيارات الاتوبيس !

*

وقنع صاحبنا ـ مبدئيا ـ بهذه النتيجة ٠٠ فلقد خرج منها بعدة استنتاجات هامة : **أولها** أن ليس للفتاة صديق من الرجال ، ما دامت تعود الى بيتها بصحبة زميلتها ٠٠ **وثانيها** أنها متحفظة ومتواضعة وحسنة السلوك ، ما دامت قدأعرضت عنه حين اعترض طريقها ٠٠ وكلها صفات يحب لوسيور أن تتحلى بها الفتيات « الجميلات » !

وثالث استنتاج أن الفتاة فقيرة ـ ومن ثم عفيفة ! ـ كما يتضح من منظر ثوبها ، وقبعتها السوداء البسيطة ، وجوربيها ٠٠ وان بدت فى هذه كلها جذابة فاتنة مثلها فى الازياءالفاخرة التى رآها ترتديها فى داخل المعرض !

وأحس الشيخ المحترم بشعور غريب لطيف يتخطف قلبه ، شعور خاص ـ ممتع وموجع فى آن معا ! ـ وهو شعور لم يعد له عهد به منذ زمن بعيد ٠٠ لكنه تعرف عليه من فوره ، فغمغم منتشيا : « تا الله ٠٠ انه الحب ! » ٠٠ ولم يكن يدور بخلده أنه سيذوقه مرة أخرى ـ بعد أن بلغ هذه السن ـ فلما دغدغته بوادره انتصب فى مشيته وسار بخطى الواثق من نفسه ٠٠ اتجه الى مكتب أحد رجال البوليس السرى الخاص ، وهناك طلب اجراء التحريات اللازمة عن الفتاة ، بعد أن أدلى باسمها وأوصافها ومكان عملها ، وسائر البيانات التى فى حوزته ٠ وهنا تذكر أن مجلس الشيوخ يتناقش فى تلك الساعة فى « الدين المستحق لامريكا » ، فاستقل سيارة أجرة الى دار المجلس ، ثم قصد مباشرة الى قاعة المكتبة ـ حيث كان له مقعد

وثير مختار يحب الجلوس فيه ـ ولم يلبث أن استسلم فى أحضانه الى اغفاءة عذبة !

- ٢ -

◆ **ووصلته** المعلومات التى طلبها عن الفتاة بعد ثلاثة أيام : علم منها أن الآنسة « ليزيت لاريون » تعيش مع عمتها الارملة فى مسكن من حجرتين يقع فى حى « باتينيول » ٠٠ وأن أباها، وهو بطل من جرحى الحرب العظمى ، يملك متجرا للدخان فى بلدة صغيرة من بلاد جنوب غرب فرنسا ٠٠ وأن أجرة مسكن الفتاة الفا فرنك ٠٠ وأما عن شخصها فهى تحيا حياة منتظمة ـ وان كانت تكثر من التردد على دور السينما ـ ولا يعرف أن لها عشيقا ٠٠ وسنها تسعة عشر عاما ٠٠ وهى محبوبة من زميلاتها فى العمل ، مشهود لها بأطيب شهادة من حارسة المنزل !

وأمام هذه البيانات التى تجمع على امتداح الفتاة ، رأى صاحبنا فيها أنسب من تصلح لشغل أوقات فراغ رجل فى أمس الحاجة الى الراحة من شئون الدولة ومتاعب عمله المرهق المتشعب ٠٠!

ولا داعى لسرد الخطوات التى اتخذها مسيو لوسيور كى يصل الى غايته سردا تفصيليا ٠٠ فقد كان شخصه أكثر « أهمية » وانشغالا بأعماله من أن يضيع وقته فى تولى المسألة بنفسه ! وانما كان له سكرتير خاص أظهر براعة فى معاملة الناخبين المترددين فى اختيار الجانب الذى يعطونه أصواتهم ٠٠ وهو لا بد يستطيع بنفس البراعة أن يضع أمام بصر الفتاة العفيفة الفقيرة قائمة الامتيازات والفوائد التى فى وسعها أن تحصل عليها لو كان من حظها أن تظفر بصداقة رجل مثل مخدومه !

وهكذا بدأ السكرتير الهمام بأن قام بزيارة العمة الارملة (وتدعى مدام سالادان) فى بيتها وأفهمها أن مسيو لوسيور - الذى يتمشى دائما مع روح العصر - قد بدأ يوجه اهتمامه فى الايام الاخيرة الى صناعة السينما ، ويوشك أن يشرع فى انتاج فيلم جديد ٠٠ ولما كان قد أعجب بمظهر الآنسة ليزيت حين رآها فى معرض الازياء ، وبأناقتها التى تلفت النظر ، بحيث دار بخاطره أنها قد تصلح لتأدية دور احدى شخصيات الرواية الرئيسية ٠٠ **فقد كلف سكرتيره - المتحدث - بدعوة مدام سالادان وابنة أخيها الى تناول العشاء معه ، للتعارف والنظر فى مدى صلاحية الآنسة ليزيت للشاشة !**

فلما فرغ السكرتير من شرح وجهة نظر رئيسه أجابته العمة بأنها سوف تعرض الامر على ابنة أخيها ، وان كانت ترى من جانبها أن الاقتراح معقول ومقبول ٠ لكنها لم تكد تفاتح الفتاة فى الامر ، وتفيض فى وصف مركز الداعى ومرتبته « وأهميته » ، حتى أجابتها ليزيت فى لهجة احتقار وهى تهز كتفيها :

- تعنين ذلك البدين الهرم ؟

-وماذا يعنينا من شكله اذا أعطاك دورا فى الفيلم ؟

- أشك فى ذلك ٠٠

- على أية حال لن نخسر شيئا باجابة دعوته الى ذلك العشاء الفاخر ٠٠ ثم أنك لم تعودى طفلة !

- أين قال انه يدعونا للعشاء ؟

- فى « قصر مدريد » ، أغلى مطعم فى العالم!

ما معنى الرفض ؟ الطعام شهى ، والمكان مشهور ، وموقعه الممتاز يجعله خير بقعة ساحرة يتناول الانسان فيها عشاءه فى ليلة ندية من ليالى الصيف الباكر ٠٠!

وظهرت على خد ليزيت « غمازة » جذابة ، وعلى شفتيها

الحمراوين ابتسامة عذبة ـ يا لجمال أسنانها ! ـ وغمغمت كالحالمة :

ـ فى وسعى أن أقترض ثوبا مناسبا من المعرض !

*

◆ وفى الليلة الموعودة حمل السكرتير النشيط ضيفتى مخدومه فى سيارة من سيارات الاجرة الى غاب بولونيا ٠٠ بدت ليزيت رائعة فى ثوبها الذى انتقته من بين أبدع أزياء المعرض ، كما بدت عمتها وقورة محترمة فى ثوبها « الساتان » الاسود وقبعتها التى صنعتها ليزيت خصيصا للمناسبة ! وقدم السكرتير المرأتين الى مسيو لوسيور ، الذى حياهما بوقار السياسى الذى ينحنى احتراما لزوجة ناخب ممتاز وابنته !٠٠ وكان هذا بالضبط ما يتوقع ويحب أن يدخل فى روع كل من يعرف شخصيته من رواد المطعم الانيق فى تلك الليلة ٠٠

وانتهت السهرة على أحسن ما يرجى ٠٠ وبعد أيام انتقلت **ليزيت الى مسكن أنيق يتوسط موقعه بين مكان عملها وبين دار مجلس الشيوخ ، بعد أن أعد تصميمه وفق الطراز الحديث خبير اخصائى فى تزيين البيوت ٠٠ ولم يشأ مسيو لوسيور أن تنقطع ليزيت عن عملها ، فقد أراد أن تجد شيئا تقتل فيه الساعات التى يتفرغ هو خلالها لاعماله ٠٠**

وكان التبذير آفة لم تألفها ليزيت ٠٠٠ ورغم شغف الشيخ المحترم بها وكرمه الاصيل فقد سره أن بدأت الفتاة بعد حين تدخر بعض المال الذى يحبوها به ٠٠ صارت تدير مسكنها بحكمة وتبتاع ثيابها بأسعار الجملة كى ترسل المبلغ المتجمد كل شهر الى أبيها ـ البطل القديم ـ الذى جعل يقتنى به قطعا صغيرة من الاراضى ٠ وخلال ذلك استمرت ليزيت تعيش حياتها الاولى الهادئة المنتظمة ٠ وسر مسيو لوسيور أن يعلم

من حارسة البيت ـ التي كان لها ابن تطمع في تعيينه في وظيفة حكومية ! ـ أن زوار ليزيت الوحيدين هم عمتها وفتاة أو اثنتين من زميلاتها في معرض الازياء !

وأحس الشيخ المحترم انه لم يكن يوما أسعد منه الآن · حقا ان العمل الطيب له مكافأته ، حتى في هذا العالم الفاني ! ··أو لم يكن العطف الخالص هو الدافع الذي جعله يقبل رجاء زوجته فيرافقها في ذلك اليوم الى معرض الازياء ، حيث رأى ليزيت الحسناء لاول مرة ؟·· انه كلما ازداد معرفة بها تضاعف ميله اليها · انها خير رفيق يؤنس وحشته ، بمرحها ، وذكائها ، وحسن اصغائها كلما عن له أن يحدثها عن شئونه وشئون الدولة ·· انها توفر له الراحة حين يكون متعبا ، والانشراح حين يكون مكتئبا ·· وهي تسر برؤيته كلما زارها ـ وكان يكثر من زيارتها عادة بين الساعة الخامسة والسابعة من أمسيات أكثر الايام ـ واذا تغيب استوحشت واكتأبت · أنها تدخل في روعه انه ليس عشيقها فقط ، بل وصديقها أيضا ··· وأحيانا كانا يتعشيان معا في مسكنها ، فكان يلقى عندها من الطعام الجيد والراحة الكاملة ما يلهج لسانه اعجابا وتقديرا لاهمية اهتمام المرأة بشئون بيتها ! ·· وقال له أصدقاؤه انه يبدو كمن صغرت سنه عشرين عاما · وقد أحس ذلك فعلا ، فلم يسعه الا أن يغبط نفسه على هذا «الكنز» الذي كان من نصيبه والذي شعر أنه يستحقه بعد السنوات الطوال التي أجهد خلالها نفسه في العمل المتواصل والخدمة العامة ··

- ٣ -

◆ **لذلك** كانت صدمة قاسية بالنسبة له ، بعد أن استمرت الحال على هذه الصورة من الهناء المقيم طيلة عامين تقريبا ، أن يعود من دائرته الانتخابية في ساعة مبكرة من صباح يوم أحد

ـ قبل الموعد الذى كان قد حدده لتلك العودة بيوم كامل ـ فلا يكاد يفتح باب مسكن صاحبته بالمفتاح الذى فى حوزته ، وهو يمنى نفسه بأن يجدها مستريحة فى فراشها، يوم عطلتها
٠٠ حتى يفاجأ برؤيتها تتناول الافطار فى مخدعها مع «شاب» لم تكتحل عيناه يوما برؤيته من قبل !٠٠ وزاد من حنقه أن الشاب كان يرتدى منامة (بيجامة) « الشيخ المحترم » الجديدة التى لم يضعها بعد على جسده !

وأبدت ليزيت دهشتها لعودته ، فابتدرته قائلة :

ـ من أين جئت ؟ لم أتوقع عودتك قبل غد !

ـ سقطت الوزارة ، فاستدعيت كى أتولى وزارة الداخلية فى الوزارة الجديدة ٠٠ ولكن ، من يكون هذا الفتى ؟

فأجابت وهى تبتسم ابتسامتها الخلابة :

ـ عشيقى !

ـ هل تحسبيننى غبيا ؟٠٠ أعلم بالطبع انه عشيقك !

ـ اذن لماذا تسأل ؟

وكان مسيو لوسيور رجل حزم وعزم ، فاتجه نحو ليزيت دون كلمة وصفعها بقوة على خدها الايمن بكفه اليسرى ، ثم على خدها الايسر بكفه اليمنى ٠٠ فصرخت : « وحش ! » وعندئذ استدار الى الشاب وصاح به مشيرا بذراعه الى الباب : « **أخرج !٠٠ أخرج!** » واذ لم يبد الفتى حراكا، أردف الشيخ ، « ماذا تنتظر ؟ تريدنى أن أستعمل القوة ؟ »

فقالت ليزيت : « انه لا يستطيع أن يخرج ببيجامته ! »

ـ انها ليست بيجامته ٠٠ انها بيجامتى أنا !

ـ هو فى انتظار أن تعطيه فرصة كى يرتدى ثيابه !

تلفت مسيو لوسيور حوله فرأى مجموعة من ثياب الرجال مبعثرة على أحد المقاعد ، واذ ذاك ألقى على الشاب نظرة احتقار وصاح به : « تستطيع أن تأخذ ثيابك ٠٠ » فجمعها الشاب

فى يده على عجل وانحنى فالتقط حذائيه ثم غادر الحجرة ، ولم يكد يفعل حتى استخدم الشيخ المحترم موهبته الخطابية على خير صورة ، فصارح الفتاة برأيه فيها ـ ولم يكن ليسرها !ـ ورسم جحودها لفضله بأبشع الالوان والاوصاف ٠٠ واستعدى عليها قوى السماء كى تشهد أحقر خيانة ارتكبتها امرأة فى حق رجل أمين وثق فيها ٠٠ وبالاختصار فاه مسيو لوسيور بكل ما أوحى به اليه الغضب ، والكبرياء الجريح ، وخيبة الامل !٠٠ ولم تحاول ليزيت أن تدافع عن نفسها ٠ اكتفت بأن أصغت فى صمت ، مطرقة الرأس ، واذ ذاك وقع بصرها على شطيرة مدهونة بالزبد كان ظهور الشيخ المفاجىء قد عاقها عن أكلها ٠٠ فتناولتها وشرعت تأكل ٠٠ وألقى لوسيور نظرة حانقة على طبقها ثم صاح :

ـ بلغ من لهفتى على أن تكونى أول من يسمع البشرى العظيمة انى جئت من المحطة رأسا الى هنا ٠٠ كنت أرجو أن أتناول افطارى معك

ـ يا عزيزى المسكين ، ألم تتناول فطورك بعد ؟ سأوصى باعداده لك حالا ٠٠

ـ لا أريد شيئا ٠٠

ـ هراء ٠٠ ان المسئولية الجسيمة التى ستلقى الآن على عاتقك تقتضيك مزيدا من العناية بصحتك

ودقت الجرس ، وحين حضرت الخادم طلبت منها أن تعد قهوة ساخنة ٠٠ فأحضرتها ٠٠ وصبت ليزيت قدحا لصديقها ، لكنه أبى أن يلمسه ٠٠ فدهنت له شطيرة بالزبد والمربى ، فهز كتفيه استخفافا وبدأ يأكل ٠٠ وألقى بضع ملاحظات عن غدر النساء قابلتها الفتاة بالصمت ٠٠ بينما استطرد هو :

« الشىء الوحيد الذى أحسنت به صنعا انك لم تحاولى انتحال الاعذار الكاذبة لنفسك ، فأنت تعلمين اننى أكره الختل

والنفاق ٠٠ وبقدر ما أكون كريما مع من يسلك نحوى مسلكا شريفا أنقلب قاسيا لا يرحم مع الذى يسىء الى !٠٠ وحين أفرغ من تناول القهوة سوف أغادر هذا المسكن الى الابد ٠٠ »

تنهدت ليزيت ٠٠ بينما أردف هو : « لا بأس فى أن أعترف لك الآن اننى كنت قد أعددت لك مفاجأة سارة لمناسبة العيد الثانى لصلتنا ٠٠ اعتزمت أن أودع باسمك فى البنك مبلغا يكفل لك مستقبلا لو أصبت أنا بسوء ٠٠ »

ـ كم ؟

ـ مليون فرنك !

تنهدت مرة أخرى ٠٠ وفجأة نهض الشـيخ مفزوعا حين سقط على رأسه شىء ناعم ٠٠ وصاح غاضبا : « ما هذا ؟ »

ـ انه يعيد اليك بيجامتك !

كان الشاب قد فتح الباب فألقى المنامة فوق رأس لوسيور ثم أغلقه مسرعا ٠٠ وجعل هذا يحاول تخليص نفسه من البنطلون الحريرى الذى التف حول رقبته !

ـ يالها من طريقة لارجاعها !

٠٠ يبـدو واضحا أن صديقك ينقصه التهذيب !



ـ طبعا هو ليس مثقفا مثلك

ـ وهل له ذكائى ؟

ـ أوه ، كلا ٠٠

ـ هل هو غنى ؟

ـ بل معدم !

ـ اذن بربك ، ماذا أعجبك فيه ؟

أجابت ليزيت وهى تبتسم

ـ شبابه !

أطرق الشيخ ببصره الى الطبق الذى أمامه وانحدرت من عينيه دمعة على خده ثم سقطت فى القهوة ٠٠ فرمقته ليزيت بنظرة عطف وقالت :

ـ يا صديقى المسكين ٠٠ لا يستطيع الانسان أن يحظى بكل شىء فى هذه الدنيا !

ـ كنت أعلم اننى لست شابا ٠٠ لكننى حسبت مركزى ، وثروتى ، وحيويتى ، تكفى عوضا عن شبابى ! هناك نساء لا يحببن غير الرجال الناضجين ٠٠ هناك ممثلات شهيرات لا يتمنين أكثر من شرف الحظوة بصداقة وزير !٠٠ وأنا رجل تمنعه تربيته القويمة من أن يلقى فى وجهك باهانة تتصل بأصلك ونشأتك ، لكن الواقع انك لست سوى عارضة أزياء ، وقدكانت الطفرة التى طفرت بك اياها أكثر مما تحتملين !

ـ أنا ابنة أبوين فقيرين ولكن شريفين ، وليس ثمة ما يقتضينى أن أخجل من أصلى ٠٠ ولا يحق لك أن توبخنى لاننى كنت أكسب عيشى بعرق جبينى ٠٠

ـ هل تحبين هذا الفتى ؟

ـ نعم

ـ ولا تحبيننى ؟

ـ بل أحبك أيضا ٠٠ أحب كلاكما ، ولكن حبا مختلفا ٠٠ أحبك أنت لانك وقور وحديثك شائق ونافع ٠٠ ولانك طيب وكريم ٠٠ وأحبه هو لان عينيه واسعتان وشعره متموج ولانه يرقص ببراعة ٠٠ انه أمر طبيعى كما ترى !

ـ تعلمين أن مركزى يمنعنى من أن أصحبك الى أماكن الرقص ٠٠ وهو حين يصير فى سنى سوف يكون أصلع الرأس مثلى !

ـ قد يكون هذا صحيحا ، لكنه لا يهمنى الآن

ـ منذ متى عرفته ؟

ـ منذ اشتغلت فى المعرض ٠٠ جاء يوما يعرض نماذج من الحرير الذى ينتجه المصنع الذى يعمل لحسابه فى ليون ٠٠ فأعجب كلانا بنظرات الآخر ٠٠

ـ وهل أذنت لك عمتك بأن تكونى على صلة به ؟

ـ لم أطلب اذنها !

ـ هل تعلمين أن سلطتى الجديدة كوزير للداخلية تعطينى الحق فى الغاء الترخيص الممنوح لابيك بممارسة تجارة الدخان؟ ٠٠ ماذا تفعلين لو عاقبتك فى شخصه ، من أجل سوء سلوكك؟

ـ أعلم أنك أنبل من أن تقترف نذالة كهذه !

ـ لا تخشى شيئا ٠٠ فلن أنحط الى درجة أن أنتقم من رجل خدم وطنه وافتداه بدمه فى الحرب ، تكفيرا عن أفعال مخلوقة تجبرنى كبريائى على أن أحتقرها !

واستأنف لوسيور افطاره الذى قطعه بحديثه مع ليزيت ٠٠ **وساد الصمت بينهما فترة ٠٠ لكنه حين شبع تغيرت نفسيته ، بدأ يرثى لحاله أكثر مما يحقد على الفتاة ٠٠ ففكر ـ فى جهل غريب بقلب المرأة ـ أن يثير ندم ليزيت باثارة شفقتها عليه ٠٠ قال :**

ـ انه لأمر يؤسف له أن يقلع المرء عن عادة ألفها ٠٠ كم كان يمتعنى أن أسترق ساعة من خلال متاعبى كى أقضيها هنا ٠٠ هل ستأسفين على فراقى يا ليزيت ؟

ـ بلا شك

واذ ذاك تنهد ٠٠ وأردف :

ـ ما جال بخاطرى يوما انك قديرة على اقتراف هذه الخديعة !

ـ انها الخديعة فى ذاتها التى تثير غيظكم ٠٠ ما أعجب عقليتكم أيها الرجال ! انكم لا تغفرون لمن يخدعكم لانكم مغرورون ٠٠ تعلقون أهمية كبرى على أشياء لا وزن لها !

ــ هل تعتبرين من الامور التى لا وزن لها أن أفاجئك تتناولين الافطار مع شاب يرتدى بيجامتى ؟

ــ لو كان هو زوجى وأنت عشيقى لرأيت الامر طبيعيا للغاية !؟

ــ هذا شىء معقول ٠٠ يومئذ كنت أكون أنا الذى يخدعه ، فكان شرفى يصبح آمنا !

ــ معنى هذا انه يكفى أن أتزوجه كى تصح الاوضاع !؟

لم يفهم قصدها فى البداية ٠٠ ثم ومض معنى عبارتها فى ذهنه اللماح فجأة ، فرمقها بنظرة سريعة ٠٠ وكانت عيناها الجميلتان تومضان ببريقهما الذى طالما فتنه ٠٠ وعلى شفتيها الحمراوين الممتلئتين ظل ابتسامة خبيثة !

ــ لا تنسى أنى بصفتى عضوا فى مجلس الشيوخ ينبغى وفقا لتقاليد الجمهورية أن أكون نموذجا للخلق القويم والمسلك الحميد ٠٠

ــ حقا ؟

ــ وهل يقبل الفتى أن يتزوجك ؟

ــ انه يعبدنى ، وطبعا يقبل أن يتزوجنى ٠٠ ولو قلت له اننى أملك « دوطة » قدرها مليون فرنك لما بقى له ما يطمع فيه أكثر من ذلك !

ألقى اليها مسيو لوسيور نظرة أخرى مرتابة ٠٠ انه حين ذكر لها انه كان يعتزم أن يخصها بمليون فرنك كان مغاليا فى الواقع ٠٠ أراد أن يجعلها تذوب حسرة من أجل خيانتها اياه ٠٠ لكنه ليس بالرجل الذى يرجع فى كلمته !

ــ ان هذا المبلغ أكبر مما يطمح اليه شاب فى مثل سنه ومركزه ٠٠ ولكن ، أخشى أن يلازمك الفتى طيلة الوقت لو تزوجك ، ما دام يعبدك ؟

ـ ألم أقل لك أن مقر عمله فى (ليون) وانه لا يحضر الى باريس الا فى عطلة نهاية الاسبوع ؟

ـ فى هذه الحالة سوف يرحب الفتى بأن أعنى أنا بك فى فترة غيابه ..

ـ وأى ترحيب !

ولكى تزيد المناقشة لينا ويسرا انتقلت ليزيت من مكانها الى حيث جلست على ركبتى الشيخ المحترم .. فضغط على يدها فى رقة :

ـ انى متيم بك يا ليزيت ، ولست أحب لك أن ترتكبى خطأ تندمين عليه .. أواثقة أنت من أن الفتى سوف يسعدك ؟

ـ أعتقد ذلك ..

ـ سوف أتولى الاستفسار عنه جيدا .. فانى لن أقبل زواجك من غير شخص ذى خلق مثالى لا تشوبه شائبة .. ثم أننا ينبغى أن نستوثق من أمر الشاب الذى نتأهب لاقحامه على حياتنا !

لم تبد ليزيت اعتراضا .. وكان قد تأهب لمفارقتها كى ينهى الى زوجته البشرى السعيدة بشأن توليه الوزارة ، ثم يتصل بأعضاء الحزب الذى ينتمى اليه .. وفيما هو يودعها وداعه الحار المألوف قال لها : « **بقى شىء واحد : اذا تزوجت من فتاك فانى أصر على أن تتركى عملك ، فمكان الزوجة هو البيت .. ومن المنافى لكل مبدأ أن تنتزع امرأة متزوجة لقمة العيش من فم رجل !** »

صورت ليزيت لنفسها هيئة شاب يعرض أزياء النساء على جسمه وهو يختال ويهز ردفيه !.. لكنها احترمت « مبادىء » الشيخ المحترم فأجابته :

ـ كما تريد يا عزيزى ..

- ٤ -

◆ **وجاءت** الاستفسارات التى طلبها مسيو لوسيور عن شخصية الشاب طيبة وفى صالحه ٠٠ فتم الزواج فى صبيحة يوم سبت ، بحضور مسيو لوسيور « وزير الداخلية » ومدام سالادان ، عمة العروس ٠٠ وعلى أثر اتمامه أقيمت مأدبة الافطار للعروسين فى « قصر مدريد » الذى كانت له فى نفس مسيو لوسيور ذكرى خاصة عطرة !٠٠ وكانت هديته للعروس سيارة جميلة من ذات المقعدين ، من انتاج مصانعه الخاصة ٠٠

ولم تكد المأدبة تنتهى حتى استقل العروسان السيارة للقيام برحلة شهر العسل ، التى كان مقدرا أن لا تستغرق أكثر من يومى عطلة نهاية الاسبوع ، نظرا لاضطرار العريس الى السفر الى مقر عمله فى الاقاليم ٠٠

وقبل أن تركب العروس السيارة قبلت عمتها ، ثم قبلت مسيو لوسيور ٠٠ وأثناء قبلتها همست له : « سوف انتظرك يوم الاثنين ، الساعة الخامسة » ٠٠ فأجابها : « سوف أحضر» ٠٠ ثم انطلقت السيارة بالعروسين ٠٠

وفيما كان الوزير يستقل سيارته الخاصة ، وهو يفكر فى مهام الدولة التى تنتظره فى مكتبه ، أطلق تنهدة ارتياح ٠٠ انه لأنسب لمركزه الحالى بلا شك أن تصير خليلته لا مجرد عارضة أزياء بسيطة فى متجر أزياء ٠٠ بل زوجة محترمة !!

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل » و« كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

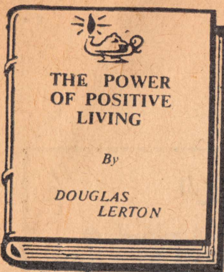
ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، وأخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من صحبة أندريه موروا الممتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » فى كتابه المشهور « غزو السعادة »

وبعده قدمت لك كتاب فرويد المشهور « التحليل النفسى » ، ثم الكتاب العملى الشائق : « كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة » .. يليه كتاب « الجنس الاخر » الذى أبدعت فيه الكاتبة نينا فيرويل فى تشريح العلاقات بين الجنسين .. واليوم أقدم لك كتابا جميلا يقود خطاك الى طريق الحياة المنتجة ويفتح أمامك آفاق الشخصية الايجابية ..

كيف تنتفع من حياتك إلى أقصى حد

عش حياة إيجابية



للعالم النفسانى «دوجلاس ليرتون»



الإيجابى بنشاطه يظفر بهدفه .. والسلبى يجلس خاملا فى انتظاره!

الروح الايجابية قوة لا حد لها !

◆ تستطيع أن تنال ما تبغى فى الحياة لو انك أردته حقا ، وكنت صادقا فى الرغبة فيه ، وسعيت بحق للحصول عليه ٠٠ كل ما عليك هو أن تسائل نفسك : هل هو خير ؟.. وهل هو عادل ؟.. وهل أنت على استعداد للسعى من أجله ؟.. ثم امض فى طلبه ..

ان كثيرا من نعم الحياة المشتهاة ـ مادية كانت أو روحية ـ يتعذر عليك نيلها ، لمجرد أنك لم تسع اليها كما ينبغى السعى .. ولو أنك انتهجت فى حياتك مسلكا ايجابيا ، وطلبت ما تبغى ، لدان لك !

وصاحب هذا الكتاب ، الذى يرشدك الى خير وسيلة لتنمية الشخصية الايجابية ، مؤلف وصحفى وناشر تعمق فى دراسة النفس البشرية وعلاقتها بالحياة المادية ، حتى صار خبيرا يعلم الناس فنون السعادة ، ووسائل الوصول الى حياة هانئة نافعة ، ذات أثر للفرد وللجنس البشرى .. ذلك هو الكاتب البحاثة « دوجلاس ليرتون »

كن ايجابيا لا سلبيا !

◆ **يؤثر** عن المليونير الامريكى « روكفلر » انه لم يستطع فى صغره أن يتم دراسته ، فعمل فى مزرعة ، وراح يدخر **بعض أجره الضئيل ٠٠ حتى اذا وجد صاحب المزرعة يوما فى ضيق ، عرض عليه أن يقرضه ماله المدخر ، وطلب أن يتقاضى من وراء ذلك « فائدة » مئوية ٠٠ فكانت هذه بادرة كشفت عما أوتى من روح « ايجابية » لازمته فى الحياة ، وجعلت منه ذاك المليونير الواسع الثراء ٠٠**

والواقع أن النجاح فى الحياة هو غاية كل حى ، لكننا لانصل اليه الا يوم أن نشرع فى الايمان بالقوة الكامنة فى أنفسنا ، ونسعى الى تعزيز معتقداتنا بالتفكير والعمل الايجابيين ٠٠

ونحن نقضي على أنفسنا بالفشل اذا ماتركنا الاتجاهات السلبية تسيطر علينا أو تدفعنا الى الرضى بالفتات المتساقط من مائدة الحياة !

ونحن اذا استعرضنا أنفسنا وأصدقاءنا وحياة غيرنا من الناس فى دراسة بسيطة ، نتبين بجلاء تام أن الناس جميعا ينقسمون الى نوعين اثنين ، لا ثالث لهما : ايجابيين ، وسلبيين .. فالاتجاه الايجابى يدفعنا الى أن نتطلع الى الامام فى ثقة ، بينما يحملنا الاتجاه السلبى على أن نلتفت الى ما خلفنا والى ما تحتنا فى خوف وتوجس .. وقد نجمع أحيانا بين هذين المسلكين من مسالك الحياة ، ولكن أحدهما لا يلبث فى الغالب أن يطغى على الآخر ..

والشخص الايجابى الحق يكون عادة شخصا عاقلا ، متفائلا ، يفكر بأسلوب حاسم ويعيش حياة انشائية مثمرة .. فهو يقول : « اننى أستطيع .. سأحاول .. وسأشرع فى السعى من الآن ! » .. ولو انك تعمقت فى دراسة الفن والعلم والدين والسياسة ، لوجدت أن جلائل الاعمال فيها كانت جميعا نتيجة التفكير والعمل الايجابيين ..

أما الشخص السلبى فانه لا يهنأ قط بحياته ، بل يعيش فى خوف ولا يكف عن أن يردد : « لا أستطيع .. بل اننى لا أملك أن أحاول .. لا سبيل للمقاومة ، ولا مفر من التسليم .. ان كل القوى ضدى .. اننى خائف فى دنيا لا أملك لنفسى فيها أمرا »

وما كان يوما للشخص السلبى الروح أن يأتى عملا جليلا يخلده .. فهل تتصور انه كان فى وسع شخص مثل «أديسون» أن يحقق معجزاته فى دنيا الاختراع لو انه كان سلبيا ؟

كل منا فيه قدر من الايجابية والسلبية

◆ **وليس** فى دنيا علم النفس ما هو أبيض ناصع البياض ولا ما هو أسود حالك السواد .. أى أنه لم توجد بعد النفس

الخالية من العيوب والنقائص .. ولا النفس التى أفعمتها العقد بالمركبات والانحرافات فلم يعد فيها مجال لغير ذلك .. ولم تخلق بعد النفس التى لا تتعرض للانحراف ، ولا النفس التى يصبح تقويمها مستحيلا ..

وكذلك الحال بالنسبة للايجابية والسلبية .. فالنفس السلبية تنطوى على قدر من الايجابية يمكن صاحبها من أن ينهض فى الصباح فيغادر فراشه ويؤدى بعض أعمال اليوم ذات الطابع الآلى « الروتينى » .. بيد أن طريقته فى الحياة أو ذلك الطابع السلبى الذى أوضحناه لا يلبث أن يسد السبيل بعد ذلك فى وجهه فيعوقه عن بلوغ خير النتائج التى يسعى اليها ..

ولقد بدأ معظمنا فى الحياة ايجابيا، يشق سبيله فى حزم وعزم للوصول الى الغذاء والكساء والراحة.. **أجل ، ان معظم الاطفال يبدأون حياتهم ايجابيين ، حتى يصادفوا عقبات ، فاذا بعضهم يتعلمون كيف يحلون مشكلاتهم بطرق ايجابية ، بينما ينقلب غيرهم سلبيين** .. وكثيرون يصبحون خليطا غير متسق من الايجابية والسلبية فى مسلكهم ، فيتعثرون فى الحياة وهم يجاهدون فى صراع مستمر ، الى أن يتسنى لاحد الاتجاهين أن يطغى على الآخر !

اسأل نفسك ..

لذلك يحسن بك فى أول مرة تشعر فيها بالخيبة والقنوط، وتشرع فى الاستسلام للعجز عن بلوغ مأربك ، وفى نبذ كل حل يوصلك اليه ، توهما منك بأن لا سبيل الى سلوكه .. يحسن بك اذ ذاك أن توجه الى نفسك الاسئلة التالية ، وأن تحاول الاجابة عنها بأمانة :

١ ـ **ألا يجوز** أن يكون شعورى بالعجز مجرد وهم أفرضه على نفسى ؟

٢ ـ **ألا يجوز** أن تكون العوائق التى تتراءى لى مجرد ظلال لاعتراضات أتصورها ولا وجود لها فى الواقع ؟

٣ ـ **عندما** شعرت لاول مرة بأننى لا أملك المقدرة على الوصول الى هذا الهدف المعين المنشود ، هل تعرفت الى سبب هـذا الشعور أو الاعتقاد ، وهل ثمة داع معقول يجعلنى أثق فى أنه لا يزال وجيها يستند الى مبرر ؟

٤ ـ **هل** حاولت حقا أن أحقق هذا الشىء الذى اقتنعت بأننى عاجز عن تحقيقه ؟٠٠ ومتى حاولت ذلك ؟٠٠ واذا لم أكن قد حاولت فلم لا أحاول الآن ، محاولة حقيقية فعلية ، بدلا من أن أقضى على نفسى بالعجز بغير أن أشرع فى المحاولة ؟٠٠ واذا كنت قد حاولت وأخفقت ، فكم عامل اشترك فى هذه الهزيمة ؟ ٠٠ هل أستطيع أن أسجل هذه العوامل على الورق وأستعرضها؟ ٠٠ وهل لا تزال هذه العوامل قائمة ؟٠٠ ألا يمكن التغلب على بعضها أو على جميعها الآن ؟

٥ ـ **هل** التفكير فى تحقيق هذا الهدف فعلا يبعث فى جهازى العصبى مسا من القلق والهم ؟٠٠ واذا كان ذلك حقا ، فمم أخاف على وجه التحديد ؟٠٠ من أين تنبعث هذه المخاوف ؟٠٠ وهل هى معقولة ، أو أنها مجرد تعلات وحجج أستعين بها على التهرب من بذل أى مجهود حقيقى ؟

٦ ـ **ما الذى** أكسبه بعدم محاولتى علاج هذا الموضوع محاولة صادقة ؟٠٠ واذا حققته، فهل تراه يتضارب مع آراء أو معتقدات أعتز بها وأرتاح الى أننى تعودتها ؟

٧ ـ **أليس** من الصحيح أن اجاباتى عن هذه الاسئلة قد أزالت الى حد كبير عددا من الحواجز والقيود التى فرضتها على نفسى ؟٠٠ أليس من الحقيقى اننى الى الآن لم أكن قد أوليت هذا الهدف اعتبارا ايجابيا كافيا ، وأن اقدامى على دراسته بتفكير ايجابى قد يهدينى الى حل مرغوب ؟

التردد آفة !

لقد اكتشف علماء النفس أن من أهم أسباب ما قد يصادفك من صعاب فى حل مشكلات الحياة العادية ، انك لا تستطيع أن تبلور مشكلتك ٠٠ أعنى أن تركزها وتحددها وتحصرها ٠٠ كما أنه لا سبيل الى تحقيق أى عمل ذى قيمة بدون عزم ايجابى يعززه عمل ايجابى ٠٠ ومن ثم فان حياتك اليومية تخضع الى حد كبير لما تتخذه ، أو لما تعجز عن اتخاذه من قرارات ، ولما تقدم عليه من عمل ، أو ما تؤثره من تقاعد وتقاعس ، تاركا قراراتك تسير وفقا لما توجهها اليه الظروف ٠٠ وكم من ملايين من بنى البشر يدفعون دفعا الى غير ما يرومون ، من التخاذل والذكاء السلبى ، لا لشىء سوى أنهم لا يقدحون زناد أفكارهم!؟ ٠٠ كم من ملايين يقفون على شفا حالة غريبة من القصور الذهنى تشل عزيمتهم أو تقضى عليها ؟٠٠ تأمل تلك السيدة التى تقضى عشرة أيام وهى تحاول أن تبت فيما اذا كانت تبتاع ثوبا جديدا ٠٠ فهى تسأل زوجها وتناقشه ، وهى تستشير صديقاتها وتجادلهن، وأخيرا بعدطول أخذ ورد وبعد انفعالات تتذبذب بين جزر ومد، تنتهى الى السوق، وتلج أحد المتاجر ، فتجرب عشرة أثواب أو أكثر ، ثم تغادر المتجر دون أن تبتاع ثوبا ، لتلج متجرا آخرا ٠٠ وعلى هذا المنوال تكرر التجربة، دون أن تبت بشىء ٠٠ فهى حائرة لا تستطيع أن تقرر ما اذا كانت تبتاع هذا الرداء الذى زينت أطرافه بالفراء، أو ذاك الذى يزدان صدره



بزهور صناعية ٠٠ الخ ٠٠ وفى النهاية تعود الى دارها مرهقة ولما تنته الى قرار ، لتتشاور مع صديقاتها تليفونيا ٠٠ حتى اذا عاد زوجها الى البيت ، أخذت تشرح له كل ثوب وميزاته ، فاذا هو يضطر فى النهاية الى أن يصحبها الى السوق ، ويضطرها الى الرضى بثوب معين قد لا يكون من طراز يلائمها ٠٠ هنايكون قرارها قد اتجه اتجاها خاطئا ٠٠ ولكن ، لا ٠٠ فالامر لم ينته عند هذا القرار ، اذ هى قد ترتدى الثوب يوما أو اثنين ، ثم ترده الى المتجر شاكية من أنه لا يلائمها ، أو تلقى به فى قاع صوان الملابس ، وترتدى بدلا منه ثوبا كانت تعتز به من العام الماضى ٠٠ الخ

هذه ناحية واحدة من نواحى التردد فى حياة السيدة « حيرانة » ٠٠ فما بالك وهى تعانى مثل هذا فى كل صغيرة وكبيرة ؟ أنظر اليها وهى حائرة فى اختيار لحوم اليوم : أتطلب لحما أحمر ، أم قطعة من القفص الصدرى للشواء ، أم تطلب كبدا وكلاوى ؟٠٠ واذا هى خرجت لامر من الامور ، ساورتها الهواجس : هل أغلقت صنبور الغاز أو تركته مفتوحا ، وهل أوصدت الباب أو لم توصده ؟٠٠ لا ، لست أبالغ ، فهناك ملايين من السيدات من هذا الصنف !

التقلب والانقياد ٠٠ آفة أخرى

وهناك أيضا السيد « متقلب » : منذ سنوات أعياه البت فيما اذا كان يعمل فى الصحافة ، أو يعمل فى متجر أبيه ٠٠ وقد بت أبوه له فى الامر أخيرا فعمل فى المتجر ٠٠ وأحب « متقلب» احدى الفتيات ، ولكنه تزوج من فتاة أخرى ، لانها قررت فى نفسها أنها تريده زوجا ، فجعلته يفكر وفق ما شاءت ، بما عرف عن النساء من براعة الايحاء !

والواقع أن « متقلب » شاب طيب ، ولكن عيبه الاوحد انه لا يستطيع أن ينتهى الى قرار ، وأن يتشبث بهذا القرار ، أن



المنقـــاد !

صوابا أو خطأ ٠٠ ومن ثم غدا يعيش فى دنيا من صنع سواه ٠٠ فالعمل من اختيار أبيـه ، والزوجة هى التى اختارته فانصاع لاختيارها ، برغم أنه كان يحب سواها ٠٠ ولقـد سنحت له الفرصة ثلاث مرات كى يترك عمله فى متجر أبيـــه ويعمل فى الصحافة التى كان يرجوها ، ولكن أباه تدخل فى احـدى المرات الثلاث ، فانصـاع له ٠٠ وفى المرتين الاخريين تولت زوجتـه البت بنفسها ، لانها كانت تريد أن تزهو بأنها زوجة تاجر ! ٠٠ وهكذا سيبقى « متقلب » فى عمله هذا حتى يؤون له أن يقرر أموره بنفسه ٠٠

مثل هذا التردد والتأرجح من أشد سموم الحياة الفتاكة ، ويزيد من مفعوله ما يصحبه من مخاوف ، واهمال ، وعـدم اكتراث ٠٠ كما يضاعف من مقداره تكرار الشعور بالخيبـة والقنوط ٠٠ ومن ثم نجد أن الشخص الذى يبتلى بالعجز عن استعمال عقله للتفكير فى أموره ، لا يلبث أن يتردى فى سلسلة من العادات السلبية التى تعمل ضده :

وأسوأ هذه العادات هو التســويف ٠٠ ارجاء البت ٠٠ التردد والتأجيل الذى يفضى الى عدم اتخاذ رأى أو قرار ٠٠ وأسوأ ما فى هذه العادة أن المسوفين ينتهون الى ترك البت فى أمورهم الى سواهم ، بدلا من أن يتخذوا قراراتهـــم بمحض اتجاهاتهم الايجابية ٠٠

الاقدام ٠٠ والخطأ ٠٠ خير من التردد !

ذلك لان المتردد يخشى ان بت فى أمر أن يقع فى خطأ ، ولكن ، أى عيب فى أن يخطىء المرء ؟٠٠ ألم يقولوا قديما ان من لم يخطىء لم يصب ولم يعمل ؟٠٠ ان الزعيم يخطىء ، والقائد يخطىء ، والحاكم يخطىء ٠٠ ولكن هذا لا يحول بين أى منهم وبين أن يبت ويحسم ويقرر ٠٠ وما بلغ أحدهم مكانته الا لانه قادر على البت فى الامور ، فى حين يتقاعس سواه !

ويقولون فى تعريف الادارى الناجح انه الشخص الذى يبت فى الامور بسرعة ، دون أن يخطىء التقدير الا قليلا ٠٠ أو بنسبة ضئيلة اذا قيست بمرات اصابته ٠٠ وما من شخص خامل الذكر ، أو متخلف عن زملائه فى ركب الرقى ، الا وكان مترددا يخشى البت فى تصريف أعماله ، حتى لا يخطىء أو يجر على نفسه المسئولية والمتاعب !

هب أنك تخطىء أحيانا ٠٠ وهب أن خطأك يكون جسيما ، فما فى ذلك ؟٠٠ ليس بين الناس من يصيب على طول الخط ٠٠ وان أمتع ثمار الحياة لتصيب أولئك الذين يقدمون على البت فيما يعرض لهم من شئون ، ويردفون البت بالتنفيذ ، ولا يحجمون عن السعى لما يؤمنون أن من حقهم نيله من المطالب ٠٠

وكم من أناس ذاع صيتهم فى التاريخ لم يسلموا من الخطأ ، ولكن الخوف من الانزلاق اليه لم يجعلهم يقنعون بالتفكير السلبى ٠٠ وكثيرا ما كان السير « ايزاك نيوتن » ـ العالم الخالد الذكر ـ يخطىء ، ولكنه كان يفيد من الخطأ فى الوصول الى الصواب ، حتى أدى للعلم والعالم أعمالا جليلة ٠٠ ولقد حدث مرة أن جلس مستغرقا فى التفكير الى جوار مدفأة تتلظى فيها النار ٠٠ فلما اشتدت الحرارة ، دق الجرس فى عنف يدعو خادمه ، وصاح فيه ان النار كادت تشويه ، ثم سأله أن يرفع

المدفأة من مكانها ، فاذا الخادم يقول له فى هدوء : « أوليس الافضل يا سيدى أن تزحزح مقعدك بعيدا عنها ؟ » ·· وهتف سير ايزاك فى دهشة : « لعمر الحق !·· ما خطر هذا ببالى قط ! »

ولقد أدرك اذ ذاك أن عقله كان فى تلك الآونة يقبع كاسفا ، عاطلا ·· ولكنه لم ييأس ولم يحزن ولم يعتقد أن الصدأ عدا على ذكائه !·· ذلك لان الرجل الحاسم ذا الشخصية الايجابية يزيح الخطأ جانبا ، ويمضى فى حسم أموره ، مستعينا بالتجربة على تجنب الخطأ ··

اقتلع همومك من جذورها !

◆ **ولعل** خير دليل على النتائج الخطرة التى تترتب على التردد ، هو ما ترويه لنا الدكتورة « ليديا جيبرسون » ، خبيرة الشئون النفسية فى الاوساط الصناعية ، التى تعمل لحساب شركة « متروبوليتان » للتأمين على الحياة فى أمريكا ·· فلقد قدر لها أن تعين كثيرا من أصحاب الاعمال الكبرى على مغالبة مشكلاتهم الشخصية وحلها ·· وهى تقول فى هذا الصدد : « الاصل فى الهموم والقلق يرجع الى التردد ·· فنحن نشعر بقلق بشأن الامور المالية لاننا لا نعرف عن يقين حقيقة موقفنا منها ·· ونحن نجزع بشأن الاعمال التى لم تستكمل لاننا لا نستطيع أن نقرر أيها نعالج أولا ·· ونحن نهتم ونشعر بالكروب حين نوجس من مرض ، لاننا لا نملك فرصة استشارة الطبيب ·· ويصل التردد المزمن الى أقصاه وذروته حين يتملكنا الشعور بالقنوط ·· ثم يفضى بنا القنوط فى النهاية الى الانهيار العصبى »

وخليق بأولئك الذين يعانون ترددا عصبيا ـ أى ترددا يصحبه قلق واكتئاب ـ أن يبادروا بعرض أنفسهم على اخصائيين فى التحليل النفسى والعلاج النفسى ·· فقد تكون

ثمة أسباب لذلك متغلغلة فى أعماقهم ، حتى اذا تكشفت لهم وشرحت على حقيقتها ، كان العلاج مجديا

واذا كنت مصابا بالتردد ، وتبغى الخلاص منه ، فلعله مما يعزيك ويطمئنك أن التردد لا يكون بالضرورة نتيجة الجهل وبطء التفكير ، **بل ان الامر على العكس ٠٠ ففى بعض الاحيان يكون التفكير فى عدة أمور ، وتدبر كثير من الهواجس ، من أهم العقبات التى تؤدى الى صعوبة الوصول الى البت فى أمر بسيط والعمل على تنفيذه !**

وكلما كنت ذكيا ، كلما ازداد ميلك الى التفكير فى كثير من العوامل بسرعة قبل أن تتخذ قرارا ٠٠ أما اذا كنت ضعيف العقل فانك قد لا تعانى صعوبة تذكر ، لانك لن تستطيع أن تفكر فى عدة عوامل متباينة ، أو أن تتدبر نتائج مختلفة عديدة لقرارك ٠٠ انما الصعوبة التى قد تتعرض لها هى فى أنك قد تعتاد أن تغالى فى المسائل البسيطة فتحملها على محمل الاهتمام والجد الذى تحمل عليه المسائل الحيوية الهامة ٠٠

البت السريع فى الامور أساس النجاح

◆ **وصاحب** الحزم والقدرة على البت فى الامور هو الذى يقفز الى مصاف الزعامة فى كافة مناهج الحياة ٠٠ ومع ذلك فليس ثمة سحر أو معجزة فى سرعة البت فى الامور ، فالسبيل الى ذلك سهلة بسيطة ، يجيد اتباعها الناجحون من رجال الاعمال ، والمظفرون من القادة ، والنطاسيون من الاطباء ، والمصلحون من الزعماء الاجتماعيين ، والدهاة من الساسة ، والعباقرة من رجال الفكر ، والنوابغ من أهل الفن ٠٠ ليس هؤلاء فحسب ، بل والقصاب الرائج السوق ، والصانع الموفق ٠٠ ولكن ، لا نزاع فى أن المبرز فى أى ميدان من ميادين الحياة هو ذلك الذى تدرب فى انتظام ومثابرة على تطبيق هذه الطريقة فى حياته اليومية ، تطبيقا عمليا ، ايجابيا ، مثمرا ٠٠

استخدم هذه الطريقة واجعلها شعارك

والطريقة التى تمكنك من البت واتخاذ القرارات ، ميسورة فى متناول يدك ٠٠ ولا بد أنك رأيتها تطبق وتؤتى ثمارها أمام عينيك ٠٠ بل ولعلك استخدمتها فى بعض المناسبات دون أن تفطن ، وان لم تنتظم فى تطبيقها الانتظام الذى لا تلبث معه أن تصبح عادة تلقائية ، أوتوماتيكية ٠٠ على أننى أحب أن أذكرك بها وأنبهك اليها مرة أخرى ، وخليق بك أن تسجلها على قصاصة من الورق تحتفظ بها فى جيبك للتذكرة ٠٠ فان فى وسعك أن تستمد منها القاعدة التى تبنى عليها قراراتك فى كل درب من دروب الحياة ، مع التعديل الطفيف الذى تتطلبه الظروف ٠٠ وما عليك الا أن تسأل نفسك :

١ ـ ما الذى تسعى الى تحقيقه ؟

٢ ـ ما هى الوقائع الملائمة التى يقوم عليها هدفك ؟

٣ ـ ما هى السبل الممكنة للعمل على بلوغه ؟

٤ ـ أى هذه السبل أقرب الى تحقيق غايتك المرغوبة ؟

٥ ـ ما الذى ستفعله بشأنها ؟٠٠ ومتى ؟

وليست هذه الطريقة من وضعى ، وانما هى طريقة شائعة ، عالمية ٠٠ انها طريقتك اذا شئت ، وهى رهن اشارتك ٠٠ وقد استخدمتها فى البت فى كثير من الامور الخاصة بانشاء وادارة عدة مشروعات ، كما طبقتها بنجاح تام فى مساعدة الغير وحل مشكلاتهم ٠٠

وأنت قد لا تستخدم هذه الطريقة بنقاطها الخمس فى محاولة البت فى التوافه من الامور ، أو قد يكفى أن تستخدم بعضها بدون أن تفطن لذلك ٠٠ أما حين تواجه مسائل كبيرة تحتاج الى قرارات هامة فعلا ، فيحسن بك أن تطبق الطريقة بكافة نقاطها ٠٠ بل ويجدر بك أن تسجل اجاباتك على الورق لتتدبرها على مهل ٠٠

إن النجاح يؤثر بضيائه ومباهجه أولئك الذين يجنحون – عن قصد أو دون أن يفطنوا – الى نهج المسلك الايجابى .. فالنجاح يكره الشخصية السلبية ، بينما يتجه الفشل بفطرته الى هذه الشخصية وأصحابها فيلصق بهم ..

ولا مغالاة فى القول بأن ذوى الشخصيات الايجابية – من الرجال والنساء – هم الذين يظفرون دائما بخير المراكز فى الحياة .. فهم فهم فى أعمالهم يحظون بالترقيات والعلاوات ، ولا يلبثون أن يسعوا الى الاستقلال بأعمال ومنشئات خاصة .. فما السر فى ذلك ؟

انه ليس سرا فى الواقع ، لانه أوضح ما يكون .. فأصحاب الشخصيات الايجابية قوم يعرفون ما يريدون .. وهم يعدون أنفسهم لنيل ما يشتهون ، ويسعون الى ما ينشدون ، ويتخذون من التصرفات الايجابية ما يمكنهم من الوصول اليه .. فاذا لم ينالوا ما يستحقون لاسباب خارجة عن ارادتهم ، فانهم يخطون الخطوات الايجابية التى تمكنهم من تشكيل حياتهم وأعمالهم بحيث يصلون الى موقف مريح فى ناحية أخرى من الجهود تتناسب واستعدادهم ..

أما أصحاب الشخصيات السلبية فى الحياة فانهم لا يصيبون سوى الفتات والفضلات ..

فما السر فى ذلك ؟

أضعف الايمان !

مرة أخرى ، ليس ثمة سر ، فالامر أوضح ما يكون : ذلك أن الاتجاه السلبى يقيدهم بأغلال الاستعباد .. صحيح أنهم يعينون فى مناصب ، ولكنها مناصب لا تنيلهم الا شظف العيش .. فهم ايجابيون بالدرجة التى تمكنهم من الحصول على الكفاف ، وتزين لهم أن يقنعوا بهذا النصيب ، أو أن يحتملوه وهم غير قانعين .. وهم يقبعون فى انتظار مرور

الزمن لينالوا الترقية بالاقدمية .. أو فى انتظار أن يسعى رؤساؤهم ذوو الشخصيات الايجابية الى الحصول على موافقة السلطات على ترقيتهم .. وهكذا ، قد يحصل ذوو الشخصيات السلبية على رغباتهم ، ولكن .. من الفتات والفضلات !

التمنى وحده لا يكفى !

◆ **وليس** القول بأن الشخصية السلبية تقعد بصاحبها عن الارتقاء مجرد زعم أو استنتاج نظرى ، بل أنه حقيقة بنيت بدقة تامة على بحوث ودراسات منظمة ، فان ما بين ١٠ و١٥ فى المائة من المستخدمين يصبون الى الترقية ، ويسعون اليها . أما الباقون فيكتفون بأن يحلموا بها ويتمنوها فحسب ، لانهم يرزحون تحت خوف سلبى من أن لا يصلحوا لمناصبهم الجديدة .. أو تحت نفور سلبى من المسئولية ..

حدث أن التحق فتى فى الثانية عشرة من عمره بالعمل فى مصانع شركة « جنرال اليكتريك » بنيويورك ــ ولم يكن قد انقضى على انشائها سبع سنوات ــ بأجر أسبوعى لا يتجاوز ثلاثة دولارات ، كى يساعد أمه على شئون الحياة ..

وحرص الصغير على أن يتردد على مدرسة ليلية ، ثم على أن يدرس برنامجا فنيا عاليا بالمراسلة .. وظل هذا الشاب ذو العقل الايجابى يمضى فى الحياة حتى صار رئيسا لمجلس ادارة الشركة ، الذى يمثل ٢٥٠ر٠٠٠ مساهم ، والذى يشرف على ٢٠٠ر٠٠٠ موظف ومستخدم وعامل !

ويقول العصامى المذكور ــ ويدعى (تشارلس ولسون) ــ **« ان أولئك الذين يفشلون فى تحقيق ما يرغبون فى الحياة ، انما يخفقون لان رغبتهم ليست فى الواقع قوية ، كاملة ، شاملة ، بالدرجة التى تدفعهم الى الجد والاجتهاد .. وخليق بهم أن يوقنوا من أن القدر لا يسوق للمرء عربة ذهبية تحمله الى غايته »**

وهذا قول صحيح ٠٠ فان الجد والاجتهاد والكفاح من أجل النجاح ، أس كل تقدم ورقى ٠٠ وليس أمامي - وأنا أكتب هذا - سوى الوسط الذى أعيش فيه (أى أمريكا) لأستمد أمثلة تعزز قولى ٠٠ لذلك سأنقل فيما بعد صورا للمسلك الايجابى اقتبستها من خبرة وتجارب بعض الشخصيات اللامعة التى استطاعت أن تصل الى الذروة دون أن تكون مسلحة بتعليم جامعى ٠٠ بل ومنها من أصبح يسيطر على أعوان من حملة الدرجات العلمية الرفيعة ٠٠

شجعان فى الحرب ، جبناء فى الحياة !

وقد يكون من الطريف أن نورد هنا قصة ذلك الاستفتاء الذى أجرته مجلة « فورشن » فى سنة ١٩٤٩ للطلبة الذين تخرجوا فى الجامعات الامريكية فى ذلك العام ٠٠ اذ كشف ذلك الاستفتاء عن أمور تدعو الى العجب : فقد تخرج فى تلك السنة ١٥٠ر٠٠٠ شاب فى ١٢٠٠ جامعة ، وكان ٧٠ فى المائة منهم ممن خدموا فى الجيش ٠٠ ومع ذلك فقد كان ٩٨ فى المائة من المجموع يخشون الاقدام والمغامرة ، ويسيطر عليهم الحنين الى الامن والسلامة ، اذ كان يعوزهم الاقتناع بأن السلامة الوحيدة التى يمكن الاطمئنان اليها ليست سوى تلك التى يبثونها بأنفسهم فى أنفسهم ٠٠

فهؤلاء الرجال - الذين انخرط معظمهم فى سلك الجندية وخاضوا القتال فى شجاعة - لم يحجموا عن أن يوضحوا بجلاء فى استفتاء «فورشن» أن ثمة شيئا واحدا معينا لا يريدونه قط : هو أن يجربوا حظهم وأن يغامروا !٠٠ ولم تكن نسبة من أبدوا منهم رغبة فى أن يشرعوا فى أعمال مستقلة خاصة يبنون عليها مستقبلهم ، سوى ٢ فى المائة ، سيبرز من بينهم فيما أعتقد قادة المستقبل وزعماؤه !٠٠ أما الآخرون فكانوا يتوقون الى وظائف ثابتة فى شركات كبرى ، والى ضمان بأنهم

سيحصلون فى النهاية على معاش كاف !٠٠ ولم يبد خلال بياناتهم ما ينم عن أن بينهم من يتوق الى الاستفادة من خبرة عمله فى الشركات كى يشرع فيما بعد فى عمل خاص مستقل ، يتحرر فيه من خدمة الغير ٠٠

ويرى البعض أن هذا النقص الظاهر فى روح الاقدام والمغامرة انما مرجعه الى أن معظم أولئك الرجال قد نشأوا فى أحضان أهليهم منعمين ، ثم قضوا سنوات فى الخدمة العسكرية حيث كان يفرض عليهم غذاء معين ، ورداء معين ، وحيث كانت تحدد لهم مواعيد اليقظة ومواعيد النوم ٠٠ ثم التحقوا بالجامعات بعد تخرجهم ، حيث كان العلم يسقى لهم بالملعقة ٠٠ ومن ثم ارتاحوا الى أن يتولى الغير تدبير شئونهم ، واعداد البرامج لهم ليسيروا عليها ٠٠

ولا شك فى أن هؤلاء سوف ييسرون الفرص فى المستقبل للاقلية المحبة للمغامرة ، والتى أوتيت روحا ايجابية ، كى تقطف ثمار الحياة الحلوة سهلة بلا كثير عناء ٠٠ لان تخاذلهم يفسح المجال للعاملين الطموحين ٠٠

لا تغال فى طلب السلامة !

ولكن ، ترى ما رأى القائد الذى كان يسيطر على السبعين فى المائة من هؤلاء الخريجين ، الذين انخرطوا فى الجيش أثناء الحرب ؟٠٠ ما قوله فى أمنيتهم التى توحى اليهم بأن ينشدوا السلامة والامن قبل أى شىء ؟

ان هذا الرأى يتضح من سياق خطاب ألقاه الجنرال ايزنهاور – قائد الجيش الامريكى ثم قائد قوات الحلفاء ، فى الحرب العالمية الثانية ، ورئيس الجمهورية الامريكية الحالى – فى الطلبة المستجدين بجامعة كولومبيا حين كان عميدا لها ٠٠ اذ قال :

« أراه واجبا على – فى هذه الايام التى كثر ما نسمعه فيها عن السلامة والامن وضمانهما لكل ما نفعل ، وعن السلامة من

البرد والمطر والجوع – أراه واجبا على أن أصارحكم بأنكم اذا كنتم قد جئتم سعيا وراء تحقيق الامل فى السلامة الكاملة ، فليس هذا بالمكان الذى تجدون فيه تحقيق حلمكم ٠٠ **والواقع اننى أؤمن بأنه لن يكون فى وسع الجنس البشرى أن يمضى فى الحياة وأن يحتفظ بوجوده وكيانه لو تحققت له السلامة الكاملة** ٠٠ فما من قيمة تستحق أن تحيا من أجلها الا اذا كانت تستدعى الكفاح من أجل قضايا جديدة بأن يكافح من أجلها٠٠ هذا العام ، ولن تفرغوا من دراستكم فى هذا المعهد ، الا وقد وليس فى السلامة المطلقة كفاح !٠٠ وانى لآمل انه لن ينتهى أصبحت كلمة « الفرصة » علما ترفعونه فوق صارية حياتكم ، وتتبعونه حتى النهاية ! »

غامر ٠٠ تنجح

◆ ومن المفكرين الاذكيـــاء الذين يؤمنون بأن الاسراف والمغالاة فى طلب « السلامة » فى عصرنا هذا كفيل بأن يؤدى الى الدمار ، الدكتور فانيفـــار بوش ، الذى كان يرأس ادارة البحث والتقدم العلمى فى أمريكا خلال الحرب الماضية ، اذ يقول : « **ليس فى الحياة شىء اسمه السلامة المطلقة ٠٠ ففى هذه الدنيا المتقلبة ، المعقدة ، لامجال لسلامة فعالة ما لم توجد رغبة وشجاعة على تحمل الاخطار ومواجهتها** ٠٠ ولا أمل لنا فى أن نحمى أنفسنا الا اذا استطاع قومنا أن يصونوا وينمـــوا خيالهم ومقدرتهم على الابتكار ، والا اذا كانوا راغبين وقادرين على المغامرة وانتهاز الفرص لتجربة الحظ »

فالى أى مدى ينطبق هذا على خريجى الجامعات الامريكيـة فى سنة ١٩٤٩ ؟٠٠ وأين فيهم الرغبة الايجابية والجرأة على مواجهة الاخطار ؟

على أن هؤلاء الخريجين ليسوا فريدين فى نوعهم ٠٠ فلقد قام « كليفورد جيرجنسن » بتحليل ٣٧٢٣ طلبا قدمت الى شركة

الغاز في منيابوليس - بأمريكا - من أشخاص ينشدون أعمالا ، فتبين أن فى مقدمة ما يبغيه أولئك الاشخاص « السلامة » ٠٠ لا المرتب ، ولا الفرصة التى تمكنهم من اتيان جلائل الاعمال ، أو ضمان سلامة مراكزهم ٠٠ وانما « السلامة » وحدها ، وبالذات !

وقد يكون من الغباء أن لا ينشد الانسان قدرا من السلامة والامن ، ولكن ٠٠ عندما تكون هذه الرغبة محوطة بالمسالك السلبية والايجابية ، فان روح الرجل أو المرأة تمضى مترنحة ، مما يجعل سعيها الى تحقيق أغراضها أشد صعوبة وتعذرا ٠٠

ومن الصحيح أن نسبة الفشل فى المشروعات الجديدة تدعو للذعر ، وتثبط الهمم ٠٠ كذلك من الجلى أن جميع الناس لا يستطيعون أن ينصرفوا الى المشروعات الخاصة ، والا لما قامت الشركات ٠٠ ولكن المهم فى الامر ، أن الاتجاه الرئيسى والاساس لخريجى سنة ١٩٤٩ كان من السلبية بحيث يدعو للجزع ٠٠ **وما لم يتطور الامر بهؤلاء الشبان الى التفكير الايجابى، فلن يلبث معظمهم أن يقبعوا فى قاع المشروعات التجارية والصناعية ، نكرات مغمورة ٠٠ ولن تمضى سنوات حتى يندموا على اندفاعهم وراء السلامة المضمونة لانه صرفهم عن العمل لانفسهم ، وعن التقدم والرقى اللذين كان من الميسور أن ينالوهما بشىء من السعى الايجابى ٠٠**

كيف تحقق أحلام اليقظة

◆ **ان** أحلام اليقظة من أمتع الاشياء لاصحاب الشخصيات الايجابية وأصحاب الشخصيات السلبية على السواء ٠٠ فنحن جميعا نستمتع بأحلام النهار ٠٠ وكم من كاتب صغير فى احدى المؤسسات توحى اليه أحلامه أثناء العمل بأنه قد يرث ثروة من مصدر مجهول تمكنه من أن يبتاع الشركة بأسرها ، وأن

يسير فى انتفاخ الى الرئيس الذى يبغضه ليعلن اليه فى بساطة بأنه قد قرر أن يفصله من العمل !

وكل انسان تجعله أحلام النهار معجزة فوق مستوى البشر والخلق أجمعين !٠٠ ومما يدعو الى العجب أن كثيرا من الرجال والنساء يحيلون أحلام النهار - أو معظمها - الى حقائق !٠٠ لكن أكثر منهم بمراحل أولئك الذين يستطيعون أن يجعلوا أحلامهم حقائق لو أن رغبتهم اشتدت وقويت !؟

أما أولئك الذين يحيلون الاحلام حقائق ، فهم أصحاب الشخصيات الايجابية من الرجال والنساء ٠ وأما أصحاب الشخصيات السلبية فيقضون على أنفسهم بأن يعيشوا أمد الحياة فى أحلام !

انهم يخفقون فى أن يدركوا أن الانسان أوتى مقدرة لا حد لها على خداع نفسه ، وان هذه المقدرة تجعل الامانى - اذا لم يصحبها عمل ايجابى - خطرا يفوق فى أضراره كل مخدر أو خمر !

احلم ٠٠ ولكن حقق أحلامك !

وهناك نوعان من أصحاب أحلام النهار :

الحالمون الايجابيون : الذين يعملون على تحقيق رغباتهم ، ويتخذون الخطوات الاكيدة لاحالة الاحلام الى حقائق ، ويعنون بمعالجة مشكلاتهم بروح عملية ٠٠ و ٠٠

الحالمون السلبيون : الذين لا يقدمون على أية خطوة لتحقيق رغباتهم ؛ بل يستسلمون للاحلام تحل لهم مشكلاتهم بمعجزات، وللامانى الفارغة المبهمة التى تزين لهم التمنى فى محل العمل!

وأنت ولا بد تمارس أحلام النهار ، فمن المهم أن تحدد من أى الفريقين أنت ٠٠ أن ترى الفارق بين مجرد التمنى ، وبين الاقدام على عمل ايجابى للسعى لتحقيق رغباتك ٠٠ انك تسبب الاشياء التى تقع لك فى الحياة ، أما ما هى هذه الاشياء ، وأين

هى ، وما موعدها ، وكيف تقع ، فهذه كلها أمور تتوقف على مدى اتجاهك فى الحياة سلبيا كان أو ايجابيا ، وعلى ما قد يحدث بين الاتجاهين أحيانا من صراع ..

واذا كنت من مدمنى أحلام النهار ، فخليق بك أن تبحث عما ينبغى عمله.. والجواب يتوقف على مدى حدة الادمان ، ومدى تغلغل التجارب التى عجلت باستفحال هذه العادة فى نفسك ، ومدى رغبتك فى أن تتخلص منها .. وهناك أمر مؤكد لا ريب فيه ، هو أنك لن تتخلص من العادة بمجرد التغاضى عنها والتمويه على نفسك ، بل لا بد لك من أن تهاجمها بطعنات ايجابية حتى تصرعها وتضعها تحت سيطرتك !

ان قوة أحلام النهار نعمة من الله ، وانما تتأتى النقمة والخيبة والفشل عن طريق سوء استغلال تلك الاحلام .. والعقبة التى تعترض سبيل الحالم هى أنه يهفو الى تحقيق كل أحلامه مجتمعة فى وقت واحد ، وفى الحال !.. وهو يحلم بسلطان وبمقتضيات تفوق ما فى طاقته أن يحصل عليه ، ويأبى أن يعدل فى أحلامه بحيث تتلاءم مع طاقته !

كن واقعيا .. وحذار من اليأس والغرور !

من ذلك أن المستخدم الصغير فى احدى شركات صناعة السيارات ، لا يعنى عادة بالتفصيلات البسيطة المتعلقة بعمله ، اللهم الا ما لا بد له من الالمام بها للاحتفاظ بعيشه .. ولكنه يريد أن يقفز السلم بدلا من أن يصعده درجة اثر درجة .. فاذا ما خلا منصب رئيس القسم الذى فيه تراه يتقدم ليشغله ، وقد يرفض طلبه لان استعداده لم يكتمل الى الدرجة التى تجعله كفئا للمنصب .. واذ ذاك ، تراه بدلا من أن يسعى الى اعداد نفسه من جديد لفرصة جديدة ، يتحول الى لوم رؤسائه ، ويروح يحلم بيوم يصبح فيه رئيسا للشركة فيرى جميع من فيها أى انسان ممتاز هو !!

اتقن كل عمل تضطلع به ..!

وقد تجد مع هذا الشخص فى نفس المؤسسة التى يعمل بها شخصا آخر من النوع ذى الشخصية الايجابية : **فتراه يحلم مثله بالامانى ، ولكنه لا يحاول أن يطفر فجأة الى نهاية الطريق، بل يقنع بالعمل على اتقان المهام الموكلة اليه ، وعلى دراسة دقائق العمل فى القسم الذى ينتمى اليه ، مستبقيا أحلامه تحت سيطرته ، فهو الذى يمسك بزمامها ، وليست هى التى تستبد به !.. وتراه يعالج مشكلاته وعقباته تباعا ، كلا على حدة بما يلائمها ، بدلا من أن يطمع فى أن تتحقق أحلامه جميعا دفعة واحدة ، ودون ما جهد أو بذل..**

والمثل الحى لهذا ، شخص يدعى « نيكولاس دريستات » ، بدأ عمله كميكانيكى صغير وأخذ يرقى السلم درجة درجة ، وهو يتحسس مواقع قدميه ويثبت خطاه ، حتى صار مديرا لمصانع « كاديلاك » للسيارات فى « شيكاغو » .. ثم مضى الشاب ذو الشخصية الايجابية قدما ، حتى اختير وكيلا لرئيس مجلس ادارة « جنرال موتورز » .. ومنذ عهد غير بعيد ، اختير وهو لم يتجاوز السابعة والخمسين ، ليكون على رأس شركة « شيفروليه » أكبر شركات العالم انتاجا للسيارات ..

وكم من زميل له من الطراز السلبى الذى قدمناه لا يزال قابعا فى مركز صغير ، قانعا بأن يحلم بأنه سيغدو رئيس شركة كبرى .. فى الاحلام فحسب !

وخير برنامج لزيادة الايجابية فى شخصيتك ، انما ينبعث من تطور النضوج الذهنى الصحيح والخبرة الحقة التى تستمد منها المعرفة والدراية فى حياتك اليومية ..

وقد يحسن بك اذا كنت قد استكملت النضوج ، أو كنت فى سبيلك لاستكماله ، أن تسعى لفهم ذلك السحر المدهش ، وتلك القوة العجيبة ، اللذين يتأتيان عن تنمية الكفايات التالية التى لا غنى عنها اذا شئت أن تحيا حياة كاملة :

١ ـ **القدرة** على التفكير والعمل فى اعتداد وثقة ، على تعرف ما تريد وتبغى ..

٢ ـ **القدرة** على تحمل المسئولية ـ لا مجرد قبولها فحسب ـ والاضطلاع بها بروح مجددة ، مبتكرة ، وعلى البت فى الامور والعمل بما تتخذه فى شأنها من قرارات

٣ ـ **القدرة** على أن تؤدى العمل الذى يحتاج لاداء ، لمجرد أنه يحتاج لان يؤدى ، ولو كان يبعد بك مؤقتا عن رغباتك الخاصة الملحة ..

٤ ـ **القدرة** على تحمل الصدمات فلا تجعلها تقعد بك ..

٥ ـ **القدرة** على أن تظهر التقدير والعطف والحب لاولئك الذين تنفرك فيهم غاياتهم الانانية ، وعلى أن تخلص فى ولاء للقضايا العادلة والمبادىء الطيبة

٦ ـ **القدرة** على التخلص من الوحدة والعزلة ، وعلى اكتساب الاصدقاء والاحتفاظ بودهم

٧ ـ **القدرة** على كبح جماح الحسد والغيرة والندم والرثاء للنفس والقلق والنظر للحياة بمنظار أسود .. بل القدرة على الارتفاع بنفسك فوق هذه المشاعر

٨ ـ **القدرة** على التعاون فى حماس ورغبة ، وعلى الاضطلاع بنصيبك كاملا من الاعباء ، حتى فى أشد الظروف تأثيرا عليك ..

٩ ـ **القدرة** على مواجهة الحياة ومشكلاتها اليومية فى استعداد وعزم ، ودون تردد أو خداع للنفس ..

١٠ ـ **القدرة** على الاستسلام فى الامور التافهة ، لتتراجع حتى تحمى ظهرك ثم تواصل الكفاح الى النهاية دفاعا عن كرامة مشاعرك وعن تماسك شخصيتك ، فلا تتخل عن شىء من الامور التى يتغلغل الايمان بها فى قلبك ، ولا عن عنصر من العناصر التى تقوم عليها شخصيتك ..

ان فن الحياة الايجابية يتطلب منـــا أن نكون صريحين ، دقيقين فى تعرف وتحديد ما نريد ، وفى طلب هذا الذى نريد والسعى وراءه ٠٠ وأن تكون لنا خطط نبنيها على أسس متينة، ونعـــززها بقرارات حاسمة قوية ، معقـــولة ، ثم نمضى فى العمل لتنفيذها فى دأب ٠٠ وأن نكون متفائلين ٠٠ وأن نكون دواما على حذر لا يلين من الافكار السلبية والعـــادات والاعمال السلبية ٠٠ وأن نمارس النظرة الايجابيه للحياة فى دأب ومواظبة حتى تصبح عادة تلقائيه ، أوتوماتيكية ٠٠

اذ ذاك ، سنستمتع دون ريب بلذة العيش الايجابى ٠٠ فان للحياة الايجابية قوة لا حد لها ولا نهاية ٠٠

غير مسلكك فى الحياة

◆ والآن لعل خير خاتمة لهذا البحث هو أن تضع هـذا الجدول أمامك وتسجل فى كل يوم ما تحققه منه :

الى الاتجاهات الايجابية التالية :	من الاتجاهات السلبية التالية :
الشجاعة	الخوف
التوفيق	الاخفاق
التفاؤل	الشك
البت والحسم	التردد
التحقيق	الكبت
التحمس	التقاعس
السعى لارضاء الامانى	القنوط
التفكير الهادىء السليم	الارتباك
الصداقة	الوحدة
الجرأة والاقدام	التراجع وكبح الرغبات
الايمان بالنفس	التوجس
مواجهة الحياة بنظرة واقعية	التفكير المبهم المائع
العمل المنتج	التعلل والتراخى
الامل	اليأس

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قرات معى فى الاعداد السابقة ، من القصص الآتية على التوالى :

لوكريشيا بورجيا

« تيبريوس » قيصر روما

عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)

فضيحة «كارولين» ملكة انجلترا

الحب أقوى من الموت !

امرأة وملك (مدام دى مانتنون)

نيرون : الطاغية السفاح

ليدى هاملتون

مارى انطوانيت

مصرع القيصرية فى روسيا

ملكة الغواية: بولين بونابرت

واليوم أقدم اليك فيما يلى قصة مأساة الملك الشاب « لويس الثانى » ـ ملك بافاريا أيام بسمارك ـ الذى كانت حياته ووفاته مأساة مزدوجة ، ولغزا استعصى على الحل !

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله المزيد من قصص التاريخ الشائقة ومآسيه الكبرى .





هل قتل .. أم انتحر ؟

نهاية غامضة لملك مجنون !

مأساة لويس الثاني
ملك باڤاريا

للكاتب الفرنسي المعاصر "چاك بانفيل"

عضو الأكاديمية الفرنسية

حياة فاجعة ٠٠ ونهاية غامضة !

◆ هذه مأساة ملك شاب ٠٠ ليست الاولى من نوعها ولم تكن الاخيرة ولن تكون ! ملك نشأ محبا للاداب عاشقا للفنون ، ولكن استبدت به نزوات جامحة ٠٠ ورغبات رعناء ٠٠ فلم يكن لنزواته صمام ولا لرغباته لجام ! كان يكفى أن يريد شيئا لتصبح ارادتههى المبرر الوحيد الاوحد لان يكون ما يريد !

وكانت النتيجة مأساة مفجعة ، ونهاية فظيعة مروعة : حقا ، ما كان أعجب القدر الذى رصدته السماء للويس الثانى ملك بافاريا ! لقد حكم تلك المقاطعة من المانيا قبل أن تخضع لحكم بروسيا ، وشغف فى بدء حكمه بالفنون ، وأولع بالاداب ٠٠ وازدان ملكه وارتفع قدره حين استقبل « فاجنر » فى بلاده استقبال الالهة المعبودين .. ومع ذلك فانه أخذ ينحدر ، ولم يكن لانحداره سبب .. فقد كان يكره الجماهير كرها ليس له حد !.. ترى هل كان التعس مجنونا ؟! أم أن الحرية عنده كانت تعنى اشياء غير مباحة حتى لذوى التيجان ؟!

لقد انتهت حياته بأن ألب بتصرفاته الوزراء عليه ، يظاهرهم فى ذلك البرلمان ٠٠ غير أنه ظل سادرا فى تصرفاته لا يعبأ بقانون ولادستور ولا عرف ولا تقليد . ومن هنا بدأت المأساة ..

أما كيف انتهت المأساة فهذا ما ستقرأه فى الصفحات التالية :

نزوات ٠٠ توحى بالجنون !

◆ لم تمض بضعة شهور على ارتقاء لويس الثانى عرش بافاريا حتى أخذت الشائعات تتناثر فيها ـ بل وفى أوربا كلها ـ بأن الملك الشاب ليس سليم العقل ! فهل كانت تلك الاشاعات مغرضة قصد بها التشهير به وتشويه سمعته ، أم كانت تسرعا فى الحكم عليه ؟! ٠٠ مهما يكن من أمر ، فقد شقت الاشاعات طريقها الى العالم كله ٠٠ حتى علم بها لويس الثانى

نفسه ! ولكنه لم يأبه لها ، بل احتقرها واحتقر مروجيها ولم يكلف نفسه عناء بذل أى مجهود لتكذيبها ، لا بالقول ، ولا بالفعل - بأن يقلع مثلا عن بعض عاداته أو يغير قليلا من نظام حياته ، أو يحد من نزواته !؟

وكان من أهم ما أشيع عنه كرهه الشديد للناس ونفوره من المجتمع .. ولم يكن ما قيل عنه فى هذا الصدد كذبا أو اختلاقا ، فقد كان يكفيه أن يعلم بنبأ قدوم احدى الشخصيات الكبيرة لزيارته أو عزم أحد أفراد الاسرات المالـــكة فى تلك العهود على الحضور الى بافاريا لينزل ضيفا عليه ، كان يكفى هذا ليجعله يفر الى أحد الجبال معتصما به .. أو يلجأ الى أحد قصوره مختبئا فيه قبل قدوم الزائر الكبير ..!!

ماذا كان مبعث هذا الاحساس عنده ؟! هل هو حالة مرضية؟ أم أن بعض الوجوه هى التى كانت تثير فيه هذه الكراهية بل هذا الرعب !؟

لنستعرض مثالا يزيد الامر وضوحا : كان لويس الثانى فى الثلاثين من عمره حين جلس يتناول عشاءه ذات مساء فى قصره بضاحية « هوهنشفاجنو » ، تبدو عليه سيماء الغبطـة والمرح ، وفيما هو جالس جاءته رسالة تنبئه بأن ابن عمـــه دوق النمسا الكبير - وكان يصطاد فى الضواحى القريبة - سيحضر الى قصره فى المساء لزيارته ..

لم يكن فى تلك الرسالة ما يثير الرعب أو الفزع . ورغم ذلك فانه ما كاد يعلم بها حتى امتقع وجهه وعرته صفرة الموت، وانقلب مرحه فجأة الى قتامة سوداء ، ثم نهض من على المائدة وأصدر أوامره بأن تعد له عربته وتشد اليها الجياد فى الحال .. وغادر المكان الى مدينة « شتنجـادن » ، ولم يعـــد الى « هوهنشفاجنو » الا بعد أن استوثق من أن ابن عمه قد رحل

.. فتنفس الصعداء لانه تخلص من الزائر ، كما لو كان هذا الزائر ملاك الموت !!

ولم يكن لويس الثانى يفرق بين مقتضيات البلاط وعادات الشعب ، وكانت تقاليد المجتمع التى تفرض عليه كملك توغر صدره وتثير ثائرته .. بحيث كان قلما يحضر الحفلات الرسمية أو حتى الحفلات الشعبية .. فاذا أرغم على حضورها حضرها مجبرا ذاهب الصبر ... ان مجرد وجوده مع الناس ـ سواء كان ذلك فى مجتمعات خاصة أو عامة ـ كان سببا كافيا لان ينغص عليه صفو حياته على أية صورة ، وفى أى مكان .. !؟

وفى المآدب الرسمية كان يبدو نفوره من الناس عنيفا ، اذ كان يكره الوزراء ورجال السياسة ويرى فيهم طبقة من المتملقين المداهنين ، أشد انحطاطا فى تقديره من عامة الشعب! بل انه على العكس كان يحب الفلاحين ورجال الشارع وطبقة الخدم لانه كان يرى فيهم البساطة والطيبة وعدم التواء السريرة ! .. وبلغ من نفوره من الناس انه كان اذا اضطر الى تصدر احدى المآدب الرسمية يتعمد أن يضع أمامه على المائدة باقة ضخمة من الورد حتى تحجب عنه بقدر الاستطاعة وجوه المدعوين !!

من أجل كل هذا لم يكن غريبا أن تتناثر الاشاعات فى ألمانيا ـ بل فى أوربا كلها ـ طيلة عشرين عاما كاملة ، مؤكدة أن الملك الجالس على عرش بافاريا ملك مجنون !!

صحة .. وشراهة .. ومغامرات !

◆ **وكان** لويس الثانى مدمنا على السهر ، مدمنا على نزواته الليلية ، فأحدث ذلك أثرا سيئا فى صحته ، بحيث صار دائم الشكوى من صداع شديد مستمر .. الا انه فيما عدا ذلك كان مكتمل الصحة موفور الشباب ، شرها فى الاكل ، ذا معدة من حديد !! وكان اذا اشتد به الصداع قضى ليالى بأكملها فى

الهواء الطلق ، يتوسد الارض فى الغابات حينا ، وعلى سفوح جبال التيرول أحيانا ، حيث كان يرى ملفوفا فى الاغطية نائما فى العراء ٠٠ فاذا اشتد به التفزز العصبى لجأ الى بعض الالعاب الرياضية العنيفة أو الى الرحلات الشاقة التى كثيرا ما كانت تعرض حياته للاخطار !!

وكثيرا ما اتخذت هذه « النورستانيا » مظاهر واضحة الانحراف ، منها ما كانت تتضمنه عبارات الملك التى يتفوه بها أمام خدمه ، من الخرف والهذيان ! وكان هو يلحظ على نفسه هذا الاختلال ، فقد قال مرة لاحد خدامه : « ان الصحف تطلب منى شططا حين تريدنى على أن أكون باسما ضحوكا على الدوام ٠٠ ان هذه الحياة المتكررة المملة ترهقنى !! »

وكان اذا غضب ثار كالبركان على جميع من حوله ، يستوى فى ذلك خدم القصر وكبار رجاله مثل « زيجلر » ، الذى كان كثير التبرم والشكوى من عمله مع ذلك الملك الشاذ !٠٠ وكأن لويس الثانى كان يدرك حقيقة خلقه ، فقد قال مرة « اننى لن أقبل بأى ثمن أن أشغل الوظيفة التى يشغلها رئيس ديوانى ٠٠ !! »

وفوق كل ما تقدم فقد بلغ اسراف الملك وتبذيره حدا جنونيا أثار عليه رجال الدولة ٠٠ وطالما نصحه « زيجلر » بالكف عن التبذير ، ولكنه كان يصم أذنيه ويمضى فى غيه !

مقياس الجنون !

◆ **وبدأت** بوادر المأساة تلوح فى أفق الملك الضليل فى عام ١٨٨٣ ، حين كتب « دى نومابيه » تقريره المشهور الذى رفعه الى الحكومة ، فشكلت على أثره لجنة قررت ادخال الملك الى احدى مصحات الامراض العقلية !! كتب « دى نومابيه » يقول: « ان الملك كف عن مصاحبة الرجال المتعلمين !! » ولكن هل ينهض هذا دليلا على الجنون ؟! وهلا يعتبر من الظلم أن يحكم على ملك بالجنون لانه يميل الى معاشرة غير المتعلمين أو لان

ذوقه لا يوائم مزاج طبقة المتعلمين ؟ !

ولقد ثأرت الطبقة المذكورة لنفسها منه على أتم وجه ، اذ كانت هى مصدر جميع الاشاعات الشائنة عنه ، ومصدر جميع أقوال السوء فيه !! ٠٠ وازداد موقف لويس الثانى سوءا عندما وزعت ضده منشورات عزت اليه ارتكاب جرائم خلقية يقشعر لهولها البدن ، دون أن يقوم دليل واحد من تصرفاته يؤيد صحة ما ذهب اليه خصومه وافتروه عليه !

ولنعد الى نقطة الارتكاز فى هذه المأساة : فهل كان ذلك الملك مجنونا حقا؟ ان كثيرا من تصرفاته كانت تؤيد هذا الزعم ، فكثيرا ما كان يسمع وهو يتكلم فى وحدته بصوت مرتفع ٠ وكان يقول كل ما يدور فى مخيلته دون تحفظ أو روية أو تفكير ، أو مراعاة لمركز الذين يخاطبهم! ٠٠ وكانت سخريته مريرة لاذعة، وألفاظه شديدة نابية ، حتى لقد أحفظ عليه قلوب كبار رجال الدولة ٠٠ كما لم يستطع الاحتفاظ بود الصغار منهم ٠ **ومن المضحكات المبكيات فى هذا الصدد انه أمر أحد خدمه مرة بألا يظهر أمامه الا مقنعا ، لانه كان دميم الخلقة ! وقيل انه قتل خادما آخر بصورة بشعة بأن أقفل عليه ذراعى أحد الابواب وظل يضغط عليه بقسوة ووحشية حتى مات ! ٠٠ وكان ينتهك رجولة وزرائه وكبار رجال قصره ، بقصد الترويح عن نفسه أو السخرية منهم والاستهزاء بهم !**

أما فى ملبسه فكان الملك غريبا حقا ، لا يعنيه الذوق ولا تهمه التقاليد من قريب أو بعيد ٠٠ فكان يخيل اليه أحيانا أن يلبس القبعة العالية السوداء التى لا تلبس الا فى الحفلات الرسمية ، فى الوقت الذى يرتدى فيه بنطلونا قصيرا من النوع الذى يلبس فى الرحلات ! ٠٠ فكان هندامه وحده كافيا لان يجعل الناس تحكم عليه بالجنون !!

وعليه فقد رفع طلب خلع الملك الى الوزير « لوتز » ـ المختص من بين وزراء ألمانيا بشؤون الولايات التابعة لها ولكن لوتز كان من أنصار الملك المطلوب خلعه ، فرد



الامير لوتبولد

على حكومة بافاريا يقول : « انه ليس هناك ما يؤخذ على الملك، الذى يحكم بـلاده حتى الآن بطريقة دستورية ! »

وفى الحقيقةان تصرفات الملك وسلوكه الخاص لم تكن لتثير الشعب ضده ، الا أن شيئـا واحدا فى تصرفاته أثار عليـه طبقات الشعب وهو اسرافـه الجنونى وتبذيره الذى يصل الى حد الخيال ٠٠ وهكذا بمـرور الايام أفلحت الاشاعات أخيرا، ونجح التنديد المستمر بتصرفات الملك والتشهير به فى اثارة الناس عليه ٠٠ فكانت النتيجة ان استولى الامير « لوتبولد » عم الملك – على السلطة كوصى على العرش !

ولكن كيف تم ذلك ؟

ديون ٠٠ وقروض ٠٠ وتهديد بالانتحار !

◆ **ازداد** موقف الملك سوءا عندما أخذت ديونه تتراكم ٠ وقد لجأ دائنوه الى شتى الطرق لاستخلاص ديونهم منه فلما فشلوا راحوا يشهرون به ويعرضون بكرامته فى كل مكان ٠٠ أما هو فظل سادرا فى غيه لا يعنيه الا أن ينفق المال بغـير حساب ، لان الاسراف فى نظره « هو من مزايا التاج وحقوقه وليس فى نيتى أن أفرط فيما لى من حقوق !! »

وأمام مطالب الملك التى لا تنتهى اضطر وزير ماليته مسيو « راندل » فى سنة ١٨٨٤ الى أن يعقد له قرضا بمبلغ سبعة

ملايين ونصف مليون مارك . ولكن الملك عاد فى سنة ١٨٨٥ - أى بعد عام واحد - الى طلب ستة ملايين أخرى ! .. وفى هذه المرة رفض « راندل » وقدم استقالته . ولكن لويس الثانى كان عاقلا ، على خلاف العادة ، فرفض قبول استقالة وزيـر ماليته وسط هدير الغضب والتهديد بالانتحار .. !

وأمضى الملك مطلع عام ١٨٨٦ فى التهرب من دائنيه بكل الوسائل ، فطلب من وزير داخليته اتخاذ الخطوات اللازمة لجعل جميع أملاك التاج غير قابلة للحجز عليها .. فرفض الوزير طلبه قائلا انه يتنافى مع كرامة العــرش ! .. وتمت الفضيحة وبانت سافرة فى ٥ مايو من ذلك العام حين رفع مجلس الوزراء عريضة الى الملك يطلب منه فيها أن يوقف سيل تبذيره الجارف وان يفكر فى مصير الشعب وكرامة الاسرة المالكة .. فما كادت العريضة تصل اليه حتى ثار كالبركان ورد عـلى مجلس الوزراء بقوله : « اننى سأعهد بتشكيل وزارة جديدة تؤلف من الطباخ والحلاق وخدم القصر ! »

تهيئة الشعب للنبأ ..

وكانت سخرية الملك بمجلس وزرائه ، بهذا الاسلوب المقذع ، نقطة التحول التى حددت مصيره المحتوم وجعلته قاب قوسين أو أدنى من النهاية .. اذ لم تمض أيام حتى تقرر تأليف مجلس الوصاية عليه برياسة عمه الامير « لتبولد » - صاحب الحق الذى يلى الملك مباشرة - ثم كان أول شىء وجه مجلس الوزراء همه اليه تهيئة الشعب للنبأ ، وقد أعلنه مجلس الوزراء هكذا : « ان الملك قد أصيب بالجنون وعليه فقد أصبح عاجزا عن تحمل أعباء الملك » .. وعلى أثر ذلك تألفت لجنة من الاطباء الاخصائيين فى الامراض العقلية ، ومع ان اللجنة لم تتمكن من فحص الملك الا أنها برغم ذلك أصدرت البيان الآتى : « **نقرر نحن الاطباء الموقعون على هذا بالاجماع ما يأتى : أولا - ان حالة**

الملك العقلية أصبحت مضطربة اضطرابا كبيرا • وهو مصاب بالمرض العقلي المسمى « بارانويا » وثانيا ـ ان هذا المرض بطيء في تأثيره ولكنه مستمر ويدوم عدة سنين وهو غير قابل للشفاء • وعليه فان الملك سيستمر في فقد توازنه العقلي شيئا فشيئا • وثالثا ـ ان هذا المرض قد حطم عند جلالته جميع قوى الادراك والتمييز وعليه فقد أصبح من المتعذر عليه تولى أعنة الملك ، مدى حياته ! »

صدر بميونيخ في ٨ يونية سنة ١٨٨٦

توقيعات : الدكتور فون جادن • الدكتور هاجن • الدكتور جراشي • الدكتور هابرك

مواجهة الملك بالقرار المشؤوم !

بعد هذه الخطوة كان على مجلس الوزراء أن يتخذ خطوتين : الاولى هي اعلان الملك بقرار الاطباء سالف الذكر ، فاذا تم ذلك حجز في أحد قصوره • والخطوة الثانية هي اعلان الشعب البافارى بالتغيير الخطير الذى سيطرأ على نظام الحكم ••

وكانت أشد الخطوتين حساسية ودقة هي الخطوة الاولى •• فكيف يواجه الملك بقرار خلعه عن العرش ؟

قر الرأى على تكوين هيئة من كبار الشخصيات لتتوجه الى الملك وتعلنه بذلك القرار المشؤوم • وقد تكونت الهيئة وانضم اليها الدكتور « جادن » الذى وكل اليه أمر الاشراف على صحة الملك وعلاجه ، بمعاونة عدد كبير من الممرضين •• وبعد أربعة أيام ـ في التاسع من يونية ـ سافرت الهيئة المذكورة من ميونيخ لتفاجيء الملك أثناء وجوده في بلدة « نويشفانستاين » ، وكان قد ترامى الى سمعه ان دسيسة تدبر ضده ـ وأغلب الظن ان الذى أنبأه بها هو الكونت « دوركهايم مونمارتان » صديقه الصدوق !

أمضت البعثة الليل في « هوهنشفاجنو » ، وفي الصباح

الباكر رحلت الى « نويشفانستاين » التي تبعد مسافة كيلومتر واحد ٠ وكان مقررا أن يعلن فى ذلك الصباح في جميع أنحاء بافاريا قرار تعيين الامير لوتبولد وصيا على العرش ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه الجريدة الرسمية وثيقة خلع الملك كما أصدرتها الوزارة ٠٠ كان مقدرا أن يتم كل ذلك فى يوم واحد ٠٠ !

ثورة الفلاحين تحبط الخطة !

ولكن هذا التقدير قد خاب ٠٠ فقد أحيط لويس الثانى علما بخبر وصول البعثة الحكومية ومقصدها ، **فتجمع الفلاحون ـ الذين كانوا يبغضون سادة ميونيخ ويحبون الملك الذى كان يفضلهم على السادة الارستقراطيين ! تجمعوا وتجمهروا وثاروا ثورة عنيفة ، واتخذ الملك حيطته كذلك وجند كل قواه لمقاومة القادمين ، فأصدر أوامره الى حراس القصر بأن يمنعوا كائنا من كان من الدنو من أسواره أو الدخول اليه !**

وكان سادة ميونيخ قد حسبوا أنهم سيفاجئون الملك ويأخذونه على غرة ٠٠ فلما حانت الساعة المحددة للتنفيذ توجهت بعثة الوصى على العرش فى الصباح الباكر الى القصر وكان أعضاؤها بملابسهم الموشاة بالذهب ، فما كادوا يقتربون منه حتى فوجئوا برؤية رجال البوليس والمطافىء وأهالى التيرول المخلصين للملك وقد اصطفوا صفا واحدا قويا ليحولوا بينهم وبين مجرد الدنو من القصر !

عندئذ وقف أحد أعضاء بعثة الوصى يتلو الاوامر الصادرة بخلع الملك وتعيين عمه وصيا على العرش ٠ ولكن تلاوة هذه الاوامر لم تحدث فى الجماهير المحتشدة أى أثر ، فانها ظلت واقفة مع الحراس تنفذ أوامر الملك ! فلما هم أعضاء البعثة بالدخول الى القصر بالقوة أجابهم الحرس بالقاء القبض عليهم جميعا وساقوهم الى داخل القصر مخفورين ٠٠ ولولا المجهود الذي بذله البوليس لحمايتهم لفتكت الجماهير بهم فتكا ذريعا !

اعتقال أعضاء البعثة في زنزانة !

◆ **سجن** المبعوثون جميعا فى غرفة مظلمة وقد أخذ الرعب يتملكهم من عواقب تلك المغامرة التى لم يكونوا يعرفون مداها ! وكان من الطبيعى أن يستبد الغضب بالملك ٠ ولكن ثائرته هدأت بعد وقت وجيز فأصدر أمره باطلاق سراح السجناء والعودة من حيث أتوا ٠٠ فعادوا الى الوصى على العرش يقصون عليه ما صادفوه من أهوال فى سبيل أداء مهمتهم الشاقة !!

تعقد الموقف وأصبح محفوفا بالاخطار ٠ وأصبح يخشى أن يعمد لويس الثانى - وقد رأى الخطر المحدق به - الى اتخاذ اجراءات شديدة قد تسبب متاعب جمة للوصى على العرش ، كأن يلجأ الى بلد أجنبى مثلا !

وفعلا بدأ الملك يعمل : فأرسل عريضة - بمعاونة صديقه دوركهايم مونمارتن - الى غليوم الاول يشكو اليه فيها عمه الامير لوتبولد ٠ كما أرسل برقية أخرى الى امبراطور النمسا ٠ ثم أردف هذا بقرار مضاد لقرار الوصى يتهمه فيه بالخيانة العظمى !

ولكن محاولاته جميعا للصمود ذهبت أدراج الرياح ، فقد ضيقت الحكومة الخناق عليه من كل جانب ٠٠ فلم يجد مناصا من التسليم آخر الامر ، ورفض الهرب الى النمسا ٠٠ مع ان صديقه دوركهايم مونمارتان ضمن له السلامة ان هو فعل !

وهكذا ، فى يوم ١١ يونية توجه الدكتور جادن يصحبه مساعده الدكتور مولر وبعض المرافقين الى حيث كان يقيم الملك فى « نويشفانشتاين » ، وكانوا فى هذه المرة تحت حراسة قوية من الجنودالمدججين بالسلاح ٠٠ فلما بلغوا القصر دخلوه بغير صعوبة ، اذ لم يكن فى هذه المرة ثمة حراس على بابه لان لويس الثانى عندما رأى الجميع قد تخلوا عنه فى محنته أعفى البقية الباقية من حراسه الاوفياء وطلب اليهم أن لا يعرضوا أنفسهم للاخطار فى سبيله ٠٠٠

فى تلك اللحظات المشئومة بدأت فكرة الانتحار تطوف بمخيلة الملك التعس ، فقد قيل انه طلب من أحد خدامه ان يزوده بسم ، ولكن الخادم رفض اجابته الى ما يطلب ٠٠ فلجأ الى طريقة أخرى : انتهز لحظة وصول الدكتور جادن وأعوانه الى القصر ، فزعم انه يرغب فى الصعود الى سطح القصر ليطوف به من أعلاه ٠٠ ولكن الخدم فطنوا الى مقصده فاعتذروا من اجابته الى ما يطلب بحجة أن السلم الذى يقود الى السطح مغلق !!

تدبير حيلة لاعتقال الملك !

وهنا كان الدكتور جادن ومرافقوه فى داخل القصر ، فأحيطوا علما برغبة الملك الاخيرة ، ووجدوها فرصة سانحة لنصب الشرك الذى يقع فيه الملك حتى يتمكنوا من القبض عليه ! فأمر الدكتور جادن الخدم بأن يخبروا الملك بأن مفتاح السلم الذى يقود الى سطح القصر قد وجد ، وانه يستطيع ــ ان أراد ــ الصعود فى أى وقت يشاء ٠٠ واختبأ الطبيبان ومرافقوهما فى حجرة صغيرة مظلمة بجوار السلم ٠٠ ولم تمض لحظات قصيرة حتى سمعوا وقع أقدام تسير فى تثاقل وثبات متجهة الى السلم ٠ وكان القادم هو الملك ٠ فما كاد يقترب من مخبأ الطبيبين حتى وجد نفسه فى طرفة عين محوطا بهما وبعدد عديد من الممرضين الذين عاجلوه بالهجوم عليه بسرعة خاطفة وأوثقوا يديه ٠٠ وهنا وجه اليه الدكتور جادن الكلام قائلا :

ــ لقد كلفت اليوم يامولاى بأشق مهمة واجهتنى فى حياتى ٠ لقد فحصك أربعة من كبار الاطباء الاخصائيين فى الامراض العقلية وقرروا عدم صلاحيتك لتولى أعباء الملك ٠ وعليه فقد أصبح الامير لوتبولد وصيا على العرش ٠ ولقد أمرت يا مولاى بأن أصحبكم اليوم الى قصر « برج » ، فاذا سمحتم جلالتكم فان العربة ستكون معدة فى الساعة الرابعة ٠

فأجاب الملك وقد تملكه الغضب والالم معا :

ــ ماذا تريدون أن تصنعوا بى ؟! وما معنى كل هذا ؟؟

ثم ترك نفسه بين أيديهم ، وسار وسطهم مستسلما فى خطوات بطيئة متثاقلة ٠٠ وقدم الدكتور جـــادن الى الملك الاشخاص الذين وقع الاختيار عليهم ليعاونوه فى العناية به والاشراف على علاجه ، فحياهم بلطف ووقار ٠٠ ثم أخذ يتحدث الى الدكتور جادن متبسطا ٠٠ كان يتحدث عن الجنون بغاية الاتزان و« العقل » ! ثم سأله قائلا: «كيف تستطيع أن تحكم على بالجنون وأنت لم تفحصنى قط ؟ ! » فأجابه الطبيب بوقاحة :

ـ ليس من الضرورى أن أفحصك بنفسى يامولاى ٠٠ ان تقرير زملائى الاطباء الاربعة مقنع وكاف للغاية ٠٠ !

ـ وما هى المدة التى تظن أن علاجى سيستغرقها ؟

ـ ان الدستور ينص يامولاى على أن الملك يمتنع عن مزاولة سلطاته الدستورية لمدة عام على الاقل اذا طرأ من الاسباب ما يبرر ذلك ٠٠ وفى خلال هذا العام يتولى السلطات الدستورية وصى على العرش ٠ فمدة عام اذن هى أقل مدة يستغرقها علاج جلالتكم ما دام ان الوصى على العرش قد بدأ يزاول سلطاتـــه الدستورية فعلا ٠٠٠

ـ ولكن من يدرى ؟ فقد تتطور الامور بأسرع مما تظن ٠٠ ان القضاء على رجل ليس من الامور العسيرة !!

ـ ان شرفى كطبيب يمنعنى من فعل ما تتوهم يامولاى ٠٠ ويمنعنى من الرد على هذا السؤال !

عندئذ طلب الملك من الدكتور جادن أن يتركه وحيدا ، ولكن الطبيب اجابه بأن هذا غير مستطاع لان جلالته سيصبح منذ تلك اللحظة تحت مراقبة دقيقة مستمرة ليلا ونهارا ! فاستشاط الملك غضبا لدى سماعه هذا ، ولكنه تمكن من ضبط أعصابه بسرعة ٠٠

وفى الساعة المحددة كانت العربة تقل الملك الى قصر «برج» ٠٠ وعند خروجه من القصر كان آلاف من سكان التيرول ـ وجميعهم

من الموالين له ـ قد تجمعوا على باب القصر وهم على أهبة الاستعداد لنجدته والثورة على سجانيه عند أول اشارة تصدر منه اليهم ٠ ولكنه اكتفى بتحيتهم بابتسامة رقيقة تدل على الخضوع والتسليم !

وما كاد يقترب من بحيرة « ستاروبرج » حتى أفاق من شرود ذهنه على هتاف الفلاحين والسياح وتحيتهم له ٠٠ فنزل من العربة وطلب ماء ، فلما جيء له به شرب منه كمية حتى ارتوى

ولما دخل قصر « برج » تذكر صباه وأيام شبابه السعيدة ـ فقد استقبل فى هذا القصر الموسيقى الخالد «فاجنر»! ـ ووجد أن القصر لم يتغير كثيرا عما كان عليه ، وان كان الاطباء المعالجين قد تمكنوا من أن يقلبوا معالمه ويحولوه الى مصحة أمراض عقلية استعدادا لنزول الضيف الكبير ٠٠

الملك يدبر أمرا !

أحس لويس الثانى بانقباض خانق فى الساعات الاولى لوصوله ، ولكنه تقبل كل شيء بهدوء ٠٠ وكانت كل الشواهد تدل على أنه يدبر أمرا ما ، وان تدبير هذا الامر كان باتفاق مع آخرين !! فقد أخذ بادىء الامر يبذل جهده فى كسب ثقة طبيبه وتخدير شكوكه ، ونجح فى ذلك الى حد كبير ٠ كان أثناء تناول الطعام يتجاذب أطراف الحديث مع الطبيبين جادن ومولر ، ومع البارون واشنجطن الذى عينه الوصى حاكما للقصر ، كما كان يبدو أثناء نزهته اليومية هادئا مطيعا للاوامر منفذا لجميع التعليمات التى يصدرها الدكتور جادن ٠٠ حتى أن هذا الاخير قرر اعفاءه من وجود ممرض الى جواره بصفة مستمرة لما رأى أن هذا يضايقه ٠٠ بل لقد استحوذ الملك على ثقته الى حد أنه أوشك أن يتراجع عن تشخيصه لحالته وبدأ يساوره الشك فى أن يكون الملك مريضا بعقله حقا !

وفى أحد الايام صرح الدكتور جادن لمساعده الدكتور مولر

بآرائه تلك ٠٠ وزاد عليها أنه يعتقد بأنه لم تبق ضرورة لان يتعقبه الممرضون أثناء نزهته اليومية مع الملك فى حديقة القصر، اذ لم تعد حالة الملك تستدعى ذلك الاحتياط ٠٠ **ولكن الدكتور مولر لم يكن مطمئنا كزميله ، ونصحه بعدم التساهل والافراط فى التفاؤل فقد يسبب أقل اهمال خطرا جسيما ! ٠٠ ولكن الدكتور جادن كان المسئول الاول وكانت تعليماته تنفذ بكل دقة ٠٠**

وفى مساء أحد الايام أبرق الدكتور جادن الى ميونيخ يقول: « كل شىء هنا يسير الى أحسن ٠٠» وظل لويس الثانى بمسلكه وهدوئه يستحوذ على ثقة طبيبه بصورة متزايدة، حتى لقد تمكن من تشكيكه فى صحة تقرير الاطباء الاربعة ! ٠٠ أما الدكتور مولر فعلى العكس لم يكن مطمئنا كرئيسه ، ولا سيما بعد أن رافق الملك فى احدى نزهاته فسمعه يبث له مخاوفه من أن يدس أحد له السم !

النزهة المشئومة !

◆ **وفى** يوم الاحد ١٣ يونية ـ وقد وافق ذلك اليوم عيد الصعود ـ أرسل الملك فى طلب الدكتور جادن ليصحبه فى نزهته بعد الظهر فى حديقة القصر المترامية الاطراف ٠٠ وكان الجو مقبضا غائما ، ورذاذ المطر يتساقط منذ الصباح ، فلما جاء الدكتور جادن طلب الى الممرضين ألا يصحبوهما فى تلك النزهة لعدم ضرورة ذلك ، كما أخبرهم بأن النزهة ستدوم مدة ساعة واحدة ٠٠ ثم اصطحب الطبيب مريضه وغابا عن الانظار فى جوف الحديقة الواسعة ذات المنعرجات والطرق التى يخطئها الحساب ٠٠٠ !!

ومرت الساعة التى حددها الدكتور جادن للرياضة ٠٠ وساعة أخرى ٠٠ ولما يظهر للمتنزهين أثر !

ولما بلغت الساعة السابعة والنصف أخذ القلق يساور

الدكتور مولر ، فخرج بدوره الى الحديقة وسـار فى نفس الاتجاه الذى سار فيه الطبيب والملك ٠٠ وكان المطر قد اشتد والليل قد أرخى سدوله، فاحتمى بأحد الاكشاك ووقف ينتظر ٠٠

ولما طال انتظاره تفاقم قلقه ـ فقد كان أعلم الناس بدقة الدكتور جادن فى مواعيده ـ فعاد الى القصر وبعث باثنين من الجند كى يجدا فى البحث عن الملك والطبيب ٠٠

ولكن الجنديين لم يعودا بدورهما !!

واذ ذاك تحول القلق عند الدكتور مولر الى ذعر ، وسارع باخطار البارون واشنجطن ـ وكانت الساعة قد بلغت وقتئذ الثامنة والنصف !! ـ وسرعان ما شاع النبأ فى القصر ، فهرع جميع من فيه الى الحديقة وانتشروا فى أرجائها المترامية الاطراف يبحثون عن الرجلين ٠٠ ولكن محاولاتهم جميعا لم تسفر عن نتيجة ، فأيقن الجميع أن داهية دهياء حلت بهما وقضت عليهما معا ٠٠ وأرسل البارون واشنجطن برقية الى ميونيخ يقول فيها: « ان الملك والدكتور جادن قد اختفيا ! »

جثة فى قاع البحيرة !

وعند الساعة العاشرة والنصف وجد أحد الخدم أثناء طوافه وبحثه فى طريق منحدر على شاطىء البحيرة قبعة الملك والمشبك الماسى الذى كان يضعه على سترته ! ٠٠ وعلى مسيرة بضع خطوات وجد مظلة الدكتور جادن وقبعته أيضا ، كما وجد على شاطىء البحيرة معطف الملك وبذلته ! ٠٠ فسارع الى ابلاغ النبأ للمختصين ، وعلى الاثر أخذ الدكتور مولر أحد القوارب ومعه بعض الخدم وطافوا فى البحيرة والمصابيح فى أيديهم يبحثون فى الظلام ٠٠ **وبينما هم كذلك اذا بمجذاف القارب يلمس جسما غائصا فى الماء ٠٠ فأوقفوا القارب ٠٠ وقفز منه أحد الحراس ملقيا بنفسه فى الماء ٠٠ ثم رفع الجسم الغائص وألقى به فى القارب ٠٠ فلما سلطت عليه أنوار المصابيح وجد**

انه جسم الملك ! ٠٠ وكان من دواعى دهشة الجميع ان الماء فى البقعة التى وجدت فيها جثة الملك كان ضحلا لا يعلو على ارتفاع صدر الرجل ٠٠ واذن فالملك لم يمت غرقا !!

بعد هذه المفاجئة الاليمة سار القارب فى البحيرة مستأنفا البحث ٠٠ ولكنه فى هذه المرة لم يسر بضعة أمتار حتى عثر الدكتور مولر ورفاقه على جثة الدكتور جادن أيضا ٠٠ وازدادت دهشة الباحثين لان الماء فى هذه البقعة التى وجدت فيها جثة الطبيب كان لا يعلو على الخصر ٠٠ !

عاد الرجال بالجثتين الى القصر وقد ظن أنه لم يزل بهما رمق من الحياة، فأجريت الاسعافات اللازمة لاعادتهما الى الحياة ٠٠ ولكنهما كانتا قد فارقتاها منذ ساعات !

طير الخبر الخطير الفاجع الى ميونيخ بالبرق ٠ وكانت هذه الفاجعة مسئولية ثقيلة على كاهل الوصى على العرش وشركائه، لان وفاة الملك على تلك الصورة المؤلمة الغامضة كان لابد يثير غبارا من الشك حولهم ٠٠ وانك الى الآن لتجد الكثيرين فى بافاريا وفى فرنسا يعتقدون ان موت الملك وطبيبه كان جريمة اغتيال منكرة مدبرة تدبيرا محكم الاطراف !!

ولنعد الآن الى تفاصيل المأساة :



كيف وقعت الجريمة

◆ **عند** ما أقبل الليل كان الملك يسير هادئا الى جوار طبيبه الذى كان يسير فى الطرف الملاصق لشاطىء البحيرة ٠٠ وكان

لويس الثانى ملما بجميع منحنيات الحديقة وطرقها وأطرافها ٠٠ وكان الطريق الذى يسيران فيه ينتهى حيث تبتدىء البحيرة، فاذا ألقى انسان بنفسه الى البحيرة فانه يمكنه بعد أن يسبح قليلا أن يصل الى الطرف الآخر من البحيرة حيث كانت الارض منبسطة ليس فيها حارس ولا رقيب ٠٠ **فلا يستبعد أبدا أن كان الملك على اتفاق مع بعض أصدقائه لكى ينتظروه بالجيـاد عند الضفة الاخرى ويساعدوه على الهرب !**

عراك رهيب فى قلب الماء ٠٠

اقترب لويس الثانى بحذر شديد من المكان الذى وقع عليه الاختيار ٠٠ ولما كان قد تمكن من عدم اثارة شكوك طبيبه فقد غافله وألقى بمظلته وقبعته على الارض وانطلق يعدو نحو البحيرة التى تقع فى نهاية الممر !! ٠٠ بهت الدكتور جادن بادىء الامر ، ولكنه أفاق من دهشته بعد برهة قصيرة فأخذ يعدو خلف الملك حتى تمكن من اللحاق به على شاطىء البحيرة ومد يده اليمنى التى وجد أحد أظافرها قد التوى ، ليقبض عليه من عنقه ٠ ولكن لويس الثانى بحركة خاطفة بارعة خلـع ملابسه ليسبح فى الماء وتركها بين يدى الطبيب !

وبهذا زادت المسافة بينهما بعدا ٠٠ ومع ذلك فقد كان الدكتور جادن أسرع من الملك الذى بدأ الماء يعوق تقدمه، فتمكن من اللحاق به بعد خطوات قليلة ٠٠ وهناك اشتبكا فى معركة بشعة رهيبة ، فقد كان الماء يغطى جسمى المتحـاربين حتى النصف ، وكان الملك أطول قامة وأقوى بنية وأمتن عودا من خصمه ، فتمكن من أن يلوى عنقه فى جوف الماء ويغرقه بيديه !

وقد وجد وجه الطبيب مشوها ، الامر الذى يشى بأن الملك قد أجهز عليه ببعض طعنات من مطواة كانت لا تفارقه أبدا !

والآن وقد تخلص الملك من الخصم ، والطبيب ، والرقيب معا ووجد نفسه وحيدا ، ماذا جرى له ؟ وكيف مات ؟ ! ومن

الذى قضى عليه ؟ هل انتحر ، أم مات بأيدى جناة سفاكين ؟ !

لقد حاولت حكومة ميونيخ فى بلاغها الرسمى عن الحادث أن تتبنى فكرة الانتحار غرقا ، لان فى هذه الفكرة تبرئة لها من تهمة تدبير الحادث . ولكن الشواهد والادلة المادية تدل كلها على أن الملك لم يمت منتحرا ..!! فلو كان لويس الثانى قد قصد الانتحار فانه كان يتعين عليه أن يتجه صوب منتصف البحيرة حيث الماء أكثر عمقا . وكان الليل لم يقبل تماما ، ولويس الثانى يعرف جميع اتجاهات الحديقة فلا يمكن أن يخطىء فى ذلك . ولكن الآثار التى تركت على الرمل دلت على اتجاه قدميه الى الشمال محاولا الاقتراب من الشاطىء المقابل حيث الحائط الذى ذكرنا أن بعض أعوان الملك قد يكونون كمنوا فى انتظاره خلفه ليعاونوه على الهرب !

ولا يمكن أبدا أن يكون الملك قد مات غرقا لسببين قويين : أولهما ان المكان الذى وجدت فيه جثة الملك لم يكن من العمق بحيث يغرق فيه رجل فى قامة لويس الثانى المشوقة الفارعة ، اللهم الا اذا أراد أن يتوسد الماء متعمدا أن يخنق نفسه فيه .. وهذا غير معقول !

والسبب الثانى هو أن التشريح قد أثبت أن وفاة الملك لم تكن بالاختناق فى الماء ولكنه مات مختنقا خارج الماء !

اللغز باق بغير حل !

فهل قتل لويس الثانى ملك بافاريا ؟! وكيف كان ذلك ؟! أليس من الغريب أن يظل هذا الامر سرا مدفونا فى أطواء الزمن فلا تجد انسانا يميط عنه اللثام حتى الآن ؟!

تبنت حكومة بافاريا كما قلنا فكرة موت لويس الثانى منتحرا لان ذلك من مصلحتها حتى لا تثار حولها الشكوك وتتهم بتدبير حادث اغتياله اذا هى تبنت فكرة محاولته الهرب ، لانها ان سلمت بالفكرة الاخيرة فستضطر الى البحث عن أولئك

الذين كانوا على اتفاق معه لمعاونته على الهرب ٠٠ والذين كانوا فى انتظاره خلف حائط البحيرة ٠٠ وهذا يفتح عليها أبوابا قد تنفذ منها رياح عاتية !!

ولقد أشيع من ناحية أخرى ان امبراطورة النمسا ـ اليزابث ـ ابنة عمه ـ هى التى دبرت حادث اختطافه ، ولكن لم يقم دليل واحد يؤيد هذا الزعم !

وفى الحقيقة انه من العسير علينا أن نصدق أن لويس الثانى لم يذهب ضحية مؤامرة دبرت لاغتياله ، فكل فرض آخر ينبو عن المنطق ولا تقره الوقائع المادية العديدة ٠٠٠

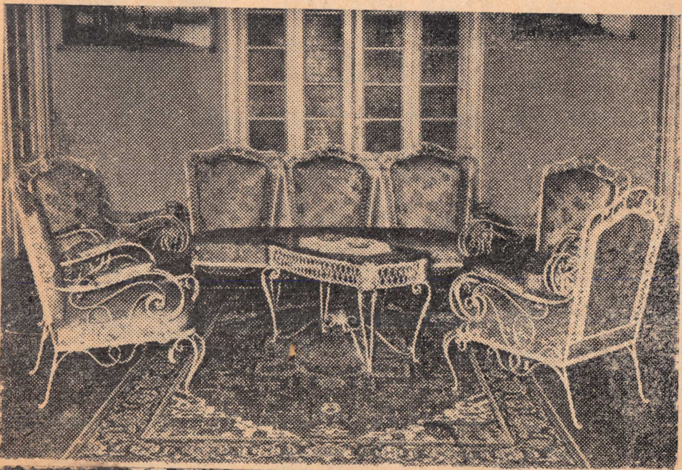
التمثيل بجثة الملك !

تلك كانت الظروف الغامضة المحزنة التى مات فيها الملك الشاب ، فكان موته ـ كما كانت حياته ـ من مآسى التاريخ وفواجعه ٠٠ وحتى بعد موته لم ترحمه الاحقاد ، ولم تخف كراهية خصومه له٠ فعندما شرحه الاطباء رأوها فرصة سانحة لا لاداء واجب تقتضيه المهنة ، بل فرصة سانحة للتمثيل بجثته ٠٠ فشرحوها بشكل بشع كأنهم ذئاب يفترسون بالانياب لا أطباء يعملون بمبضع أمين !

غير أن الشعب عوضه بعض الشىء عما لقيه فى حياته ، فشيعت جنازته تشييعا شعبيا ورسميا حافلا ٠٠ وانتزع قلبه ووضع فى اناء من ذهب فى كنيسة « السننج » أسوة بمن سبقوه على العرش من ملوك (أسرة ونسباخ) !

وبلغت باقات الورد فى ارتفاعها جبالا صغيرة أرسلت من جميع أنحاء العالم ، حتى من أمريكا !

واشتركت نساء بافاريا فى تحية الملك الذى كان يلقب بالملك البكر ! ٠٠ والذى وان عاش يتهرب من الحب فلم يكن ذلك الا لفرط احترامه لهذه العاطفة الانسانية الرفيعة وخوفه من أن يصيبها على يديه ضر أو دنس !!



عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى... والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية من (كتابى) المسرحيات العالمية الآتية على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت : رومان رولان
مروحة الليدى وندرمير : اوسكار وايلد
فاوست : جيته
اوديب الملك : سوفوكل
فى سبيل الحب : جون درايدن
وليم تل : شيللر
الام : مكسيم جوركى
الملك يلهو (ريجوليتو) : فيكتور هوجو
الذبيحة : أندريه أوبيه
الجنس الآلى : كاريل كابيك

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الاجتماعية الشائقة التى تحس وانت تطالعها كأنك تعيش فى جوها : «الابن الاكبر»


الابن الأكبر
THE ELDEST SON
By
JOHN GALSWORTHY
قصة تمثيلية كبرى
للروائي الإنجليزي جون جالزورذي

المؤلف

١٨٦٧ - ١٩٣٣



◆ ولد جون جالزورثى فى سنة ١٨٦٧ ، وحصل على دبلوم القانون من « اكسفورد » .. ولكنه بدلا من أن يتفرغ للمحاماة ، انصرف الى كتابة الروايات والمسرحيات ، فلم يلبث أن برز فى هذا الميدان ، حتى انه حين مات فى سنة ١٩٣٣ كان يتربع على عرش الشهرة فى انجلترا منذ ٢٥ عاما ، فاز خلالها بعدد من الجوائز الادبية الرفيعة ..

وقد برع جالزورثى فى تصوير معالم الحياة فى المجتمع الانجليزى والاتجاهات الفكرية لدى الرأى العام هناك .. وكان من العمـــق فى معالجته للمشكلات ، بدرجة تجعل القارىء - فى أى بلد - يستطيع أن يلمس ظلالا من المشكلات التى يعالجها ، فى نفس المجتمع المحلى الذى يعيش فيه هذا القارىء ، مهما بعدت به الشقة عن المجتمع الانجليزى .. والمسرحية التى نقدمها هنا « الابن الاكبر » ، نموذج لادب جالزورثى المسرحى ، كما كانت قصة « قلب عذراء » التى قدمتها لك فى « كتابى » الثانى ، نموذجا لادبه الروائى ..

مأساة كل مجتمـــع !

لولا « الرتوش » والاسماء الانجليزية ، لجاز أن تكون هذه المأساة مصرية ، أو فرنسية ، أو ايطالية .. انها مأساة كل مجتمع ، غربى أو شرقى .. قصة الخطيئة الاولى ، وكيف تنظر اليها كل طبقة من طبقات المجتمع من زاوية غير الزاوية التى تنظر اليها منها الاخرى ..

لقد استشاط السيد الاقطاعى الكبير غضبا حين نمى اليه ان حارسا عنده سطا على عفاف قروية، فتحمس لمبادىء الفضيلة والاخلاق ، وأصر على أن يصلح الحارس خطأه٠٠أما حين ارتكب ابنه نفس الزلة ، فـ٠٠

ولكن لندع المقدمات ، فان القصة فى غير حاجة الى تمهيد :

الفصل الاول

◆ **ترفع** الستار عن ردهة فخمة فى منزل السير وليم تشيشاير ، وقد ظهرت فيها أبواب قاعات المائدة والجلوس والبلياردو ٠٠ وبدا سلم يفضى الى الطابق العلوى ، وتحته باب يؤدى الى جناح الخدم ٠٠

وعند أسفل السلم ، وقفت « فريدا ستدنهام » وصيفة ربة القصر ، وقد حملت فى احدى يديها باقة من الورد الابيض ، وفى الاخرى باقة من ورود صفراء٠٠وكانت فريدا فتاة رشيقة، مليحة ، يبدو جمال اسوداد عينيها واضحا لشحوب الوجه الذى يحيط بهما ٠٠

ويهبط سير وليم تشيشاير فى ثوب السهرة ، فاذا هو رجل فى حوالى الثامنة والخمسين ، متين البنيان ، غليظ العنق، أحمر الوجه ، تشوب ارستقراطيته المتعنتة مسحة رقيقة من تواضع أهل المدن ٠٠

ويبادر الى سؤال وصيفة زوجته اذ يمر بها متجها الى قاعة الجلوس :

ــ هل سيأتى أبوك الليلة يا فريدا ؟ ٠٠ أرجو ان تنبئيه بأننى أريد أن أراه عقب العشاء ٠٠ وسليه أن يحضر معه السجل الذى اعتدنا أن نثبت فيه صيد الموسم ٠٠

وما ان يلج القاعة ، حتى تهبط ابنته الكبرى « كريستين كيبث » ، وهى امرأة جميلة ، خفيفة ، تزوجت من ضابط شاب

اشتغل زمنا فى الهند حيث اكتسب سمرة شابت حمرة وجهه بصبغة خمرية ..

وتقدم « فريدا » لكريستين الورود الصفراء ، مصحوبة بتحية مناسبة ، فتتبسط الشابة معها وتسألها رأيها فى خطوبة أختها « جوان » – صغرى بنات تشيشاير الثلاث – ثم يدور بينهما حديث قصير نفهم منه ان الاسرة تستضيف ابنتها المتزوجة وزوجها ، وخطيب ابنتها الصغرى ، وفتاة حسناء تدعى « ميبل لانفارن » ، و « وليم » الابن الاكبر للاسرة ، وقد غلب عنصر الشباب فى القصر ، فأخذ الشبان يتأهبون لتمثيل مسرحية تولت «دوت» – ثانية بنات الاسرة – دور المخرج فيها ..

ثم تتساءل كريستين : « هل من أنباء ؟ »

فتجيب « فريدا » فى اكتئاب وفتور : « **ان مساعد حارس الضيعة « دننج » يأبى الزواج من « روزتايلور » بعد كل الذى جرى ..** »

– ياللعار ! .. ولكن .. لقد ظننت ان ثمة ناحية خطيرة .. ان ..

ويقبل « رونالد كييث » – زوج « كريستين » – اذ ذاك ، فتسير به زوجته الى قاعة الجلوس ، وهى تكرر له ما سمعته من « فريدا » عن « دننج » ، فيقول :

– على نفسها جنت ! .. فان سير وليم لا يرضى أن يبقى فى خدمته قط خادما ارتكب فضيحة فى القرية ...

واذ يلجا قاعة الجلوس ، يظهر « جون لاتر » خطيب «جوان» .. وهو شاب طويل ، من رجال الدين ، شاحب المحيا . ويبدو خلفه « هارولد » – الابن الثانى لسير وليم – يهبط قافزا كل ثلاث درجات من السلم معا .. فيتبع « لا تر » الى قاعة الجلوس وهو يصفر .. بينما تهبط « جوان » السلم ، فنراها فتاة جميلة ، صغيرة الجسم ، ذات عينين واسعتين ، أخاذتين ..

فما ان تحيى « فريدا » وتسير بدورها الى قاعة الجلوس حتى تهبط « دوت » الابنة الثانية للاسرة ـ فاذا بها حسناء ، ذات وجه كالبدر ، تلوح فيه الصراحة المصحوبة بروح متمردة ٠٠ فتجرى وراء « جوان » حتى تلحق بها وتقرصها ٠٠ وما ان تختفيا فى قاعة الجلوس حتى تظهر فى أعلا السلم « ميبل لانفارن » ، وهى فتاة ايرلندية ، فاتنة ، ما ان يقع بصرها على « فريدا » حتى يبدو عليها اتزان غير طبيعى ، وشىء من الوجوم ٠٠

وتتجه الآنسة «لانفارن » الى قاعة الجلوس ، وهى تحدج « فريدا » بنظرة فيها تساؤل غريب ٠٠ **وتبقى الوصيفة وحيدة، لا تريد أن تبرح مكانها ٠٠ ثم تقترب من السلم فتستند اليه فى قلق وتوجس ، اذ تسمع وقع قدمين ، لا يلبث أن يقبل صاحبهما من أعلا السلم ٠٠ شاب طويل ، مليح ، يكاد يشبه السير وليم فى كثير ، وان بدا عليه انه أكثر عنادا واستعدادا للتهور !**

ذلك هو «بيل» ـ أو وليم ـ الابن الاكبر للاسرة ٠٠ مدلل أمه ، وخليفة أبيه فى المكانة والثراء والسيادة ٠٠

وتزداد « فريدا » التصاقا بالسلم ، فيتأملها الشاب فى شىء من القلق وعدم الارتياح ، ثم يتساءل :

ـ فريدا ؟ ٠٠ ألا يسرك أن ترينى ثانية ؟

ـ لدى أمر أريد أن أحدثك عنه يامستر بيل ٠٠

ـ مستر ٠٠٠ ؟

وندرك ان بين الاثنين أمرا ٠٠ بين ابن السيد ووريثه ، وبين ابنة الحارس الاجير عنده ٠٠ والوصيفة الاجيرة عند أمه ٠٠

*

وينتقل بنا المنظر الثانى الى حيث يدور الحديث بين أفراد الاسرة حول مساعد حارس الضيعة ، والفتاة الريفية « روز



تايلور » .. لقد أغرى « دننج » القروية الساذجة حتى ذاق الثمرة المحرمة ، ثم أحس لها مرارة فحاول أن يتخلص منها!

وتتحرج « كريستين » من الحديث مع أمها فى الموضوع بمسمع من العذراوين « دوت » و « ميبل » ، ولكن الاولى تقحم نفسها فى الغمار وتصيح :

- لماذا تريدون أن يتزوجها اذا كان قد سئمها ؟

وتصيح فيها أمها زاجرة ، ولكنها لا تسكت ، بل تسائل كريستين : هل كانت تتزوج من «كييث» لولا انها كانت تحبه ؟ .. وهل كانت «جوان» تقبل خطبة « جون » لولا انها أحبته ؟ .. وهل تتزوج « ميبل » من يتقدم لخطوبتها اذا لم تحبه ؟ .. وكانت الاجابات جميعا بالنفى ، مما شجعها على أن تصر على انتزاع رأى صريح من أمها .. واذ تجيب الام فى النهاية بالنفى ، تصيح « دوت » منفعلة :

- اذا كان كل منهما قد مل الآخر ، فلا ينبغى أن يتزوجا، واذا كان أبى ..

فتقول كريستين : « انك لا تفهمين .. انه من أجل .. » وتمسك اشفاقا على شعور العذراء ، ولكن العذراء تصيح :

- قوليها ! .. من أجل الطفل المرتقب !

ويقبل « كييث » و « لاتر » .. وبينما تنسحب الاناث الى قاعة المائدة بحجة التدرب على مسرحية اتفق شباب الاسرة على تمثيلها ، يقول « لاتر » لعديله المقبل :

- لا يختلف فى هذا رأيان يا «رونى» .. ليس ثمة ما يبرر

رفض الشاب « دننج » ٠٠ فانه اذا أساء رجل الى امرأة يتعين عليه أن يصلح ما أفسد ٠٠

ـ هراء ! ٠٠ اسمع ياجون ، لا سبيل للمرء الى مجادلة قس فى موضوع كهذا ٠٠ انك متطرف فى تقواك الى حد التزمت يا جون ٠٠ ولست تملك سوى ذلك ، فان الحياة التى أعدت لك تضطرك اضطرارا ٠٠

ـ مم تظن الرذيلة تنشأ؟٠٠ من عين هذ النوع من الاعمال الذى ارتكبه دننج ٠٠

ـ بل أعتقد انها تنبع من الفطرة الانسانية ياجون ٠٠ اننى أقر بأننى لا أحبذ هجران الشاب للفتاة فى محنتها ، ولكننى لا أرى جدوى لوضع قواعد صارمة ، قاسية، بل انه لا علاج الا بتحطيم هذه القيود ٠٠ **انك وسير وليم تريدان أن تربطا دننج والفتاة بأية طريقة كانت ، سترا للمظاهر ، مع ان من المؤكد انه لن ينقضى عام حتى يعانيا الشقاء من جراء هذا الرباط ٠٠ انكم تستطيعون أن تقودوا الجواد الى الماء، ولكنكم لا تستطيعون أبدا أن تقسروه على أن يشرب !**

ـ اننى لا أقرك على الاطلاق ٠٠ وانا جميعا لندرك الى أين تمضى بك مبادؤك ٠٠ هل سمعت قصة « فاوست » يوما ؟

ويحتد النقاش الى درجة الخلاف، فيمضى « لاتر » الى غرفة « البلياردو » حيث كان القوم يلعبون ويثرثرون ٠٠ بينما يحدث كيبث نفسه :

ـ يا لاساليب القساوسة التى تضطر المرء الى العناد ؟ ٠٠ اننى فى الواقع أوافق على آرائه ، اذ لابد أن يتحمل دننج تبعة خطيئته ٠٠ ولكم أرجو أن يوفق السير وليم الى حمله على ذلك ٠٠

✽

◆ **ويقبل** « ستدنهام » حارس الضيعة ٠٠ وهو شيخ مسن بين الخمسين والستين من عمره ، تلوح على وجهه سـيماء

الرزانة والاعتداد بالنفس ‥ وبينما يغادر « كييث » القاعة ، يلجها السير وليم ‥ فيبتدر الحارس قائلا :

ــ هذا أمر سيء ‥ موقف دننج ‥ أيصر نهائيا على رفض الزواج منها ؟ ‥ وما حجته ؟

ــ انه لا يقول شيئا ياسيدى ، اللهم الا أنه لايريد أن يظل على علاقة بها ‥

ــ ان هذا ليس عذرا ‥ اننى لا أستطيع أن أبقى فى خدمتى حارسا يعيث فى القرية فسادا ‥

وتصل ليدى تشيشاير فى تلك الاثناء ، فتسمع طرفا من الحديث ، واذ تبدى رثاءها لحظ الفتاة ، يقول الحارس المسن :

ــ أخال انه لم يعد يراها فى مستواه يامولاتى ‥

فتتمتم لنفسها : « حقا ‥ فانه قد جعلها أسمى منه وأرفع ! »

ويقول السير وليم : « **كنت لتوى أقول لستدنهام أن على ذلك الشاب أن يصلح خطأه ، فلسنا نقبل فضائح فى القرية‥ اذا كان حريصا على عمله ، فعليه أن يبادر الى الزواج من الفتاة** »

فتسأله زوجته بصوت خفيض : « هل من الصـــواب أن نقسرهما ؟ ‥ ماذا تبغى الفتاة ياستدنهام ؟ »

ــ انها تريده زوجا ‥ سواء راق لها أو لم يرق .

ــ ولكنهما لو تزوجا على هذا الوضع لشقيا ولابد ‥

فيصيح زوجها : « مـــاذا ؟ ‥ خليـــق بك أن تعـــلمى ياعزيزتى ان ثمة قانونا غير مكتوب يحدد هذه المسائل ‥ سأمهله حتى الغد ياستدنهام ، فاذا ظل مصرا فعليه ان يدع منصبه ، ولن يحصل على شهادة منى ‥ اننى أحبه ، ولا أميل الى أن أفقد خدمته ، ولكننى أيضا لا أقبل مثل هذا الوضع ‥ استدعه لمقابلتى »

واذ يهم بالخروج ، تشكو اليه ليدى تشيشاير من أن « فريدا » لا تبدو فى صحة جيدة ، وانها لا تكاد تقبل على الطعام..

مفقودة الشهية .. ولديها حديث تريد أن تفاتح فيه الابن الاكبر لسيد الضيعة « بيل » .. اذن ، ففى الامر .. ولكن ، لا يجب أن نستبق الحوادث .. فلنتابع المنظر ، اذ لا يلبث أن يقبل « دننج » ملبيا دعوة سير وليم ، فيبادره هذا قائلا :

ـ هل أنبأك ستدنهام بما أريدك من أجله ؟ .. ان الامر فى يدك ، فلك أن تقبل ولك أن ترفض ، ولست أغصبك على شىء ، ولكنى لا أريد مثل هذه المسألة فى ضيعتى .. لا أريد أعذارا .. وثق اننى متساهل معك ، فهذا أول منصب تحصل عليه ، واذا تركته فلن أمنحك شهادة ..

ـ أحب أن أقول يا سير وليم..انها..اننى لم أبغ ضرا..

ـ انك ولا ريب تعرف تقاليد الريف .. وكان خليقا بك أن تتبصر النتائج قبل أن تسطو .. على اننى لا أغصبك ، وانما.. اذا رفضت وجب أن تتخلى عن منصبك .. وأمامك يوم لتتدبر موقفك !

*

ويتسلل « بيل » فى هذه الاثناء الى مقربة من الباب يتسقط السمع ، ثم يسير الى مكتب صغير فى قاعة الجلوس ، وهو بادى التفكير .. وتقبل « ميبل لانفارن » ، فيعرض عنها ، واذ ذاك تسأله فى مباغتة :

ـ ما أجمل تلك الفتاة فريدا .. لقد كبرت .. لكأنها الجمال مجسدا ..

فيقول فى تجاهل : « حقا ؟ .. ما انتبهت الى ذلك »

ـ أتراك تلقيت دروسا فى فن الحديث ؟ .. ماذا جرى لك ؟ .. ألا ترى مسلكك غريبا ازائى ؟ ..

ويلمح أمه مقبلة ، فيجلس الى المكتب متظاهرا بالاستعداد لكتابة بعض الرسائل ٠٠ واذ تغادر « ميبل » القاعة ، تقترب ليدى تشيشاير حتى تقف خلف مقعد ابنها وتسأله :

ـ ماذ يشغلك ياحبيبى ؟

ـ لا شىء ٠٠ (فجأة) وددت لو انكم لم تدعوا هذه الفتاة الى هنا ؟

ـ ميبل ؟ ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ ظننتك قد أعجبت بهـــا فى عيد الميلاد الماضى ٠٠ ثم ان اخواتك يحببنها ٠٠ وكذلك أبوك ٠٠ وفى رأيى انها لطيفة ٠٠

فيلتفت حوله وكأنه يضيق بوجودها ، فتقول :

ـ أخشى أن يكون أبوك قد تحدث اليك يا بيل ٠٠ فهل الامر يتعلق بديون ؟ ٠٠ ليتك تقتصد ٠٠ انه فى الواقع ٠٠ ولكن ، لم يكن يخلق بك أن تنبئه ٠٠

ـ لقد كتب يسألنى أن أطلعه بصراحة على ديونى ٠٠

ـ ان لدى فضلة من مال ، وكان من الممكن ٠٠

ـ لقد حاولت ذلك من قبل يا أماه ، فخل عنك ٠٠ ويبدو لى اننى لن أستطيع الاقلاع عـــن التبـذير ما لم أرحـــــل الى المستعمرات ، أو أعمل ٠٠

ـ لا تقل هذا ٠٠ لا سيما وان والدك يعول كثيرا على المركـــز والاسم اللذين للاسرة ٠٠ ولكن، لم تبذر ؟



ـ المركز والاسم ؟ •• هل تظنيننى صنعت نفسى ؟ •• أنتما اللذان عودتمانى على التبذير•• ثم تريدان أن تقيدانى بعبودية المركز والاسم ؟

ـ ولكن •• هل المال كل مايشغلك ؟ •• ألا تراك تكتم أمرا آخر عنى ؟

وفى ضيق وجفاء يقول : « لا •• معذرة ، فلابد لى من أن أكتب بعض الخطابات ؟ »

وترقبه فى غير ارتياح •• ثم تقول فجأة :

ـ هل سمعت عن قصة دننج ؟ •• لشد ما يؤسفنى حـــال روز تايلور ••

ويلمح « فريدا » تتسلل من الباب الذى تحت السلم ، وقد خيل اليها انه وحيد ، فيضطر الى أن يرفع صوته محدثا أمه ، واذ ذاك تقف الفتاة فى مدخل الحجرة جامدة •• ويجفـل « بيل » اذ يرى أسارير وجهها •• بينما تبتكر الفتاة حجة تبرر قدومها فتسأل ليدى تشيشاير : « هل أشرع فى اعداد ذلك الثوب يامولاتى ؟ »

واذ ترد الليدى بالايجاب ، يقبل السير وليم من غرفة المائدة ، فيشير الى زوجته كى تنسحب الى غرفة البلياردو ، وهو يقول لبيل :

ـ هل لك أن تفرغ لى خمس دقائق ؟ •• اننى لا أريد ان أضايقك ، ولكنك تعرف ان هذه الحال لا يمكن أن تدوم •• لقد سددت ديونك مرتين ، ولن أدفع عنك فى هذه المرة ما لم أر استعدادا لان تغير من نهجك فى الحياة •• لقد ورثت الاسراف عن آل أمك •• انك مدين الآن على ما فهمت بألف ومائة من الجنيهات •• ولـــدى مشروع أحب أن أقترحـــه عليك ••

ـ أولا يمكن ارجاؤه الى الغد ياسيدى ؟

ـ « الغد » ٠٠ كأنما هذا شعارك فى الحياة ٠٠ وانى لابغى أن أغيره الى «اليوم» ٠٠ لقد حان الوقت كى ترعى مركزك بنظرة جدية، بدلا من التسكع فى المدينة، واللعب٠٠ والاقتراح الذى أعرضه عليك بسيط : تزوج من فتاة لطيفة ، واستقر ، ورشح نفسك لعضوية مجلس العموم عن احدى الدوائر ٠٠ وسأفرد لك قصر « دوار » وألفا وخمسمائة من الجنيهات فى العام ٠٠ كما أسدد عنك ديونك ، ضمن الصفقة ٠٠ وسأرفع مخصصاتك الى ألفين فى العام اذا نجحت فى الانتخابات ٠٠ وأمامك متسع من الوقت كى تفوز بالدائرة٠٠ واذا كانت الآنسة ٠٠ أعنى زوجتك ٠٠

ـ اذن ، فقد اخترت لى زوجة ؟

ـ أخالك قد اخترت لنفسك٠٠ لقد تزوجت أمك وأنا فى الثامنة والعشرين ٠٠ وهاأنتذا فى سنك هذه، وأنت الابن الاكبر لاسرة ذات مكانة ، ولما تتزوج ٠٠ مع انه يجدر بك أن تستقر وأن تصون مكانة الاسرة وأراضيها ٠٠ اننا اذا لم نخلص لطبقتنا وما لم نكن على استعداد للعمل من أجلها ، فلن تلبث طبقة أصحاب الاراضى ان تخضع رويدا لتلك الروح الديموقراطية الفارغة ٠٠ ان موقفنا خطير ، لاننا مهددون من كل جانب ٠٠

ـ لقد توقعت أن تثير هذا الحديث يوما ٠٠

ـ لست أريد أن أقسرك ياصديقى ٠٠ لقد اعتدت أن أرخى لك العنان ، وما عارضت يوما نزواتك ، ولا تحريت عن شئونك ٠٠ وانما كنت أحكم على أحوالك من بعض المسائل التى اعتدت أن تتفضل باطلاعى عليها بين آن وآخر ٠٠ ويخيل الى أنك عشت ككثير من الشباب الذين فى مثل مركزك ٠٠ ولست ألومك ٠٠ ولكن لكل شىء نهاية ٠٠

ـ لم لا تقول بصراحة انك تريدنى على ان أتزوج من ميبل لانفارن ؟

ـ فليكن ·· انها فتاة لطيفة ، ومن أسرة طيبة ، وعلى ثراء لا بأس به ·· ألا يكفى كل هذا كى تروق لك ؟

ـ صحيح ·· شكرا ··

ـ ولقد فهمت من أمك انك واياها كنتما على انسجام ··

ـ أرجو أن لا تقحم أمى فى الموضوع ··

وهنا يقول الاب فى كياسة تنم عن غضب مكبوت :

ـ لعلك تتفضل فتذكر لى اعتراضاتك ·· **ما سألتك من قبل شيئا ، ولكنى أعتقد ان الوقت قد حان كى تراعى وجودى ·· اننى لا أرغب فى أن أفرض عليك هذه الزيجة بعينها ، فاذا لم تكن راغبا فى الآنسة لانفارن ، فتزوج من أية فتاة تروق لك··**

ـ اننى أرفض ··

ويفيض غضب الاب ، ولكنه يصده بجهد ليقول :

ـ اننى أنذرك ··

ـ انك لن تغصبنى كما تفعل بالشاب دننج ··

وتقبل الام اذ تسمع صوتاهما يعلوان ، فتجذب زوجها الى قاعة البلياردو ·· واذ يطمئن بيل الى خروجهما ، يسير نحو الباب الذى كانت « فريدا » تقف عنده ، فيفتحه ثم يعود ، فيستند الى المكتب ·· وتقبل الفتاة ، فتتطلع اليه فى تساؤل ذليل ، واذ ذاك يقول :

ـ ألا تقبلينى ؟ ·· ألم تفطنى الى أنك لم ترينى منذ ثمانية أسابيع ؟

ـ أراها مدة طويلة جعلتك تنسى ··

ـ ماذا دهاك يافريدا ؟ ·· أفصحى ··

فتتناول من ثنايا ثوبها خاتما ماسيا تعرضه عليـه قائلة :

ـ اننى لم أضعه حول اصبعى منذ خطوبتى السابقة ·· ولن يتسنى لى أن أحصل على عطلة عاجلة ··

ـ فريدا ! ؟

ـ انك مغتبط لانك حر ٠٠ وما أحببتنى الا خلال ذينك الاسبوعين ٠٠ ولن يكون ثمة داع لان تعرف الآنسة لانفارن ما كان بيننا ٠٠

ـ قلت لك مرارا ان شعورى لم يتغير ٠٠ فاذا شئت ان تشقى نفسك ٠٠

ـ لسوف يغتبط الجميع ٠٠ لزواجك منها ٠٠ انها النهاية التى تحدث دائما ٠٠ حتى اذا لم يكن البطل سيدا رفيع القدر ٠٠ ولكننى لست كتلك القروية ٠٠ صاحبة دننج ٠٠ ولا حاجة بك لان تخشى أن أفضى بشىء اذا ما حان الوقت ٠٠ هذا ما أردت أن أقوله لك ٠٠ اننى قادرة على كتمان السر ٠٠

ـ أتعنين ٠٠؟ ٠٠ يا الهى !

فتنكس رأسها ٠٠ ثم تعود الى الكلام قائلة :

ـ لقد نشأنى أبى على ان لا أعوى كالكلاب اذا أمسكت من ذيولها ٠٠ (يتهدج صوتها) أواه ، يابيل !

فيمسك بيديها وقد نكس رأسه ، ثم يفلت يديها ويتجه الى المدفأة وهو يتمتم : « يا الهى ! ٠٠ بينما تتسلل هى الى خارج الغرفة ٠٠ ويلتفت ، فلا يراها ٠٠ واذ ذاك يتشبث بحافة المدفأة وهو يترنح ٠٠

الفصل الثانى

◆ **وترفع** ستار الفصل الثانى عن حجرة الجلوس فى الجناح الخاص بليدى تشيشاير فى القصر ٠٠ فنرى السيدة تحاول أن تقنع « فريدا » بأن تبتسم وبأن تقبل على الطعام حتى تقاوم الوعكة التى تبدو عليها ٠٠ وفى تلك الاثناء تقبل «روز تايلور» القروية التى غرر بها « دننج » ٠٠ ويدور الحوار بين ربة القصر والقروية حول موقف مساعد الحارس ، فتقول الفتاة :

ـ لقد أخبرته بأن عليه أن يتزوج منى ٠٠ يجب !
ـ أرجو ان تظلى فى هذه الحال مغرمة به ٠٠
ـ أنه لا يستحق ٠٠
ـ خليق بك أن تفكرى فى الامر اذاكان قد فقد ولعه بك٠٠ فكرى لمصلحتكما ، فهذا رباط العمر كله ٠٠

ـ شكرا يا سيدتى ، ولكنى أعتقد أنه ٠٠ يجب أن يتزوج منى ٠٠ اننى أريده أن يفعل ما هو حق لى ٠٠

وتصحب السيدة الضحية القروية الى الخارج ، فينساب الى القاعة شباب الاسرة ليمضوا فى التدرب على أدوارهم فى المسرحية ٠٠ وتطل « جوان » من باب فى أقصى القاعة على غرفة صغيرة عكفت فيها « فريدا » على اعداد ثوب ليدى تشيشاير ، وتقول لهـــا :

ـ اننا نريد طفلا فى التمثيلية ٠٠ هل من اقتراح يا فريدا ؟

ـ استعيروا طفلا حقيقيا يا آنسة جوان ٠٠ فهناك أطفال لا قيمة لهم ولا حساب !

ويتهيأ الجميع لاداء أدوارهم ، واذا بخـــادم يخبرهم أن « ستدنهام » قد أحضر عددا من الكلاب الصغيرة ، فيهرعون جميعا الى الحديقـة ٠٠ وتبقى « ميبل » و « بيل » ، فتقترب الايرلندية الحسناء من الابن الاكبر وتقول :

ـ لعلك تدرك أنك تذكرنى بأبيك ، وان لم تعادله أدبا ٠٠ اننى لا أكاد أفهمكم أيها الانجليز من سادة الاراضى وأصحاب الاطيان ٠٠ لا سيما فى الطريقة التى تصدون بها اناثكم ٠٠ ماذا كان بك ليلة الامس ؟٠٠ (فى رفق) ألا تخبرنى ؟

ـ ليس ثمة ما يستحق الذكر ٠٠ كنت متضايقا ٠٠

ـ يخيل الى أنك عنيد فى تكتمك ٠٠ ولكنك تعرف اننى أحب دائما أن أوغل فى الحقل الذى أعلم أن به ثورا هائجا !

ويقترب منها ، فتتراجع وهى تستطرد :

ـ ويلذ لى أن أتبين كيف أن الثور لا يرى سوى شيء واحد فى الوقت الواحد ٠٠ ان بصره لا يتسع لاكثر من مرئي واحد يتركز عليه قبل أن يهاجم العابر ٠٠

ـ ألا يحسن بك أن تكونى أكثر حذرا ؟

ـ (مستطردة) ولا يفطن الى السياج حتى يرتطم به ، فاذا به يندفع مهتاجا الى الجانب الآخر من السياج ٠٠

ـ ما الذى يجعلك تستطيبين العبث بى فى هذا الصباح بالذات ؟

ـ جمال الصباح !٠٠ (فجأة) لا بد أن فريدا المسكينة تضيق بالعمل بينما الكل يمرحون حولها فى هذا الصباح ٠٠ آه ، ها أنذا أرى الثور يحرك أذنيه ٠٠ ها هو ذا يضرب الارض بحافره ٠٠ لقد بدأ الهجوم ٠٠ (تتراجع وهى تجتذبه خلفها بنظراتها الساحرة وابتسامتها) انك لا تملك سوى أن تتبعنى ٠٠ ولن تفطن الى ذلك الا بعد رحيلى ٠٠

ويقفان جامدين ، يحدق كل منهما فى عينى الآخر ، دون أن يفطنا الى « فريدا » وقد فتحت الباب الجانبى ووقفت تحملق فيهما ٠٠ وتلمحها « ميبل » فتهتف وهى تغادر القاعة :

ـ ها هى ذى المروضة ٠٠ وداعا يا سيد « ثور » !

ويلتفت « بيل » فيرى « فريدا » ٠٠ وفى بطء يسير نحوها ليقول لها انه قضى الليل مسهدا ، فتطلق الفتاة ضحكة مريرة ٠٠ ويقول :

ـ يجب أن نرسم خطة لانقاذك ٠٠ **لن أدعك تتعذبين ٠٠ أقسم لك ٠٠ كم أتمنى لو أن شئونى المالية لم تكن على هذا الارتباك ٠٠ لا بد أنك تريننى نذلا !٠٠ ألا سبينى ٠٠ قولى أى شيء ، ولكن ، لا تنظرى الى هكذا ٠٠**

ـ أفكنت حقا مشغوفا بى ؟

ـ كنت ٠٠ ولا أزال ٠٠ **(تغطى وجهها براحتيها ، فيضم قبضتيه ويهتف)** سأبرهن لك ٠٠

ويطوقها فجأة بذراعيه ، فتتعلق به ٠٠ واذ ذاك يفتح الباب وتظهر ليدى تشيشاير ٠٠ فتزم شفتيها وتقف فى ارتقاب٠٠ بينما تخفى « فريدا » وجهها فى يديها ، ويواجه « بيل » أمه قائلا : « لا تذميها بشىء يا أماه ٠٠ ابقى يا فريدا !٠٠ لا ، لا تخرجى يا أماه ٠٠ **يا ٠٠ يا للخزى !٠٠ لا ، ليس الامر كما تظنين يا أماه ٠٠ (فى عزم طارىء) لقد خطبتها وسأتزوج منها يا أماه ! »**

وتند عن « فريدا » صرخة مأخوذة ٠٠ وتنقل ليدى تشيشاير بصرها بين الاثنين فى ذهول ، لا تكاد تعى شيئا ٠٠ وتقول أخيرا : « بيل ! » ٠٠ فيجيبهـــا : « ان ما قلت واضح ٠٠ سأتزوج منها ! »

فتلتفت السيدة الى وصيفتها متسائلة : « أحقا هذا ؟ » ٠٠ وتشهق الفتاة دون أن تجيب ، بينما يقول « بيل » :

ـ اذا عن لك أن تقولى شيئا يا أماه ، فوجهيه لى ٠٠

وتترنح السيدة ثم تتهالك فى المقعد الذى قدمه لها ابنها ٠٠ وتشرع فى استجواب العاشقين ، فاذا هما قد وقعا صريعى الهوى منذ الصيف الماضى ٠٠ ويؤكد « بيل » أن الخطأ خطأه وحده ، وان الفتاة لم تحاول أن تفتنه ٠٠

وتتساءل ليدى تشيشاير فجأة : « تقول انكما خطيبان ٠٠ لعلك تدبرت الحوائل التى تقوم دون ذلك ؟ »

فيجيب « بيل » فى تحمس فدائى : « اذا كنت تظنين أنها استدرجتنى الى هواها ٠٠ »

ـ لست أقول شيئا ، ولكن ٠٠ انه مستحيل ٠٠ انه شقاء تعس ٠٠

ويدفع « بيل » فتاته الى الغرفة الصغيرة التى كانت تعمل فيها ، ليخلو الى أمه ٠٠ وتهتف الام بينما يهز الشاب كتفيه فى غير احتفال :

ـ أواه يا بيل !٠٠ ما معنى هذا ؟٠٠ انك لم تعد تحبها ٠٠ لا تحاول الانكار ٠٠

ـ انها تحبنى ٠٠ ولن أدع أحدا يهينها ٠٠

ـ أتظننى قاسية ، وضيعة ؟٠٠ انها حياتك ٠٠ وحياة أبيك ٠٠ وحياتنا جميعا ٠٠ اننى أحاول أن أفهم ٠٠ هل أدركت مدى ما لهذا من أثر سىء علينا جميعا ؟٠٠ من المستحيل أن يستمر هذا الامر !

ـ اننى دائما على خلاف مع « الحاكم » ـ يقصد أباه ـ لذلك سأحرص واياها على أن نتحاشاه ٠٠

ـ اذن ، فلن تتخلى عنها ٠٠

ـ لقد قلت لك كل ما هنالك ٠٠ لقد عزمنا على الزواج ، وسنتمه فى هدوء ، ثم ٠٠ ثم نرحل الى كندا ٠٠

وهنا تقول الام فى عنف كأنه الاستنكار الذى تتمنى أن يكون حقيقة : « انك لا تحبها ٠٠ أنا أعرف ٠٠ أنا أعرف ماذا وراء ذلك ٠٠ أتعنى أن حبك لها من نوع ذلك الحب الذى تشعر به نحو سيدة من علية القوم ؟ »

فيقول بيل فى مرارة : « ولم لا ؟٠٠ اننى حتى اليوم لم أسمع منك أو من اخواتى كلمة تشين فريدا ٠٠ فلا داعى لان تقولوا الآن شيئا ٠٠ »

ـ ولكن كل الزيجات التى من هذا القبيل تنتهى الى تعاسة منكودة ٠٠ ليس بينكما تجانس فى الذوق أو التقاليد ٠٠ وما أراك تعرف الزواج ٠٠ ان الذين نشأوا نشأتنا يؤثرون أى قرين على ذاك الذى يختلف معهم فى الاخلاق والعادات ٠٠ ثم ان هذا الزواج يرديك فى الفقر ، فان أباك لن يغتفره لك ، وأنا لم أعد أملك ما أعينك به ٠٠ ثم انك لا تجيد مهنة ٠٠ فكيف تظن أنك قادر على المضى فى الحياة مع امرأة ٠٠ ان الزواج

مشكلة عويصة لأى زوجين من طبقة واحدة ، فما بالك •• ثم ان هذا ليس فى صالحها ، ولن ينتهى الا بشقائها ••

– لا داع •• أرجو أن تدعى هذا لى ••

– بيل •• اقسم بشرفك انك تتصرف بمحض ارادتك ؟

فيشيح بيل بوجهه، وينصرف الى الحجرة المجاورة•• وتقف السيدة لحظة وهى حائرة قانطة ، ثم تنادى « فريدا » •• فيقبل معها « بيل » ، ولكن ليدى تشيشاير ترجوه أن يتركهما على انفراد •• وما أن ينصرف حتى تقول للفتاة :

– كيف حدث هذا ؟•• اننى أعرف كيف يغزو الحب قلب الفتاة ، ولست ألومك •• لا تبكى •• ولكنك تدركين أنه ابنى الاكبر •• اننى أعرف أن المرأة هى الطرف المهيض الجناح دائما، ولكن •• هل عرف أحد شيئا عن الامر ؟•• ولا أبوك ؟ (فتهز فريدا رأسها نفيا) **ليس أفظع على المرأة من أن تكون حجرا يثقل عاتق الرجل •• وكم مضى على ذلك ؟**

واذ ترفض فريدا الاجابة تقول لها : « آه •• كلاكما يأبى أن يخذل الآخر •• ما جدوى ذلك لى ؟•• ألم يكن معك حين رحلت فى عطلتك فى الصيف الماضى ؟ »

– لقد تصرف •• كأى سيد •• مهذب •• شهم ••

– تقصدين أنه تصرف •• كرجل ••

– لم يكن الذنب ذنبه •• فأنا الاخرى أحبه !

وتنهض السيدة من مكانها فتذرع أرض الحجرة وهى تحاول أن تقنع الفتاة بأن زواجها من ابنها لون من الجنون ، وان حب الرجال كالبارود ، اذا ما اشتعل انتفى نفعه وصلاحيته •• لكن الفتاة تصيح :

– بل هو يحبنى •• لا بد ، فلم تنقض بعد أربعة شهور••

– وهل يقوى حبه على أن يحملكما فوق الصعاب ؟

– لو اننى كنت من الطبقة الراقية ما قلت لى شيئا من هذا!

ـ لو كنت من الطبقة الراقية ، ما كانت ثمة عقبة فى طريق زواجكما ٠٠ لسوف تحمليه على أن يكرهك ٠٠

ـ لا أصدق ٠٠ بوسعى أن أجعله سعيدا ٠٠

ـ ضعى نفسك فى مركزى ٠٠ انك لتعرفين أن الانانية ليست من طباعى ٠٠

ـ وهل تودين أن تضعى نفسك فى مركزى ؟٠٠ اننى فى نفس وضع « روز » ٠٠

وتفلت من ليدى تشيشاير صرخة جزع يقبل على أثرها بيل ٠٠ ويدرك ان الفتاة اعترفت فيقول لامه:

ـ هل اكتفيت ؟٠٠ لا بد من أن يعلم « الحاكم » ٠٠

ويتحول عائدا من حيث أتى ٠٠ ولا يلبث أن يقبل السير وليم ومعه « جوان » و « دوت » ، فيسأل « فريدا » أن تحكم له زر قفازه ، بينما ترقبه ليدى تشيشاير والفتاتان فى وجوم٠٠ ثم يحيى الجميع وينصرف الى الصيد ، بينما تقبل « كريستين» وتندفع « فريدا » عائدة الى الحجرة التى كانت تصلح فيها ثوب ربة القصر ٠٠

وتعلم بنات الاسرة بأن بين وصيفة أمهن وأخيهن الاكبر علاقة ٠٠ فتصيح جوان :

ـ وأى سوء فى هذا ٠٠ ان « فريدا » فتاة طيبة ٠٠

وتتمتم « دوت » : « آه من ذلك الرجل العجوز ! »

وتستنكر جوان هذا الوصف لابيها فتقول « دوت » :

ـ انه رهيب ٠٠ وسيصبح بيل مثله اذا ما بلغ الخمسين ٠٠ لتكن السماء فى عون فريدا !

وتلج « ميبل » الحجرة فتلوذ الباقيات بصمت تلحظه الفتاة ٠٠ وفيما هى تتساءل ، يقبل بيل ، فيقول :

ـ المسألة اننى يا آنسة لانفرن قد خطبت وصيفة أمى !

ولا تحير احداهن حراكا ، ولا تنبس ببنت شفة ٠٠ وتتقدم

ميبل فتبسط يدها لبيل، ولكنه ينحنى أمامها دون أن يصافحها ٠٠ وتخرج الفتاة ، فتتطلع الاخريات الى بيل الذى لا يلبث أن يقول فى هدوء : « ظننت أن من الخير أن تعلمن ٠٠ »

ويخرج ، فتقول كريستين : « ما خطر لى أمر أسوأ من هذا»

واذ ذاك يأتى ستدنهام ـ والد فريدا ـ حاملا كلبين صغيرين يقدم الى « دوت » أحدهما قائلا : « هذا خير ما يعجبك ٠٠ كنت أحتفظ به لابنتى ، فهو من سلالة نقية ٠٠ »

وتحملق الشابات فى صمت ، ثم تشكره « دوت » فى تلعثم وارتباك ، فيقول :

ـ انه رائع ٠٠ لقد كانت ابنتى مشغوفة به ٠٠

ـ ألا ابقه لها ٠٠

ـ بارك الله فيك ٠٠ انها لن تهتم به ٠٠

ويخرج ، وهن يحدقن خلفه ٠٠ فى ذهول ، وحيرة ، ووجوم!

الفصل الثالث

◆ **فاذا** ارتفعت الستار عن الفصل التالى فنحن فى قاعة التدخين ، وقد بلغت الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم ذاته ٠٠ ويرى بيل يذرع المكان جيئة وذهابا ، بينما يقف هارولد ـ الابن الثانى للاسرة ـ الى جوار المدفأة ٠٠

ويقول هارولد : « أو تظن يا أخى أنك ستصلح الامر لو تزوجت منها ؟ »

فيهز بيل كتفيه ، ثم يقول : « لست ممن يسهل عليهم الكلام ، ولكنى أحب أن أحترم نفسى ٠٠ اننى أعترف أن من الضعة أن يحب المرء وصيفة أمه بالذات ٠٠ »

ـ يا للسماء !٠٠ اذن فأنت لم تعد مجنونا بها ٠٠ ألا حكم العقل يا بنى !

ـ لا تظن أننى أحفل بالمبادىء الخلقية فى هذا الصدد ٠٠ كل ما فى الامر اننى سأشعر بأننى أجبن من الجربوع اذا تخليت عنها فى محنتها ، وقد عرف الكل أمرهـا ٠٠ لسوف تشعر أنت الآخر بذلك لو جربت ٠٠ انهـا لم تحاول أن تقسرنى ، بل انها طيبة ، متسامحة ٠٠ ولكننى كنت مغفلا ، ولم أتدبر ٠٠

ـ اننى أدرك موقفك ، ولكنى أرجو أن لا تتسرع ٠٠

ويشعر باقتراب « جون لاتر » ـ القس خطيب جوان ـ فيبادر الى مغادرة المكان ٠٠ ويتساءل « لاتر » عن تطورات موقف «بيل» فيقول « هارولد » :

ـ هل رأيت الآن تفاهة جدالك مع رونى (زوج كريستين) ٠٠ من حسن الحظ أن ليس لدينا كثير من الضيوف ٠٠ ولكنى آس من أجل أمى ٠٠ ومن أجل نفسى ٠٠ أجل ٠٠ لا مفر ٠٠ فان « الحاكم » اذا تبرأ من بيل ، آل العبء كله الى ٠٠ يا لبيل من مسكين ٠٠

ـ ان الامر بالغ السوء ٠٠ لقد كان تصرفه مخزيا ٠٠

ـ كم من آلاف لايفكرون قط فى الوفاء للفتيات من ضحاياهن ٠٠ أليست لديك مشاعر انسانية ؟ ٠٠ ألا تعرف كيف تحدث هذه الامور ؟ ٠٠ انها كالشرارة اذا هوت على القش ٠٠

ـ ولكن الناس لا يلجون مخزن القش وهم يدخنـــون ٠٠ ما لم يكونوا أغبياء أو معتوهين ٠٠

ـ لقد فعلها من قبل جدى الاكبر ٠٠ وهناك عشرات ممن أعرفهم ، ارتكبوا عين الزلة ثم فروا من التبعات ٠٠ فهل يكون الدمار نصيب بيل لانه أبى أن يفر ؟

ونجد أن « لاتر » لا يكاد يرى لبيل عذرا فى الخطيئة ، وأن « هارولد » يدرك ما أمام الزواج المزمع من عوائق ، ولكنه يدافع عن أخيه فى تحمس ٠٠ حتى يقطع عليهما الحديث مقـــدم

كريستين وزوجها وجوان ودوت •• وتقول جوان : « ان هذا الموقف فى انتظار أبى من أبغض المواقف »

وتقول دوت : « ان ميبل راحلة ، فعلينا أن نودعها وكأنما لم يحدث شىء »

ويقول كيبث : « هل رأى أحد الفتاة منذ انكشف الامر ؟ »

فتجيب « دوت » : « انها تجلس فى الغرفة التى كانت تصلح فيها ثوب أمى •• انها رقيقة ، هادئة ، وهذا أفظع ما فى الامر »

ـ يجب أن تواجه العاصفة كما سنواجهها جميعا •• يخيل الى أن سير وليم سيجد نفسه محصورا بين الشيطان والبحر !

فتقول كريستين : « لسوف يحرم هذا الزواج قطعا »

ـ ان الامر قاس بالنسبة لرجل مثله •• لست أحبذ زواج بيل من الفتاة ، اذ علينا أن تتحمل تبعة زلتها ، ولكن أباكم سيجد مشقة مروعة فى تقرير موقفه ••

فتقول دوت : « يا للسخرية !•• المبادىء الادبية والاخلاقية فى كفة ، ولقبكم فى الكفة الاخرى ! »

ـ ان سير وليم لن يتورع عن حرمان بيل ••

وهنا يقول هارولد : « لن أقبل ما هو حق لبيل •• وما أظن واحدة منكن أيتها الفتيات تقبل »

دوت : « لولا شعور أمى !•• ان فريدا لا تختلف فى شىء عن بنات الطبقة الراقية •• فلم لا يتزوجها ويذهب الى كندا ؟ •• هذا ما يليق له فعلا •• من يتصور بيل عضوا فى البرلمان ؟ •• هذا ما سيصير اليه لو أنه بقى •• »

ويقول « كيبث » : « لا أمل فى حمل بيل على العدول •• انما الامل الباقى فى الفتاة نفسها »

ـ هل تذكرون الثمن الذى طلب الى «دننج» دفعه؟•• ان أبانا لمسكين حقا !

فتقول دوت : « **ان ستدنهام العجــوز خير من كثير من أصهارنا !** »

ويسمع وقع حوافر جواد سير وليم ، فتتحول أنظار الجميع الى ليدى تشيشاير فاذا هى ترتجف انفعالا ٠٠

وتسألها كريستين : « هل لا بد من مفاتحة أبى ؟٠٠ ان رونى يرى أن الامر يتوقف على الفتاة نفسها فهلا تحدثت اليها؟»

فتهز الام رأسها نفيا ، وتقول دوت : « ما هذا ؟٠٠ ما أظن فى وسعنا أن نتوسل الى الفتاة أن تعفينا ٠٠ أليس لديكم قدر من احترام النفس ؟ »

وتعود كريستين فتضرع الى أمها أن تعالج الموقف مع فريدا حتى لا يغدوا جميعا « اضحوكة البلاد » ٠٠ ثم تتحول تسألها أن تقنع « بيل » ٠٠ ولكن بيل يكون فى تلك الاثناء قد صارح والده بكل شىء ٠٠ ولا يلبث أن يلج السير وليم القاعة وهو لا يزال بملابس الصيد ، فيسير الى المدفأة دون أن يحيى أحدا ، أو ينظر الى أحد ٠٠ ويشرع الجميع فى التسلل فرارا من العاصفة ، عدا ليدى تشيشاير التى تضرع اليه أن ينقذها من الظنون والحدس فيصيح :

ـ يا للاحمق !٠٠ ما ظننت أن لى ابنا وغدا ٠٠

ـ لا تكن فظا مسرفا فى الغلظة ٠٠

فيتشبث بحافة المدفأة مترنحا وهو يرتجف ويقول :

ـ قط فى حياتى لم أواجه موقفا كهذا ٠٠ اننى أحاول أن أهدأ ٠٠ أحاول أن أفكر ٠٠ ان عراقة أسرتى ترجع الى القرن الثالث عشر ، والناس اليوم لا تحفل بقدم الاصل ، ولكننى أحفل به ٠٠ انهم يضحكون من كل شىء اليوم ٠٠ يضحكون ممن ينشد سيدة رفيعة ابنة أصل ٠٠ **يا آلهى ، يتزوج من وصيفة أمه !٠٠ لست أدرى ذنبا نستحق من أجله هذا ٠٠ انها صدمة قاتلة !٠٠ ولكننى لن أنتظر حتى تحيق بى ٠٠ فى العالم اليوم كثيرون يسرهم هذا٠٠ الاشتراكيون والراديكاليون ومن اليهم ٠٠ ولكنهم لا يرون الفاجعة !٠٠ أجل ، انهـــا**

فاجعة ٠٠ لك ، ولى ، وللجميع ٠٠ ان المرء لا يمكن أن يتخلص من ماضيه وتقاليده ٠٠ اننى أحرم هذا الجنون ٠٠ سأوقفه !

ـ والقانون غير المكتوب ؟

ـ ماذا ؟ ٠٠ آه ٠٠ انك تشبهين هذا بموقف دننج ٠٠

ـ ان أسوأ ما فى الامر ان الولد يحاول أن يؤدى واجب الوفاء ٠٠ ونحن ٠٠ أبوه وأمه ٠٠

ـ لن أقبل أن يدمر ابنى الاكبر حياته ٠٠ هذه الفتاة التى ولدت على أرضى ، وتربت فى بيتى ، وبمال اكتسب منى ٠٠ ولم تلق منا سوى كل كرم ٠٠ لقـــد خرقت واجب العرفان والوفاء ٠٠ لا شك عندى فى أنها أغوته !٠٠ انه الخراب يحيق بنا ٠٠ لقد عشنا حياتنا هنا ، ولن نقوى على العيش فى غير هذا المكان ٠٠ وكيف نبقى ونقابل كل انسان وكأن شيئا لم يحدث ؟٠٠ ألا وداعا للكرامة وللمكانة السياسية والاجتماعية ٠٠ لا بد من مقاومة الامر ، ولن يلبث الفتى أن ينسى٠٠ لقد كان جدى ٠٠ ولكن ، اذهبى الى الفتاة ٠٠

ـ لقد فعلت ، وقلت كل ما يمكن أن يقال ٠٠

ـ اذن، فهل تقفين مكتوفة اليدين؟٠٠ لو انه تزوجها لبرئت منه ٠٠ ولحرمته من كل شىء ٠٠ فهل ترضين ذلك ؟٠٠ اذهبى اليها ، فهى فتاة لا تستحق أى اعتبار ٠٠ ودعينا من القيـم الادبية والاخلاقية الجوفاء ٠٠ ارسلى الفتاة الى ٠٠

ولا تلبث الفتاة أن تقبل ٠٠ وتأبى أن تجلس حين يدعوها الى الجلوس ، فيسألها : « أمتعلقة أنت بابنى ؟ »

وتجيب الفتاة هامسة ، فيقول : « وهل تتوقعين منى أن أوافق على مثل هذا الزواج الجنونى ؟ »

ـ لست أتوقع شيئا ٠٠

ـ أتعرفين انك لا تستحقين الاعتبار ؟

ـ لم أصل بعد الى هذه الدرجة ٠٠

– لا عذر لك ٠٠ ما الذى جعلك تنسين نفسك ؟٠٠ انك تستحقين كل ما يحيق بك ٠٠ ولكن ، صبرا ، سأحدث ابنى أولا ٠٠

ويشير اليها ، فتذهب الى قاعة البليياردو ، بينما يدعو بيل ، فيقبل ومعه أمه ٠٠ ويشرع سير وليم فى الكلام متوقفا اثر كل عبارة :

– لقد تحدثت وأمك حول هذه النكبة ٠٠ فدعنى أقول لك ان عليك أن تتحمل وزر نفسك اذا أقدمت على هـذا العمل الجنونى ٠٠ لن تتلقى منا درهما ٠٠ وسيحل أخوك محلك فى الوراثة واللقب ٠٠ وسنحاول أن نمضى فى الحياة بدونك ٠٠ فما رأيك ؟

–سأتزوج منها ٠٠ لقد أخطأت فهمى يا سيدى ٠٠ قد أكون مفسودا فى بعض النواحى ، ولكن الفساد لم يشمل كل نفسى ٠٠ لقد وضعت دنج على فوهة المدفع بالامس ، وها أنتذا اليوم تضعنى على الطرف الآخر ٠٠ على النقيض ٠٠ اننى لن أهجرها فى محنتها ٠٠ اننى أقدر أن ليس فى وسعك أن تفعل غير ما فعلت أنا فى هذه الظروف ، ولكن التقدير خانك اذ ظننت اننى قد أتخلى عنها !

– هل أنت مدرك لموقفك ؟

– كل الادراك ٠٠

وينفجر غضب سير وليم فيصب سخطه على ابنه ، وليدى تشيشاير تحاول أن تخفف من حدة الموقف ٠٠ ويتمـالك الاب نفسه فيقول : « اعذرانى ٠٠ هذه نكبة ما توقعت يوما أن أواجهها ٠٠ وستظل تلاحقنى حتى القبر ٠٠ تلاحقنا جميعا ٠٠ لقد فعلت كل ما أستطيع لأبقى عـلى مركزنا ، فاذا كل شىء يستحيل دخانا فى لحظة واحدة ٠٠ »

– اننى أدرك هذا ، ولكننى آسف ٠٠ لقد كنت السبب فيما لحق بها ٠٠ انه موقف سىء لى يا أبى ، كما هو لك ٠٠

ويقبل ستدنهام فى تلك اللحظة ، خالى الذهن من كل شيء، فلا يلبث أن يفطن الى الصمت المكفهر ٠٠ ويجول ببصره فى الوجوه حائرا ، متلمسا ، فيقول له الشاب :

ـ لدى نبأ قاس يا ستدنهام ٠٠ لقد خطبت ابنتك ، وسنعقد قراننا فورا ٠٠

ولا يكاد الرجل يفهم ، فيســـتطرد الفتى قائلا : « الواقع اننى أسأت الى ابنتك ، ولكننى سأعمل على اصلاح الامر »

ـ معذرة ، فأن باذنى شيئا من الصمم ٠٠

وهنا يقول سير وليم : « لا داعى لكل هذا ٠٠ انها صاعقة انقضت علينا ٠٠ انها قصة « دننج » مرة أخرى ٠٠ »

فيقول الحارس الشيخ : « ماذا ٠٠ هى ٠٠ أنت ٠٠ يجب أن أرى ابنتى ٠٠ هلا تكرمتم بدعوتها ؟ »

وبينما تستدعيها ليدى تشيشاير يقول ستدنهـــام لرب الضيعة :

ـ تقولون ان ابنتى فى نفس مركز الفتاة القروية ؟٠٠ لقد قتل رجال لما هو أقل من هذا وطأة !

فيقول بيل : « ان شئت أن تقتلنى يا ستدنهام فتفضل »

ويتحاشى الحارس أن ينظر نحوه ويقول للسير وليم :

ـ لقد عشت فى خدمتكم خمسا وعشرين سنة ، ولكن فى هذه المسألة تتساوى الرؤوس ٠٠ والجانى فى نظرى رجل كأى رجل آخر ٠٠ أصحيح ما فهمت من أنه يعرض أن يتزوج منها ؟

وتتقبض أصابع الحارس المسن فى تشـــنجات عصبية وكأنه يقتل طائرا وقع فى يده !٠٠ وما أن تفد فريدا ، حتى يبادر الى سؤالها ، فيدرك ان الزلة حدثت خلال الصـيف ٠٠ ويتلفت حائرا يستقرىء الوجوه ، ثم يقول :

ـ لقد كانت ابنتى دواما جديرة بأى رجل ، فهى لا تقل عنه فى شىء ٠٠ (يلتفت الى فريدا) أسمعت العرض الذى يقدمه ؟ ٠٠ أليس فيكم من يتكلم ؟٠٠ ما رأيك يا سير وليم ؟

ـ أنا ٠٠ اذا تزوج ابنى فعليه أن يدبر أمر نفسه ٠٠

فيتحول الاب الى ابنته فى غضب ويقول : « تكلمى ٠٠ »

وتزداد الحركات التشنجية التى تصدر عن يديه ٠٠ ويشحب وجه ليدى تشيشاير وقد علقت عيناها بأصابعه ٠٠ وتنظر الفتاة الى « بيل » فاذا على وجهه امارات الاصرار والعزم

وترفع الفتاة ذراعيها فى انفعال ، ثم تغطى عينيها وهى تقول : « لا أريد ٠٠ لا ٠٠ هذا جوابى ٠٠ لا »

ويتنهد سير وليم فى ارتياح ، فيتحول اليه الحارس العجوز قائلا فى انفة وكبرياء غاضبين :

ـ لا تخف يا سير وليم ٠٠ لسنا نريد منكم شيئا ٠٠ انها لن تفرض نفسها قسرا فى مكان لا يرحب بها أهله ٠٠ قد تكون زلت ولطخت شرفها ، ولكنها تحتفظ بكبريائها وشممها ٠٠ اننى لا أقبل زواجا فى أسرتى هو الصدقة والاحسان بعينهما ٠٠ واذا كان السيد الشاب قد سئمها ولما تنقض ثلاثة أشهر ـ كما يبدو ٠٠ حتى للاعمى ـ فهى لن تكون له أبدا !

ويهم بيل بالتقدم قائلا : « **بل أنا مستعد ٠٠** »

ـ ابق حيث أنت ٠٠ (ويمسك بذراع ابنته ، ثم يتلفت حوله قائلا) : انها ليست أولى من زللن منذ الخليقة ٠٠ ولن تكون الاخيرة ٠٠ هيا بنا ٠٠ هيا من هنا !٠٠ هنـــاك أمور لا يمكن اصلاحها يا سير وليم !

ويقود الرجل ابنته ويغادران المكان ، منكسى الرأس من وطأة العار ٠٠ ولكن رأسيهما فى نظر سادة القصر لاحتـــا مرفوعتين ، تتطاولان حتى تسموا على بقية الرؤوس !

ســـتار

أنانية الرجال !

◆ **أغرم** أحد رجال الاعمال بممثلة مسرحية شهيرة ذات سمعة طيبة ، وكانت تحظى باحترام كل الاوساط ، وبعد أن ظل يرافقها فى السهرات والمحلات العامة عدة أسابيع قرر أن يتزوج منها ٠ لكنه رأى قبل الاقدام على هذه الخطوة أن يكلف أحد مكاتب المباحث السرية الخصوصية بمراقبتها وكتابة تقرير عن « سلوكها » ٠٠ فكلف المكتب بهذه المهمة مخبرا شابا كان يجهل شخصية رجل الاعمال ٠٠ فلما أتم مباحثه كتب له تقريرا قال فيه: « ان الآنسة (٠٠٠٠) ذات سمعة رائعة ، وماض ناصع لا تشوبه شائبة ٠٠ والشيء الوحيد الذى يمس مسلكها أنها فى الاسابيع الاخيرة قد رؤيت مرارا فى صحبة رجل من رجال الاعمال ذى سمعة مريبة !

الخالدون



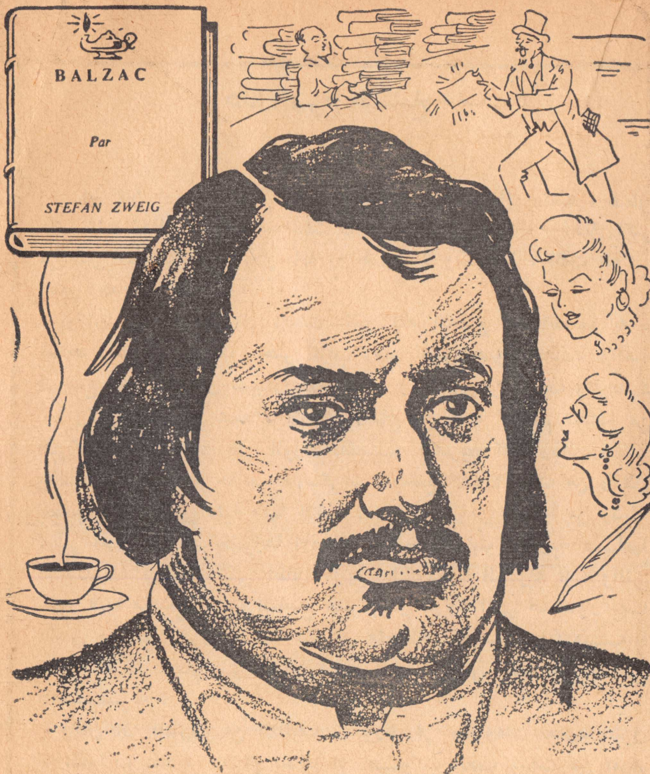
عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و((جى دى موباسان)) و((مختار)) و ((تشارلس ديكنز)) و ((بيتهوفن)) و ((موسولينى)) واخيرا ((شيللى)) .. وهم من هم من العظماء فى السياسة، والطب، والادب ، والاختراع .. والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى كتابا عن حياة الروائى الفرنسى الخالد ((اونوريه دى بلزاك)) ، كما أرخها الاديب النمسوى المبدع ((ستيفان زفايج))

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براوننج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ، كونفشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، ديماس ، دستويفسكى .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم



ستيفان زفايج

بلزاك

من شوامخ كتّاب القصة فى جميع العصور

هذا الصرح الشامخ ..

١٧٩٩ - ١٨٥٠

◆ كان أديب فرنسا العظيم « بلزاك » يجلس الى مكتبه ، فيظل مكبا عليه ثمانى ساعات متواليات لا يدع القلم من يده .. فخلق أكثر من ألفى شخصية فى حوالى مائة رواية وقصة ومسرحية ، ألفت الموكب الذى زفه الى الخلود ..

وكان يؤمن بنفسه فى الوقت الذى فقد الجميع فيه ايمانهم به ، فدفعه ذلك الى أن يكون خير كاتب رسم لعصره صورا حقيقية واقعية لم يدع فيها للاشفاق سبيلا يحمله على « رتوش » من الزيف والرياء ! .. وكان جبارا فى عمله ، يتدفق الانتاج من ذهنه كالحمم تتدافع من البركان .. ليسجل على الورق بقلمـــه الصريح كافة رذائل البشر وفضائلهم، بوصفه على حد تعبيره «سكرتير المجتمع» الذى لا يأنف من رذائل مخدومه ولا تخفى عليه منها خافية ! - وكان يؤمن بأن ما من رذيلة تعتبر احقر من ان يصورها الاديب - فلما اكتملت تجاربه صاغها فى سلسلة رواياته التى اطلق عليها « الكوميديا البشرية » ، والتى صور فيها مجتمع القرن التاسع عشر بمثل الروعة التى صـــور بهـا دانتى مجتمع القرن الثالث عشر فى ملحمته الخالدة « الكوميـــديا الالهية » .. فحلق الى اسمى القمم ، وغاص الى احط قاع للنفس البشـــرية !

وكان اذا انصرف عن التأليف ، تورط فى مشروعات تجارية تنزل به الكوارث المادية .. أو اندفع فى مـــوكب الحب يبحث عن امرأة ارستقراطية تتيح له الثراء والمركز الاجتماعى الرفيع ! .. فان المخلوق الذى كان فى طفولته « رجلا » ناضجا فى افكاره ، انقلب فى رجولته « طفلا » فى نزواته واسرافه !

فتعال معى نطالع سيرة الكاتب العظيم « بلزاك » كما كتبها الكاتب العظيم « ستيفان زفايج »

طفولة حزينة

◆ **من** العجيب ان عبقريا ، أوتى من الخيال المرهف منبعا لا ينضب ، فدانت له قطوف المجد ٠٠ يعنى بسفاسف تتعلق بنواح تافهة فى حياته الشخصية ، ويذهب فى ذلك الى درجة التنكر للحقيقة ، كما فعل « بلزاك » بصدد اسمه ٠٠ ففى ذات يوم ، وهو يجتاز العام الثلاثين من عمره ، خرج على الناس معلنا ان اسمه لم يكن «أونوريه بلزاك» ، وانما كان « أونوريه دو بلزاك » ٠٠ وحين سخرمنه أقرانه وناقدوه اذ انتحل هـذه الـ « دو » ليرفع نفسه من مصاف عباد الله المتواضعين الى طبقة الاشراف ، أوغل فى الكذب فزعم ان أباه قد أثبت انتماءه الى الطبقة الارستقراطية قبل أن يولد ـ أونوريه ـ بسنين !

والواقع ان أباه « برنار فرانسوا بلزاك » انحدر من أسرة لم تمتلك يوما حصنا ولا قلعة ، ولا كان لها يوما شعار ينقش على أبواب دارها وعرباتها ٠٠ وانما راح من صغره يشق طريقه فى الحياة جاهدا فى عناء ٠٠ حتى قدر للثورة أن تقـوم فى فرنسا ، فاذا بها تمكنه من أن يعقد من العلاقات ما أوصله الى منصب عال فى ادارة توريدات الجيش، وبعد ثلاثين عاما قضاها فى كسب العيش بطرق مبهمة فى الغالب ، طوى صفحة حياته ليبدأ صفحة جديدة ، كسكرتير أول لاحد المصارف ٠٠ فلمـا بلغ الخمسين ، عاد يقلب صفحةجديدة أخرى ليرقى الى الطبقة الوسطى فى المجتمع ، بأن سعى حتى وجد زوجـة من تلك الطبقة ، فى الثانية والثلاثين من عمرها ، هى « آن شارلوت لورسالامبييه » ٠٠ ثم استغل علاقاته القديمة وصداق زوجته ـ «الدوطة» ـ فى أعماله المالية ، فما ان أنجب الزوجان ابنهما الاول «أونوريه» حتى كانا قد جمعا ثروة لا بأس بها، ساوتهما بأهل أرقى مجتمعات الطبقة الوسطى ٠٠

غبى .. كسول .. بليد الذهن !

◆ **وورث** « أونوريه » عن أبيه حيويته ، ومرحه ، وطموحه ، و .. حبه لنسج القصص عن أمور لم تدر الا فى خياله ! .. كما ورث عن أمه رفاهة المشاعر وحساسية العاطفة ..

على أن أم « أونوريه » كانت أبعد من هذا أثرا فى حياته .. كانت من ذلك الصنف الدائم الشكوى من الحياة وتخيل الحيف والظلم .. وكان كل ما تراه واجبا لتربية الابناء هو ان تعلمهم ان انفاق المال جريمة وكسبه أرفع الفضائل !

فقد كانت مقترة ، شحيحة ، حتى فى اظهار العطف والمحبة لابنائها .. الى حد أن كتب « أونوريه » يوما فى أحد خطاباته : « لم تكن لى يوما أم » ! .. ولم يكن مغاليا اذ لم ينقض طويل وقت بعد مولده حتى عهدت به الى مرضع مربية حملته الى دارها ليعيش فى حضانتها الى أن بلغ الرابعة من عمره .. ثم انتقل الى دار أبيه ، حيث عاش كالزائر غير المرغوب فيه ، حتى بلغ السابعة فزج به فى القسم الداخلى بمدرسة فى اقليم « فاندوم » كانت كأنها الحصن المنيع ، وقد فرض على تلامذتها نظام صارم كأنظمة الاديرة !

وكان « بلزاك » أكثر زملائه تعرضا لنقمة أساتذته وعقابهم ، فقد خالوا انه غبى ، كسول ، بليد الذهن ، شارد العقل .. وكان يساط فى قسوة ، ويتعرض للحبس ، حتى انه لم ينعم بالحرية خلال العامين الاولين أكثر من ستة أيام .. ولم يقدر له أن يبرح هذا السجن الا عندما أصيب بانهيار عصبى !

ووجده أبواه قد تغير تغيرا تاما ، حين عاد اليهما بعد أكثر من ست سنوات قضاها تحت النظام الصارم .. حتى لقد وصفته أخته فيما بعد بأنه كان يبدو كالسائر أثناء النوم ، يتحسس طريقه ، وهو يحملق فى الفضاء .. فى لا شىء !

وأرسل الى مدرسة فى « تور » ، الى أن انتقلت الاسرة الى باريس فى سنة ١٨١٤ ، فنقلته معها الى مدرسة العاصمة ..

وهنا أيضا لم يستطع بلزاك أن يكشف عن ذكاء أو نبوغ ، بل كان أقصى ترتيب بلغه بين أقرانه ، هو أن صار الثانى والثلاثين فى فصله الذى كان يضم ٠٠ خمسة وثلاثين طالبا !

على انه استطاع أن يتم دراسته فى النهاية ، وان يتخرج فى قسم القانون بالجامعة فى ٤ نوفمبر سنة ١٨١٦ ٠٠ أى انه صار أهلا لان يحصل على أحد المناصب أو أن يتدرب ليصبح محاميا ٠٠ وكان هذا أحد التواريخ الفاصلة فى حياته ٠٠ وكان من المحتمل أن يفصل هذا التاريخ بين عبودية الفتى لأبويه ، وبين التحرر والانطلاق، لولا ان أبويه كانا قد دبرا أمر مستقبله فأرسلاه ليتدرب فى مكتب محام من معارفهما ، ثم ألحقاه بعد ذلك بمكتب صديق للاسرة من مسجلى العقود ٠٠ حتى حصل فى ٤ يناير سنة ١٨١٩ على « البكالوريا » فى القانون ـ وهى ما تعادل « الليسانس » ٠٠ وكان أبواه قد رسما له خطة الحياة، على أن يشترك مع المسجل فى مكتبه ، حتى اذا مات الرجل ورث أعماله ٠٠ وعلى أن يتزوج بعد ذلك من ابنة احدى الاسرات الراقية المثرية ٠٠

ولكن لهب التمرد الذى ظل يقمعه طيلة السنوات الماضية ، انطلق فجأة ، فاذا الشاب يعارض ارادة أسرته للمرة الاولى فى حياته ، ويعلن انه لن يكون محاميا ، ولا مسجلا للعقود ، ولا قاضيا ، وانما قرر أن يكون مؤلفا ، وان يحصل من مؤلفاته على الحرية ، وعلى الثروة ، والمجد !

النجاح فى خلال عامين ، والا ٠٠ ؟

◆ **وقد** كان لقرار « أونوريه » مثل وقع الصاعقة على أبويه، وبعد صراع حاد دام بضعة أيام ، انتهت الاسرة الى حل موقوت يتيح للشاب أن يمضى فى الطريق التى اختارها ، على أن يعوله أبواه لمدة لا تتجاوز العامين ، اذا لم يحرز خلالهما الشهرة المنشودة كان حتما عليه أن يعود الى مكتب مسجل العقود ٠٠ والا حرمه أبواه من عونهما !

وكتب الوالد مع ابنه عقدا غريبا ٠٠ فبعد حساب دقيق تعهد الوالدان بأن يمدا ابنهما بمائة وعشرين فرنكا فى الشهر ـ أى أربعة فرنكات في اليوم ـ ينفق منها خلال رحلته الى المجد ٠٠

وفى غرفة متواضعة ـ بل مزرية ـ فى المنزل رقم ٩ بشارع « ليديجويير » بباريس ، استقر الكاتب الشاب وليست فى رأسه فكرة عما يريد أن يكتب ٠٠ فراح يتخبط بحثا عـن موضوع ، حتى انقضى شهران ولما ينتج شيئا ٠٠ ثم خطـر له أن يكتب مأساة تاريخية فى ثوب مسرحيـــة يقدمها الى « الكوميدى فرانسيز » ٠٠ واختار « كرومويل » محـورا للمسرحية ٠٠ ثم عكف على الكتابة ليل نهار ، وقد سلط على نفسه نظاما صارما لا يقل عن ذاك الذى كان يخضع له فى مدرسته الاولى ٠٠ **كانت تمر به ثلاثة أيام أو أربعة لا يبرح خلالها غرفته الا ليبتاع خبزا وفاكهة وقدرا من البن الذى لم يلبث أن صار منبها لاعصابه المكدودة ٠٠**

ساعة الامتحان !

وبعد أربعة أشهر من الكدح ، فرغ من الكتابة ، وتهيأ للحظة الحاسمة ٠٠ لحظة الحكم الاول على انتاجه الاول! ٠٠ وأقام أبواه حفلة عائلية ، دعوا اليها فريقا من معارفهما ، بينهم الدكتـور « ناكار » الذى ظل بقية العمر صديقا وطبيبا ومعجبا ببلزاك ٠٠ وطغى على الحفلة جو من المرح ، اذ كانت أخت « أونوريه » قد خطبت الى شاب من أبناء الاسر ذات التاريخ والالقاب ٠٠

وكان على « أونوريه » أن يقرأ مؤلفه الاول على المدعوين ٠٠ ولكن هؤلاء تحرجوا من الحكم على شىء لا يفقهونه ، فاقترح « دوسيرفى » ـ خطيب أخت بلزاك ـ أن يستخدم نفوذه لدى أستاذ فى الادب والتاريخ يعتبر حجة فى كليهما ، فيعرض عليه ما كتبه المؤلف الشاب ٠٠

وكان حكم الاستاذ كفيلا بأن يبدد أحلام بلزاك ، لولا أن

الرجل عرضه فى لباقة وترفق ، فأوصاه بأن يدرس الادب والشعر أولا •• ولكن الشاب رفض ، وكان فى العقد الذى أبرمه مع أبيه سند قوى له : كانت لا تزال أمامه سنة من الاثنتين اللتين منحهما للتجربة !

وفى عزيمة واصرار ـ ظلا يبدوان عقب كل أزمة فى حياته ـ عاد الى سجنه الاختيارى فى الحجرة المتواضعة بشارع «ليديجيير» ، وقد عزم على أن يتحول عن المسرحيات الى الروايات التاريخية •• وكتب روايتين •• ولكنهما ظلتا حبرا على ورق •• ومنى بالهزيمة فى ثاني ميدان حاول أن يغزوه فى عالم التأليف •• ولم يبق الا ستة شهور ثم ينتهى العقد ، ويعود الى أسر أبويه !

أخيرا •• وجد الناشر !

◆ **وفى** مثل هذه اللحظات اليائسة ، نقرأ فى الخرافات ان الشيطان يسعى الى البطل القانط فيبتاع منه نفسه وروحه •• ولكن الذى سعى الى بلزاك فى تلك اللحظات كان أبعد الناس عن الشياطين •• كان شابا فاتنا ، لطيفا، يحمل اسما أرستقراطيا «أوجيست لوبواتفان دولاجرفيل» وكان ابنا لاحد الممثلين •• واذ كان الفن والادب صنوين ، فقد وجد الشاب فى بلزاك صنوه المكمل، فأخذ يوحى اليه من ظلمات الفشل بحوافز مشجعة • وعرض عليه أن يشتركا معا •• هو يكون الفكرة وبلزاك يصوغها فى قالب روائى ، تاريخى •• ثم يسعى «لاجرفيل» بها الى ناشر كان يعرفه ••

وكانت روايتهما الاولى « شارل بوانتيل » أو « ابن العم الاعسر » ، وقد اتفقا على أن لا تحمل هذه الرواية اسم «بلزاك» وعلى أن يتخذ الشريكان بعد ذلك اسمين مستعارين يصدران بهما الروايات التي تتبعها •• فقلب « لاجرفيل » حروف اسمه،

فأصبح « فييلرجليه » ، وقلب « أونوريه » اسمه فجعله « لورد رون » ..

وانتهى عقد ايجار الغرفة المتواضعة ، فانتقل بلزاك الى دار أبويه، وعكف على الكتابة فى نظام دقيق صارم: فكانهو ينتج و « لاجرفيل » يبيع للناشر .. وبدأت مواهب « بلزاك » تشحذ وتنتظم وتعمل بالقوة العارمة التى عرفت عنه فيما بعد ..

وفى العام الاول - ١٨٢١ - تسلم منه شريكه روايتين : « شارل بوانتيل » و « ليه دو هيكتور » - « هيكتور وهيكتور » .. وقبل أن يفرغ الناشر من طبع الاولى ، كان بلزاك قد قدم رواية ثالثة من أربعة أجزاء ، كانت هى ختام العقد بينه وبين « لاجرفيل » .. وكان قد سئم أن ينتج لاسم سواه ، أو لاسم غير اسمه .. فكتب فى سنة ١٨٢٢ ثلاث روايات ، كل من أربعة أجزاء .. ولكنه ظل متخوفا من الرأى العام . فنشرها تحت اسم « هوراس دو سانت أوبان » .

البحث عن .. الحب !

◆ وكان فى تلك الاثناء قد بلغ الثالثة والعشرين ، ولما يتعرف على الحياة ، أو يتذوق الحب .. فقد باع أحلى سنى شبابه الباكر بثمن بخس مزر ليتحرر من ربقة أسرته.. وارتضى ان يعيش فى كهف العمل الدائب - بعيدا عن الحياة - ليحقق هذا الحلم .. ولكنه كان يشق طريقه قدما فى ظلمات الكهف، نحو الضوء ، والهواء ، والحرية .. ولعل تصويره لنفسه فى هذه المرحلة أبلغ من كل تصوير :

«ليت أحدا يلقى شعاعا سحريا على وجودى المتجمد فيصهره .. اننى لم أستمتع بعد بشىء من لذاذات الحياة..اننى أعيش جائعا ، وليس ثمة ما يشبع نهمى .. ولكنى لا أحفل بشىء من هذا كله ، فليس لى سوى أمنيتين أتوق اليهما : الحب والشهرة .. ولم تتحقق حتى الآن احداهما »

مدام دى بيرنى

◆ **وكانت** لبلزاك طباع الغزاة المظفرين ، وعزيمة أهل النجاح والتوفيق ٠٠ ولكن السنوات التى قضاها تحت ربقة أبويه يرسمان له نهجه فى الحياة كيفما لاح لهما ، جعلته لا يدرى الطريق الذى يسلكه نحو أحلامه ٠٠ نحو رغبتيه الوحيدتين ٠٠ فظل حتى الثلاثين من عمره يعيش حياة خالية من العاطفة التى كان الظمأ يحرقه من أجلها ٠٠ الحب والمرأة !

ولكن المشاعر المكبوتة لابد من أن تنفجر يوما ، ككل قوى الطبيعة ٠٠ وقد تفجرت مشاعر بلزاك فدفعته الى تجربته الاولى فى « فيلباريزى » ، حيث كان يقيم مع والديه ٠٠

كانت تجاورهم فى الريف أسرة من زوجين شاء القدر أن يكونا جارين لهم فى باريس أيضا ، مما وثق روابط الود بين الاسرتين٠٠ورأى آل بلزاك فى صداقة أسرة كان ربها مستشارا فى المحكمة الامبراطورية كما كان أبوه محافظا ، شرفا لا يستهان به ٠٠ وبينما توطدت الصلات بين « بلزاك » الاب والمسيو « جابرييل دو بيرنى » ، أصبحت الام صديقة حميمة لمدام دو بيرنى٠٠فلما حل أونوريه على دار الاسرة فى الريف ، كانت العلاقات وثيقة الى درجة جعلته يشرك « الكسندر » - ابن الزوجين الجارين - مع أخيه « هنرى بلزاك » فى الدروس الفرنسية التى كان يتعهده بها فى أوقات فراغه من التأليف ٠٠ ثم بدأت مدام بلزاك تلاحظ ان ابنها أخذ يتردد على دار « دو بيرنى » فى غير أوقات الدرس ، فخيل اليها انه وقع فى هوى « ايمانويل دو بيرنى »اليافعة٠٠

ولكن الفتى كان قد وقع فى غرام أم الفتاة ٠٠ فى غرام المرأة التى كانت فى سن تؤهلها لان تكون أمه ٠٠ اذ كانت

فى الخامسة والاربعين ، وقد أنجبت تسعة أولاد ، منهم من تزوج وأنجب بدوره !!

ولعل طابع الامومة الذى كان يطغى على كل طابع آخر فى شخصية « مدام دو بيرنى » هو الذى تيم بلزاك فيها ، اذ أنه لم يعرف الامومة منطفولته ٠٠ وكانت المرأة تنصت اليه اذا راح يحدثها عن مشروعاته وآماله وطموحه ، فيبث اهتمامها الثقة فى نفسه وينمى فيها الاعتداد الذى طالما افتقده الشاب ٠٠

وما ظنت المرأة انها كانت تذكى النـار التى لن تلبث أن تكتوى بها ، فما كان ليخطر لها ببال انها فى سنها تلك تروق فى عينى شاب مثل « أونوريه » ٠٠ لذلك راحت تقاومه فترة طالت الى شهور ٠٠ ولكن هذا كان غرامه الاول ، وكان يصبو الى أول انتصار حاسم له كى يؤمن بعد ذلك بنفسه ، فلم يشأ أن يسلم بالفشل ٠٠ وكانت المرأة على طول عهدها بالزواج لم تنعم بالعواطف الدافئة ٠٠ كانت لدى زوجها مجرد زوجة ، لا حبيبة ٠٠ لذلك لم يطل الصراع ٠٠ وفى احدى أمسيات شهر أغسطس ، وقع المحظور ، فتسلل «بلزاك» خلال الباب الخلفى لدار « دو بيرنى » ليجد المرأة فى ارتقابه ٠٠

للفضيحة ٠٠ رائحة !

على ان البلدة كانت صغيرة ، فلم تلبث كثرة تردده على دار الجارة ان استلفتت الانظار ، واستثارت الاقاويل ٠٠ وبدأت عينا أمه تتفتحان على الحقيقة ، فأدركت انه لم يلق فى المرأة مجرد العشيقة ، وانما وجد فيها أيضا الام التى افتقدها فيها٠٠ ومن هنا استيقظت غيرتها٠٠ ولكن شيئا مندسائسها ووقيعتها لم يقو على أن يحول الشاب عن عشيقته الاولى ٠٠ العشيقة التى أحبته ، فكان حبها الضوء الذى عثر على هداه على نفسه ، فاذا بالكاتب الحائر يتوارى فى أفواف تلك النفس ، ليحل محله الروائى الجدير بالمجد ٠٠ وخلال ارشادات مدام دو بيرنى

وخبرتها فى الحياة ، بدأت مواهب بلزاك تنجلى وتلمع ٠٠ حتى لقد ظل يسبح بحمدها فى كتاباته طيلة حياتها وبعد مماتها، ويصفها بأنها « المرأة العظيمة الناضجة ٠٠ ملاك الود والمحبة » !

مشروع خاسر ٠٠ يبدأ الديون !

◆ هكذا استجاب القدر لاولى رغبتى بلزاك ، فمنحه الحب ، ومنحه معه الاستقلال الروحى والثقة بالنفس ٠٠ وبقى أن يحصل على الاستقلال المادى كى يمضى فى الطريق التى كان ينشدها ٠٠

وكان حتى سن الخامسة والعشرين يخطو وئيدا فى كسب استقلاله المادى ، ولكنه فى شتاء ١٨٢٤ شرع يتعجل الزمن ، ويحاول أن يحرز بغيته بطفرة قوية ٠٠ وكان أغبر أيام حياته وأسودها يوم ولج حانوت مكتبة كانت فى المبنى رقم ٣٠ بشارع « سانت أندريه ديز آرت » ، متأبطا آخر رواياته ٠٠ **وقبل مسيو « أورباني كانيل » ـ صاحب المكتبة ـ ان يتولى نشر الرواية ، ثم شرع يحدث المؤلف الشاب عن مشروع ساوره ٠٠ فقد خطر له ان ينشر ـ فى فترة عيد الميلاد ـ مجموعات من الادب الكلاسيكى ، تتضمن كل مجموعة منها مؤلفات أحد مشاهير الكتاب السالفين ، بأسعار تمكن الطبقة الوسطى من أن تحرص على أن تزين بها مكتباتها المنزلية ٠**

وعبثت الفكرة بخيال بلزاك فتحمس لها ، وعرض على « كانيل » أن يكون له شريكا ، فلم ينقض الاسبوع الثانى من أبريل سنة ١٨٢٥ حتى وقعا عقدا ، تعهد بلزاك بموجبه أن يساهم بمبلغ متواضع لا يزيد على ثمانية آلاف من الفرنكات، فى نشر مجلد يضم مؤلفات « لافونتين » ٠٠ وكان ثمة شريكان آخران لكانيل ، ولكن ثلاثتهم لم يلبثوا فى أوائل مايو أن تبينوا أن المشروع لن ينجح ، فاذا بهم ينسحبون ، ملقين العبء على كاهل الشاب الخيالى ٠٠ وصار عليه أن يدفع تسعة آلاف فرنك، فانه أصر على المضى بالمشروع ٠٠ ولم يكن يملك من هذا المبلغ

ربعه ٠٠ وهنا تقدمت « مدام دو بيرنى » بثلاث كمبيالات لسداد المبلغ ٠٠

وكان خليقا ببلزاك أن يتريث حتى يتبين نتيجة المجلد الاول ولكنه ـ ولما ينته طبعه ـ شرع فى اعداد مجلد لمؤلفات «موليير»! ٠٠ وهكذا ، قبل أن يبيع نسخة من نتاج المشروع ، كان قد بدد أربعة عشر ألف فرنك من أموال سواه ! ٠٠ ومما زاد الطين بلة انه حدد ثمن النسخة بعشرين فرنكا ، فاذا بالكتاب الاول يكسد فى المكتبات ، حتى انه لم يبع منه فى العام الاول أكثر من عشرين نسخة !

وارتبك بلزاك ٠٠ وشرع يتخبـط ، فبدلا من أن يقنـع بالخسارة البسيطة ، خيل اليه ان من الممكن تجاوزها بالتوسع، كأن يقتنى مطبعة ليخفف من نفقات الطباعة ٠٠ ووجد لحظه ـ أو لسوء حظه ـ من يضمنه من أصدقاء الاسرة فى الحصول على قرض قدره ألفا وخمسمائة فرنك ٠٠ كما قدمت له مدام «ديلانوى» ـ احدى صديقات الاسرة ـ ثلاثين ألفا من الفرنكات ٠٠ وتطوعت مدام دو بيرنى بأن تكفل ما تبقى ٠٠

وفشل المشروع بشكله الجديد ، فقد كانت تعوز بلزاك الخبرة والتجربة ٠٠ وتراكم الفشل ٠ فلم يكن يزيد بلـــزاك سوى استدرارا لاموال الغير كى يلقيها فى هوة الافلاس التى فتحت فاها عن آخره ٠٠ وهكذا بلغ ما ضحت به مدام دو بيرنى فى سبيل عشيقها خمسا وأربعين ألف فرنك !

لا يعرف اليأس

◆ **وكان** خليقا بهذا الانهيار أن يودى ببلزاك الى هوة اليأس والقنوط ٠٠ ولكن بلزاك بالذات لم يكن من هذا الصنف من الناس ، بل انه أحس بالتحرر من ربقة المسئولية ، ليبدأ من جديد ٠٠ على انه كان مضطرا فى أول الامر الى أن يختفى عن دائنيه ٠٠ ومن هنا اضطر فى مارس سنة ١٨٢٨ الى أن يستأجر منزلا متواضعا منزويا فى شارع « كاسينى » تحت اسم «مسيو

دوسيرفى ٠٠ **(وفى هذا المنزل ظل بلزاك تسع سنوات يستمد من خياله الوحى ، ويصطنع الشخصيات والاحداث، ثم يصوغها روايات ٠٠ وكان قد سئم أن يظل منزويا فى زوايا الانغمار ، فشحذ عزيمته معولا على أن يعمل جاهدا دائبا حتى يغدو من الكتاب الخالدين !**

وهكذا عاش فترة غارقا فى التفكير ، منكبا على التأليف بعزيمة لا تلين ٠٠ فلم يحن منتصف مارس سنة ١٨٢٩ حتى دفع الى الناشر بالاجزاء الاربعة لقصة «الثائر الاخير أو بريطانيا فى سنة ١٨٠٠ » ٠٠ ووضع عليه اسم « أونوريه بلزاك » ٠٠ ولم تلق الرواية النجاح المنشود ، بل انها كانت فرصة للنقاد كى يطلقوا العنان لحملاتهم ٠٠

الصبر يثمر فى النهاية !

لكن النجاح كان فى الطريق ٠٠ ففيما كان يعمل فى الفصول الاخيرة من تلك الرواية ، اذا بناشر كان يدينه فى مبلغ من المال يعثر على مخبأه ، فيمسك بتلابيبه ٠٠ ولم يجد بلزاك مفرا سوى أن يعده بأن يدفع اليه بكتاب جديد ، ثم راح ينبش خلال أوراقه ، حتى عثر على أصول كتاب عن الحياة الزوجية كان قد كتبه فى فترات فراغه من المحاولات الروائية ، فأقبل ينقحه، وأبدل عنوانه الى « النواحى البدنية فى الزواج » ٠٠ وعندما انتهى من التنقيح لم يكن قد تبقى من الاصل القديم الا فقرات متناثرة ٠٠

ولقى الكتاب نجاحا ! ٠٠ وغدا مدار مناقشات ،منها ما هو من قبيل الدعابة المرحة ، ومنها الجاف الناقم ٠٠ **وكأن الكتاب كان ثغرة فى سياج النحس الذى اعترض سبيل بلزاك ، فأخذ نشاطه العرم يتدفق خلالها قويا فيتسع نطاقها باندفاعه ٠٠ وبدأ اسمه يلمع فى عالم الادب ٠٠ وكان انتاجه فى عامى ١٨٣٠ و١٨٣١ انتاجا لا مثيل له فى تاريخ التأليف الادبى ، اذ راح يفيض على المطابع روايات قصيرة ، وقصصا ، ومقالات صحفية ، ومقالات**

خفيفة أدبية ، ومجادلات سياسية ٠٠ حتى ليقدر متوسط انتاجه خلال تينك السنتين ست عشرة صحيفة مطبوعة ـ بحجم الفولسكاب ـ فى اليوم الواحد !٠٠ وكان أهم طابع فى كتابه بلزاك هو ذلك الاسلوب الذى كان يعرض به موضوعاته ، ولعل أول رواية سلك فيها بلزاك هذا المسلك هى رواية « صبغة الخوف » ، اذ جعل منها قطاعا فى المجتمع صور فيه الطبقة العليا مختلطة بالطبقة الدنيا ، والغنى ممتزجا بالفقر ، والبذخ الى جانب العوز٠٠ وبدأ النقاد يرون فيه كاتبا واقعيا ذا روح شاعرية حساسة ٠٠ وهكذا اكتشف بلزاك بعد عشر سنوات من المحاولات ، حقيقة المهمة التى يليق لها : تأريخ عصره ، وتصوير مجتمعه ٠٠

عندئذ ، وعندئذ فقط ، وقد بلغ الثلاثين ـ فى سنة ١٨٣١ ـ أصر بلزاك على أن يكون «أونوريه دو بلزاك» ، وعلى أن ينسب نفسه الى الارستقراطية ! ٠٠ وفى هذه الحلقة الرابعة من عمره بلغ بلزاك أوج نموه كرجل ، وكفنان ، وكأديب ، وكشخصية ٠٠ وبدأ يستقر فى ركب الحياة

الارملة الطروب !

◆ **ولكن**، فى غمرة العمل الدائب الذى لا هوادة فيه، وتحت وطأة الديون المرهقة ، كان بلزاك لا يفتأ يحن الى امرأة تكون له أما، وأختا، وعشيقة، ومعينة، وزميلة ـ كماكانت مدام دوبيرنى له فى أعوام نموه وتطوره ! ٠٠ وما كانت بغيته لتجتمع الا فى امرأة تكون الفطرة قد حبتها أنوثة ، والقدر قد خلع عليها ثراء ، والمجتمع قد نسبها الى الطبقة الارستقراطية ٠٠

على أن هذا الحلم لم يتحقق كاملا قط ٠٠ كان اذا وجد الجميلة المثرية، وجدها غير ذات حسب٠٠ أو اذا وجد المثرية الحسيبة ألفاها بعيدة عن الجمال ، كما فى حالة دوقة «دابرانتيه» التى التقى بها لاول مرة فى فرساى فى سنة

١٨٧٩ ، وكانت أرملة «الجنرال جينو»، فلم تلبث أن اجتذبته من التعلق بأهداب صديقته القديمة مدام دو بيرنى ، بأن أثارت أقوى عاملين في طبيعته : تعطش الفنان الى الارتواء من التاريخ من منابعه الحية ـ وقد كانت الدوقة من هذه المنابع ـ والرغبة الجامحة فى الانتساب الى علية القوم !

ومع ان علاقتهما الغرامية لم تدم طويلا ، الا انها خلفت زمالة وطيدة ٠٠ وقدمته الدوقة الىمدام ريكاميه، والى معارفها من الطبقة الارستقراطية ، بينما كان هو يعاونها فى تأليف مذكراتها التى نشرت باسمها ٠٠ وما لبثت ان غربت عن أفق حياته وذاكرته ، حتى انها حين وجدت بعد سنوات ميتة فى أحقر أحياء باريس ، لم يكد يذكرها بالقدر الذى يدعوه الى الحزن عليها !

وفى أوائل علاقته بالدوقة ، التقى بامرأة أخرى ، هى « زولما كارو » التى لم يلبث أن ارتبط بها بأنبل وأنقى وأطهر الروابط، رغم فترات التباعد والانفصال التى تخللت علاقتهما ٠٠ **وكانت «زولما » زوجة لضابط كفل لها حياة هادئة ، وقد ارتبطت مع أخت بلزاك بمودة وصداقة كانتا السبيل الذى جمع بينها وبينه ، فاذا به يكشف لديها ذكاء ، وبديهة ، وروحا ، ومشاعر لم تتوفر للداتها ، بل ولا لكثير من زملائه ونقاده ٠٠ فكان اذا أنهكه العمل ، أو أرهقته مطاردة الدائنين ، لاذ ببيتها فألفى الهدوء والنعيم ٠٠ وسرعان ما لمس اخلاصها ووفاءها واندمج معها فى حب أفلاطونى رفيع ٠٠ وكان يعتد بآرائهـــا فوق اعتداده بآراء أى ناقد مهما بلغ شأنه، ويحفل بنصحها وارشادها الى أقصى حد !**

القهوة السوداء ٠٠

◆ **لكن** النجاح المباغت خطر على رجل الادب والفن ٠٠ وكذلك كان الامر مع بلزاك ، اذ قفز اسمه فجأة الى الصفوف الاولى للكتاب والاعلام فى أوربا ، فتنافست الصحف فى الفوز بنفثات

قلمه ، وانهالت عليه خطابات الاعجاب من القراء ، وأقبـل الناشرون ينشدون انتاجه .. ومهما كان اتزان أديب مثـل بلزاك ، فانه لا يملك ـ ازاء هذه الاضواء المفاجئة ـ الا أن يعشى ! .. وقد انتشى بلزاك بالفعل بخمر الانتصار ، وشرع يعمل على الظهور فى المجتمع بالمظهر اللائق بشهرته ، فاتخذ مسكنا فى شارع « كاسينى » أثثه برياش فخم ، وبالغ فى تأنقه ، وابتاع أغلى الثياب .. غير ان المجتمعات الباريسية الراقية والاوساط العليا لم تستخف ظله، ولافتحت له ذراعيها، سيما وأن تركيبه الجسمى لم يكن يتيح له أى مظهر يرضى أرستقراطيته المرجوة !

الادب شىء .. والمجتمع شىء آخر !

وكان بلزاك يزداد اسرافا فى التأنق والفخفخة كلما ازداد شعورا بفشله فى المجتمع .. وأخذ ينفق فى تبـذير كان كفيلا بأن يلفت اليه الانظار .. ولكنه لم يفلح الا فى أن يبدو ـ خارج صومعة الادب ـ دعيا ، مهرجا .. فما كان له مركز أو مقام الا فى عمله وانتاجه .. فهنا ، وفى هذا الميدان فقط ، كان الجميع ـ حتى حاسدوه ـ يرون فيه صاحب أعظـم عقل منظم ، مرهف ، منتج فى عصره !

وكانت هذه الخلال الاخيرة هى العون الاكبر له على أن يعكف على العمل .. كان على العكس من أقرانه : نهارهم ليله ، وليلهم نهاره .. كان خادمه يوقظه فى منتصف الليل ، وقد هجعت باريس ، فينهض من فراشه ليجد الخادم قد أشعل له ست شمعات فى شمعدان فضى على مائدة الكتابة ، وأحـكم اسدال الستائر على النوافذ حتى لا تلوح لمحة تربطه بالعالم الخارجى، وحتى يسهل عليه أن يندمج فى دنياه الخاصة .. دنيا الخيال والشاعرية .. ويظل عاكفا على العمل دون سأم .. وتمضى خمس أو ست ساعات لا ينقطع خلالها صرير القلـم ، حتى



تتيبس أصابعه ، وتكل عيناه ، وتتوتر أعصابه، واذ ذاك ينهض عن مقعده، لا ليرتمى على فراشه، وانما ٠٠ ليعد لنفسه قدحا من القهوة الثقيلة السوداء ، يفعل فيه فعل الوقود فى الآلة ، فاذا هو يعود الى مقعده ويواصل العمل ، غير شاعر بالنهار الذى فاض على باريس ٠٠ خارج صومعته

كانت القهوة خير أسلحته٠٠ بل انها كانت ضرورة تفوق الاكل والنوم ، حتى لقد ذكر عن أحد كتبه انه لم يتم الا ٠٠ فى سيل من القهوة !٠٠ على انه لم يلبث فى سنة ١٨٤٥ ان فطن الى ما خلفه السائل الاسود فى معدته من أوجاع قاسية٠٠ وأخذ يشكو من أن القهوة فقدت تأثيرها عليه ٠٠ واذا كانت الخمسون ألف قدح التى احتساها أثناء كتابة موسوعته القصصية الواسعة الانتشار «الكوميديا الانسانية » قد ساعدت على اخراج هذا السفر الخالد ، الا أنها فى الوقت ذاته كانت السبب فيما أصاب قلبه من ضعف عانى آثاره فى أواخر أيامه٠٠

هكذا كان يمضى فى العمل من منتصف الليل حتى الصباح ٠٠ فاذا ما تناهى اليه ضجيج حركة النهار فى شوارع باريس ، بدأ يتهيأ لاستقبال الرسل القادمين من المطابع وادارات الصحف والناشرين ، يحملون اليه « بروفات » ما كتب قبل ليلتين ، فيمضى فى مراجعتها بدقة ٠٠ وكان لا يفتأ يغير ويبدل ، حتى تمتلىء كل هوامش « البروفة » فيلحق بها أوراقا من عنده ٠٠ اذ كان قلما يرضى عما كتب قبل ساعته ، وكان يجرى قلمه

كالمشرط يشرح أوصال العبارات فى غير اشفاق على الناشرين مما يكبدهم هذا من نفقات ، لانه كان يهتم قبل كل شىء بارضاء ذوقه الفنى

المركيزة دى كاســـترى

◆ **تهفو** النساء دواما الى الكاتب الذى يعالج مشكلاتهن ، ولذلك كان بلزاك يتلقى فيضا من الرسائل من كافة أرجاء أوربا .. من فرنسا ، وألمانيا ، وروسيا ، وبولندا ..

وفى الخامس من أكتوبر سنة ١٨٣١ تلقى أحد هذه الخطابات ، فأخذ بنوع الورق الذى كتب عليه ، ودقة الخط ، وروعة الاسلوب ، مما نم عن ان الكاتبة – التى تعمدت اغفال اسمها – تنتمى الى أرقى الطبقات . فأيقظ هذا أحلامه ، وراح يتصورها شابة ، حسناء ، تعيسة ، خاضت غمار المحن والمآسى .

ولم يعد بلزاك بعد هذا الخطاب ينعم براحة ، اذ راح مركب النقص فى نفسه ، وولعه بالتقرب الى علية القوم ، يخزانه .. حتى انتهى الى أن أرسل الى العنوان الذى ورد فى الرسالة ، ردا مسهبا فى ست صفحات !

وتوالت الرسائل المتبادلة بينه وبين المرأة التى صح ما توقعه فيها ، فاذا هى «مركيزة» يرتقب ان ترث لقب الدوقية لانتمائها الى الدم الازرق فى حى « سان جرمين » ، ولانحدارها من سلالة عريقة ترجع الى القرن الحادى عشر .. تلك هى « الماركيزة هنرييت مارى دو كاسترى » ، التى كان زوجها لا يقل عنهـــا عراقة ونبل محتد ..

واستبد حب العظمة ببلزاك ، فتدله فى هوى السيدة دون أن يراها ! .. وما كان شعوره ليتغير ازاءها لو انه تبين انهـــا قبيحة أو غبية ، اذ كانت جميع أحاسيسه رهن ارادته دائما.. وقد عقد عزمه على أن يرتبط معها برباط الغرام قبل ان تدعوه الى لقائها فى قصر « كاستيلان » ..

وكان وقوع كاتب شهير نابغة كبلزاك فى هوى المركيزة كفيلا بأن يرضى غرورها ، ويحملها على أن تقربه اليها .. على انها حين شعرت انه بدأ يتجاوز فى علاقته بها الحد المشروع ، صدته فى حزم .. ثم قطع عليه مواصلة حملاته لنيلها ، اضطراره الى مغادرة باريس ، اذ بدأت احدى أزماته المالية تخيم على جو حياته ـ فقد كانت ميزانيته دواما على شفا حفرة من الاختلال ـ فلما صرفته الليالى التى قضاها فى التقرب الى المركيزة عن الانتاج ، باع عربته وجواديه ، وخفض عدد خدمه .. ولكن الديون ظلت تتراكم عليه، حتى اضطر الدائنون والمحضرون الى محاصرة داره ، ففر الى الريف ..

يقترض .. ليلحق بمحبوبته !

وهناك ، خطر له أن يعهد الى أمه ـ التى جاهد حتى تخلص من ربقتها ـ بأن تنظم له شئونه المالية ، اذ كان يعرف فيها شحها وتقتيرها .. وفعلا أخذت العجوز تدبر وتقتصد وتوفر .. ولكن الديون كانت أكبر من كل محاولاتها .. وهنا اضطر بلزاك الى العمل ، فقد كانت المحن والضائقات أعظم حافز له على العمل والانتاج .. وفى الوقت ذاته كانت أمه قد سعت حتى حصلت له من صديقتها القديمة « مدام ديلانوى » على قرض جديد ، أقال ميزانيته من تعثرها ..

وكانت المركيزة دو كاسترى قد دعته أكثر من مرة خلال الصيف الى أن يلحق بها فى « اكس آن سافوا » ، ولكن الضائقة المالية حالت بينه وبين تلبية الدعوة .. على ان القرض لم يكد يخرجه من الضائقة ، حتى خف الى حيث دعته .. وكانت المركيزة من الحصافة بحيث حجزت له غرفة فى غير الفندق الذى كانت تقيم فيه ، مما اضطره الى أن يحصر زياراته المسائية فى حدود العرف الذى اصطلح عليه المجتمع .. ومما اضطره أيضا الى أن يغير المواعيد التى اعتاد أن يعمل فيها ، وان يتفرغ من السادسة صباحا الى السادسة مساء للكتابة والتأليف ..

على أنه لم يستطع أن يظفر من المركيزة بأكثر من قبلة مختلسة ، فقد كانت حازمة فى صده ٠٠ حتى اذا بلغـــا فى ترحالهما مدينة « جنيف » دب بينهما شقاق شديد ، يبدو ان المرأة جرحت خلاله كبرياء بلزاك جرحا عميقا ، فقد عمد بعد ذلك الى رسمها فى أحقر الاشكال فى رواية « دوقة دولانجيه » ٠

فتح النجـــاح المبـــكر عينى بلزاك الى أن لديه قوة خفية ، فأحس بأن فى وسعه أن يقهر العالم كله بطرف قلمه ٠٠ ولو انه كان راغبا فى المال والثراء فحسب ـ كما توحى حياته الظاهرية ورسائله ـ لكان من السهل عليه ان يرسل القلم فيكسب المال ٠٠ ولكن شعوره بقوته أذكى فى روحه لهبا حاميا ، جعله يخاطر بالعمل على التحول بأذواق قرائه ، والى التنويع فى انتاجه ـ لا سيما فى الفترة بين سنتى ١٨٣٢ و١٨٣٦ ـ سعيا وراء تعرف مدى هذه القوة الكامنة فى أعماقه، قوة النبوغ والعبقرية!

وقد انصرف فى أغلب انتاجه الى تصوير الحياة فى عصره ، حتى غدا أعظم مؤرخى عهده ٠٠ ولم يحفل بمحاولات الناشرين التى أرادوا فيها توجيهه الى ما اعتادوا من تملق القراء ٠٠ ولم تثنه مطالب الدائنين وتوقيعهم الحجز على متاعه٠٠ بل مضى فى مغامرته الادبية ، وهو مستند الى القوة الطاغية التى أحسها فى نفسه ٠٠ وقد آلى على نفسه أن يبنى صرحا خالدا فى عـــالم الادب !

البارونة دى هانسكا

◆ **وكانت** تعوزه فى هذا الصراع زوجة ذات ثروة تتيح له راحة البال والتفرغ للجهاد ٠٠ وكان أذكى من أن يغفل ان شكله وبنيانه لا يغريان امرأة على التعلق به ـ لا سيما بعد التجربة التى اجتازها مع الماركيزة دو كاسترى ـ فلم يبق الا أن يحزم جرأته ويرتقب ان يواتيه الحظ بفرصة ؟؟

وفى ذات يوم، لمح على مكتبه خطابا أنيقا يحمل خاتما روسيا، وقد ذيل بتوقيع « المجهولة » ٠٠ وكان الخطاب قد وصل اليه فى اليوم الذى تلقى فيه أول دعوة من الماركيزة ليزورها فى قصر «كاستيلان» فأهمله دون أن يفضه ، وما كان ليخطر له ببال ان هذا الخطاب قد يكون ذا أثر حاسم فى بقية حياته ٠٠

وكانت لهذه الرسالة قصة ما كانت لترد على فكر بلزاك ، ولا فى الخيال ٠٠ قصة دارت فى قصر ريفى فى « فولينيا » ، وكانت قرية منعزلة عن العمران وسط غابات شاسعة فى أوكرانيا، تقع كلها فى حوزة ثرى روسى بولندى، يدعى البارون « ونسيسلاف هانسكى » ٠٠ **وكانت كل ألوان الترف والرفاهية والترفيه المتوافرة فى القصر والاملاك الشاسعة ، أعجز من أن تدفع ملل الوحدة عن البارون وزوجته الحسناء الفاتنة «ايفلينا» التى لم تجد فى المنطقة بأسرها من أوتى من الذكاء والحجى ما يؤهله لان يكون سميرا لها ٠٠ وكانت تقيم على مقربة من القصر قريبتان للسيدة ، اعتادت أن تدعوهما للتسرية عنها ٠٠**

وتصادف أن كان البارون مشتركا فى عدد من الصحف الاجنبية ، بينها « الكوتيديين » الفرنسية التى كانت تعنى بالانتاج الادبى ٠٠ وفى احدى ليالى شتاء سنة ١٨٣١ المملة خطر للسيدات أن يبتكرن تسلية جديدة ، فيشتركن فى كتابة خطاب لاحد الادباء المشهورين ٠٠ ووقع اختيارهن على «أونوريه دى بلزاك» ، اذ تردد فى «الكوتيديين» ذكره ٠٠ وزيادة فى استثارة الاديب ، قررن أن يذيل الخطاب بتوقيع «مجهولة» !

ولم تتلق السيدات ردا على خطابهن الاول ، فأردفنه بعد اسابيع بثان .. وشغل التفكير فى الخطاب ، وترقب الرد ، اوقات الملل التى كن يضقن بها .. ثم يئسن من ان يتسلمن ردا ، فعدلن عن الاستمرار فى المعابثة ..

ولكن «ايفيلينا هانسكا» كانت تعجب حقا ببلزاك ، فقررت ان ترسل له خطابا ثالثا ، وان ترجوه أن ينشر فى «الكوتيديين» كلمة تشير الى انه تلقى الخطابات ..

وفى ٨ يناير سنة ١٨٣٣ ، وصلت نسخة من «الكوتيديين» تحمل تاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٨٣٢ .. وكم كانت دهشة مدام هانسكا اذ الفت فى قسم الاعلانات كلمة من بلزاك يسأل فيها عن عنوان يكتب اليها فيه ..

واثار الرد غرورها ، وفضولها ، وروح المغامرة فى نفسها، فكتبت اليه ان يراسلها باسم مربية ابنتها .. ثم راحت ترتقب فى انفعال وقلق نتيجة لعبتها الخطرة ..

وراقت اللعبة لبلزاك ، فكانت رسائله الاولى بمثابة فصول فى قصة غرامية عول على أن يدع الاحداث تكتب خاتمتها .. وفى اسلوبه الرائع ، راح يصور شوقه الى ان يحب ، وحنينه الى ان ينعم بالهوى البرىء الطاهر ..

واستبد الفضول بمدام هانسكا ، لكى تعرف المزيد عن بطلها النابغة ، فما زالت بزوجها حتى وافق على ان يصحبها فى رحلة الى اوربا الغربية .. وفى اوائل سنة ١٨٣٣ تحركت بهما قافلة كبيرة تضم افخم المعدات ، وتحمل معهما الخدم والحشم ..

اللقاء الموعود !

وبادرت مدام دوهانسكا الى الكتابة الى بلزاك .. واتفقا على ان يلتقيا فى «نيوشاتل» ـ على الحدود بين النمسا وفرنسا ـ وعلى ان لا يمكث فى هذا المصيف سوى ايام ، يرجع بعدها الى باريس ، ليعود فى اكتوبر فيمكث على مقربة منها شهرا ..

وفى طريق خالية ظللتها الاشجار ، التقى العاشقان فى فترة القيلولة من يوم ٢٦ سبتمبر .. ولا يدرى احد ما دار فى هذا اللقاء ، ولكن المرجح انهما دبرا خطة استطاع بلزاك بفضلها ان يقدم رسميا الى اسرة دوهانسكا فى ذلك المساء ،

وسرعان ما اكتسب مكانة لدى رب الاسرة وابنة اخت له كانت ترافقه .. اما مدام هانسكا ، فكانت تتفاداه ، ولم تقابله على انفراد الا لماما ، على انها سمحت له فى هذه المرات القليلة ان يغازلها وان يختطف قبلة منها .. فحسب !

وقد كانت رحلة بلزاك هذه الى «نيو شاتل» بمثابة المقدمة، او الرحلة «الاستطلاعية» التى تعرف فيها على المرأة التى احبها قبل ان يراها ، وعلى مالديها من مواطن الضعف ، وما لديها من مقاومة وصد ، توطئة للغزوة الحاسمة !

وما ان حل شهر ديسمبر سنة ١٨٣٣ ، حتى كان قد فرغ من اعداد عدته .. اذ صدرت روايته «يوجينى جرانديه» فاصابت نجاحا باهرا ، دفعه الى الرحيل الى جنيف فى عيد الميلاد ، فاذا بخصلة من شعر مدام هانسكا ، فى خاتم ثمين ، تنتظره فى الفندق مع تحية رقيقة !

وفى الايام التالية اخذ يقضي وقته من منتصف الليل حتى الظهر التالى عاكفا على رواية «دوقة دولانجليه» ، يتمها ويسكب فيها كل ما فى قلبه من مرارة نحو مدام دوكاسترى **.. فاذا كان الاصيل ، تحول يحاول اقتحام ما تبقى من استحكامات لدى الروسية الفاتنة**

واخيرا .. وبعد اربعة اسابيع من الجهاد ، نال بغيته !

.. حتى يزول الزوج من الطريق !

على ان الخطيئة لم تؤد الى احدى النهايات الخيالية التى رسمها بلزاك في ذهنه ، وانما انتهت الى ان تعاهد العاشقان على ان يسجل كل منهما مشاعره والاحداث التى تعترض حياته فى دقة وامانة ، الى ان تشاء الاقدار ان يزول البارون دوهانسكى من طريقهما !

وافترقا .. فعاد بلزاك الى باريس ، ليعكف على الانتاج الادبى بكل قواه ومواهبه .. والاطباء يرقبونه فى قلق وتوجس

.. ولعله كان يرجو ان يجمع من المال ما يمكنه من ان يرى حبيبته مرة اخرى قبل عودتها الى «اوكرانيا» فى ربيع عام ١٨٣٤ ..

ولكن الشهور توالت وبذخه واسرافه لا يدعان له سبيلا الى تحقيق رحلة الوداع .. **ثم نمى اليـه أن «دوهانسكا» يصر على الرحيل فى شهر مايو برغم كل محاولات زوجتـه للتلكؤ ، فلم يسعه سوى أن يرهن كل ما كان فى قصره من «فضيات» ، وان يتقاضى من الناشرين قروضا على مؤلفات لم يفكر فيها بعد ، وغادر باريس فى التاسع من مايو فوصل الى فيينا فى السادس عشر ، واذا بالاهالى يستقبلونه استقبالا حافلا ، وعلية القوم يتنافسون على اكرامه ، و«مترنيخ» اقوى ساسة اوربا يدعوه الى داره** .. وفى غير اوقات المآدب ، اخذ يقضى معظم ساعاته فى صحبة مدام دوهانسكا .. واحس بانه قد ارتفع الى السماء السابعة ، ولكن نعيمه لم يطل ، فان الضيق المالى اخذ يستحكم ويشدد عليه الخناق ، حتى اضطره الى ان يستدين باسم ناشر كتبه دون تفويض منه !.. ولكن حتى هذه الجرعة المسكنة لم تحل الاشكال ، فهجر فى النهاية احضان حبيبته راغما ليعود الى باريس .. وهو لا يدرى ان قد قدر له ان لا يرى فاتنته قبل مضى سبع سنوات !

سنوات النوائب

◆ **ذلك** ان النكبات تلقفت بلزاك عند عودته الى باريس ، وكأنما كان عليه ان يدفع ثمن الهناءة التى انتشى بها .. وكان قد استنفد كل دخله من كتبه ، وتقاضى ثمن كتاب جديد كان عليه أن يكتبه لمجلة «دوموند» لينشر على حلقات تحت اسم «مذكرات زوجة شابة» .. كما كان عليه ان يتم فصول رواية «سيرافيتا» التى تقاضى ثمنها ايضا !.. لذلك اقبل على العمل الشاق .. ورأى أن يعوض مجلة «دوموند» عن «مذكرات زوجة

شابة» بمؤلف آخر شرع يضعه مستلهما وحى رحلته الاخيرة .. وكان من عادته ان يكتب فصلا ، فاذا ما نشر كتب الفصل التالى .. كما كان حريصا على ان يصحح «البروفات» بنفسه .. ولكن الصحيفة كانت قد ارتبطت مع مجلة تصدر بالفرنسية فى روسيا على ان توافيها بانتاج كبار الادباء لتنشره فى نفس الوقت الذى ينشر فيه فى فرنسا ، ودون ان تستأذن «بلزاك» ارسلت الى هذه المجلة نسخة من «البروفة» الاولى ، التى كان مقدورا ان يعدل بلزاك الشطر الاكبر منها اثناء مراجعتها ..

وكم كان هياج بلزاك حين قدر له ان يقرأ الفصل الاول فى الصحيفة الروسية ، فى قالبه البدائى قبل ان يراجعه ، فلم يتردد فى مقاضاة مجلة «دوموند» من اجل فعلتها .. واشفق عليه اصدقاؤه ، فقد كان نفوذ المجلة عظيما فى الوسط الادبى ، وكانت تتبعها مجلات اخرى ذات رواج فى طول فرنسا وعرضها ، ولو انها ارادت أن تهدم كاتبا ما تعذر عليها !

التشهير بحياته الخاصة !

وتجاوز النزاع جدران المحكمة الى صفحات المجلات والجرائد .. وشن خصم بلزاك عليه حملة قاسية ، تناول فيها حياته الخاصة باشنع اسلوب ، وكشف عن تمسحه بعلية القوم وذوى الالقاب .. الخ

ومع ان بلزاك ظفر بحكم «ادبى» من القضاء فى صالحه ، الا انه اضاع اسابيع طوالا لم يفرغ فيها الى عمله ، فضلا عما تراكم عليه من نفقات النزاع .. وعما راح ينهش سمعته من حملات .. وهكذا افاق ليجد الدائنين يحاصرونه ، حتى لقد اضطر الى ان يهرب اثمن اثاثه ورياشه الى مسكن كان قد استأجره فى شارع «باتاى» تحت اسم «الارملة ديران» ، وهجر داره فى شارع «كاسينى» .. واخذ يقضى اوقاته فى ابتكار الحيل للتهرب من الدائنين ، وتفادي المحضرين !

وزاد الطين بلة انه طولب فى تلك الاثناء بان يقضى المدة التى كان مفروضا على كل مواطن ان يلتحق خلالها بالخدمة فى الحرس الوطنى .. وكأنما غاظه تكأكؤ النوائب عليه فثارت كبرياؤه ، واذا به يرفض تلبية الواجب زاعما انه لا يعترف بالملك لويس فيليب ملكا شرعيا !.. وآثر ان يقضى فى السجن ثمانية ايام عن ان ينزل عن عناده .. ولكنه اخفى هذا الحادث عن مدام دوهانسكا – فى المذكرات التى كان قد وعد بأن يسجل فيها احداث حياته بالصدق والامانة ! – زاعما انه انما قضى تلك الفترة فى غرفة حقيرة استأجرها خصيصا ليلوذ فيها من دائنيه !!

يخون عشيقته .. مع اخرى !

◆ **وفى** الوقت الذى كان يكتب فيه الى مدام دوهانسكا عن هواه وجواه ، وعن الوحدة والوحشة المحيطتين به لبعدها – فى تلك السنة التى كان يتقلب خلالها بين النوائب والترف فى تناوب عجيب – كان يقضى وقت فراغه من العمل الى جوار حبيبة اخرى!.. وكان من سخرية القدر ان دوهانسكا هى التى دفعته الى احضان غريمتها دون ان تعى ، اذ زودته بخطاب الى الكونتة ابونيى ، زوجة السفير النمسوى بباريس ، التى عرفته بدورها بالكونتة «جويدوبونى فيسكونتى» الايطالية التى كان لها من الجمال الخلاب والاصل العريق ما انساه عهوده للحبيبة الروسية !.. فصارت عشيقته وصديقته الوفية طيلة خمس سنوات ، وان كان الذين تعرضوا لتأريخ سيرته لم يوفوها حقها ، بل منهم من لم يفطن الى وجودها فى حياته ..

وكانت جريئة ، لم تكد تعتزم ان تسلمه نفسها حتى اسلمتها خالصة ، متفانية .. كما كانت متسامحة ، متساهلة ، فلم تحاول ان تحصى عليه حركاته ، او تقيد علاقاته مع سواها ، او ترهقه بالغيرة الحمقاء .. ومن عجب انه كان طيلة علاقته بها ، لا ينفك يراسل مدام دوهانسكا ويبثها جواه !

مناجم الفضة فى سردينيا

◆ **وكانت** سنتا ١٨٣٦ و١٨٣٧ من اكثر سنى حياة بلزاك ازدحاما بالنوائب والضائقات .. كانت احواله لا تكاد تتحسن، حتى يميل بها - بتصرفاته - الى الانحراف والاختلال .. فقد كان تعجله وقلة صبره يقضيان على ما قد يكون مرتقبا لاى مشروع يسعى فيه من توفيق .. وكان الخيال الذى خلد اسمه فى عالم الادب ، عنصر فشله فى حياته العملية !

وقد كان اول مشروعاته فى تلك الفترة ان يشيد لنفسه بيتا يضفى عليه كل ما كان يحلم به من روعة الفن .. وحدث ان شاهد يوما كوخا منعزلا فى وادى «سيفر» فبادر الى شرائه .. ثم نمى اليه ان ثمة خطا حديديا الى «فرساى» يوشك ان يمد على مقربة ، فاقبل يبتاع الاراضى التى بين موقع الكوخ وموقع الخط الحديدى ، وقد ثارت فيه روح المغامرة .. ولكن الفلاحين ما لبثوا أن فطنوا ، فاستغلوا تهافته وعدم خبرته بالممارسة ، وراحوا يرفعون اثمان اراضيهم الى مستوى باهظ .. ولم يتراجع «بلزاك» ، بل واصل الشراء ، فلم تمض اسابيع حتى كان يملك مساحة كبيرة .. ولكنه لم يحتط ويستوثق من مساحتها او حتى يسجل ملكيته لها !

ثم تحول الى بناء بيت فى وسط تلك المساحة الشاسعة، وعلى مقربة من الكوخ .. وغالى فى الانفاق ، واخذ يتوسع فى البناء حتى تراكمت عليه ديون بلغت مائة الف فرنك !

واحس انه فى حاجة الى ثروة عاجلة .. واذ ذاك تذكر انه فى رحلته فى ايطاليا سنة ١٨٣٧ ، التقى بتاجر حدثه عن مناجم للفضة فى جزيرة سردينيا ، مهملة من عهد الرومان .. فسرعان ما شد الرحال الى هناك ، وهو يرسم فى ذهنه خطوط مشروع راح يضفى عليه من خياله حتى اوشك ان يوقن من ان الثراء الفاحش قد دان له فعلا ، ولما يبدأ بعد !

وكانت رحلة خيالية فى الواقع ، فلا هو كان يفهم فى المناجم او المعادن ، ولا هو اصطحب معه خبيرا .. بل انه لم يحمل معه ادوات او معدات ، ولو لاستخراج عينة من الكنز المنشود ..

وغنى عن البيان انه منى بفشل ذريع .. ليس هـذا فحسب ، بل انه اضاع على نفسه ثلاثة شهور دون انتاج ، وبدد اموالا فى غير طائل ، وعرض صحته للانهيار ، واعصابه للتوتر .. ومن سخريات القدر ان تقديراته الاولى للمشروع كانت صحيحة ، اذ ان اهتمامه بالمناجم التى فى سردينيا لفت انظار بعض المغامرين ، فاقبلوا بعده على محاولة استغلالها ، واذا بها تدر عليهم ثراء وفيرا .. وهكذا كان بلزاك فى ميدان الاعمال .. يقع على المشروعات الناجحة ، ولكن خياله وتعجله النتائج لا يلبثان ان يتدخلا فيفسدا عليه كل شىء !.. بينما يفتح فشله سبيل النجاح لسواه !

مأساة البيت المهجور !

◆ **وكان** يدرك ان فى انتظاره عند عودته الى فرنسا ديونا طائلة ، ودائنين ملحاحين ، وقضايا واشكالات ، وعملا لا نهاية له .. وخيل اليه انه قد يجد ملاذا من كل هذا فى البيت الذى كان يشيده ، ولكنه حين بلغه ألفى البنائين والعمال قد هجروه ، تاركين جدرانا قائمة بلا سقف !.. وعاد يجمعهم ويسوقهم الى العمل سوقا .. وقبل ان تفرغ عملية بناء السقف ، كان قد انتقل الى البيت ، ضاربا عرض الحائط بنصائح الاطباء الذين حذروه من الاقامة فى بيت حديث البناء قبل مضى وقت كاف لتتسرب الرطوبة منه ..

وفى صبيحة احد الايام ، استيقظ على صوت قاصف فاسرع يستجلى الامر ، واذا بالسياج المحيط بارضه وداره قد انهار .. واعاد بناءه مرة اخرى .. ولكنه انهار ثانية ، اذ كانت الارض لينة لا تلبث ان تتخلى من تحته .. واخذت الصحف

والمجالس تتندر ببلزاك وتنسج النكات عن بيته .. حتى انطوى على نفسه ، واعتزل المجتمع فى داره ، ولم يعد يدعو احدا من اصدقائه .. ولكن المحضرين كانوا لا يتورعون عن زيارته دون دعوة ، فكان اذا احس بمقدمهم جمع تحفه ونفائسه واسرع يهربها الى «الكوخ» الذى كان السبب الاول فى اقامته فى تلك المنطقة ، والذى سجله باسم عشيقته الكونتيسه جويدوبونى فيسكونتى .. حتى اذا انصرفوا ، اعادها الى اماكنها !

ولكن احد دائنيه لم يلبث ان فطن الى حيلته فاثارها فضيحة فى باريس ، واستصدر حجزا لا على بلزاك ، بل على الكونت المسكين البرىء الغافل .. زوج عشيقته ، متهما اياه بالتواطؤ مع بلزاك ومساعدته على تهريب مقتنياته !

وكانت هذه نهاية احلام بلزاك .. اذ كان «البيت المتواضع» قد كلفه حوالى مائة ألف فرنك ضاعت هباء .. وكانت الكونتة قد سئمته وضاقت بارتباكاته المالية ..

ومرة اخرى ، وجد نفسه يبحث عن مأوى فى باريس ، حتى عثر على دار فى شارع «دوباسى» هى الوحيدة ـ من بين جميع الدور التى سكنها ـ القائمة حتى الان ..

بشرى للعاشق المحروم !

◆ **وكان** قد بلغ الثانية والاربعين .. وانتج مائة كتاب تضمنت حوالى الفى شخصية من ابتداع ذهنه القلق الذى كان لا يهدأ ، وانشأ عالما آخر من خلق خياله .. ولكن العالم الحقيقى الذى كان يعيش فيه لم يجزه ما يقابل ذلك .. فاذا هو فى هذه السن افقر مما كان فى اى يوم مضى !

وكاد ييأس من امره ، لولا ان تلقى رسالة فى الخامس من يناير سنة ١٨٤٢ خفق لها قلبه .. كانت من مدام دوهانسكا ، تنعى اليه فيها زوجها .. وهكذا آلت الى المرأة التى عاهدها على حب خالد ما دامت حياتهما ، ثروة تقدر

بالملايين .. واوحى اليه خياله بانه يقف على اعـتاب حياة جديدة .. سعيدة .. هادئة .. آمنة .. لا تطارده فيها المتاعـــب !

وتتابعت بينهما الرسائل بالسرعة التى كانت تتتابع بها اوهامه وتصوراته .. فاقترح على حبيبته ان تعجل بالبحث عن زوج لابنتها حتى يفرغا الى تحقيق امانيهما ، ويرتشفا السعادة معا ، وليس بينهما حائل او عذول .. ولقد اعدمت مدام دوهانسكا جميع هذه الرسائل ، فلا نستطيع ان نعرف تماما ما كانت تتضمنه ، ولكن الاحداث تدل على انها رفضت نصيحته هذه فى حزم ..

وكان من المؤلم أن نرى نابغة من اعظم العباقرة يحنـى رأسه سبع سنوات ليقبل حذاء امرأة ويتمرغ تحت قدميها .. فمع ان الدلائل كلها تشهد بان مدام دوهانسكا كانت تقدر بلزاك وتشتهيه ، الا ان العصبية والارستقراطية وغريزة الانوثة ذاتها كانت تلهمها أن تمنيه ثم تصده ، وأن لا تسلم نفسها اليه نهائيا الا بعد ان ترهق اعصابه ومشاعره وصبره ..



ثم ان حبها الاكبر ، بل حبها الحقيقى كان لابنتها اولا .. وكان بلزاك بعيدا عنهـا ــ فى باريس ــ فكانت فى امان من أن تتأثر بالحاحه الشخصى .. وكان اقاربها قد كشفوا علاقتها العاطفية به ، فوجدوا جهودهم حتـــى لا تــؤول اراضى

«فيرشوفينا» وعقاراتها والملايين الموروثة الى الكاتب الفرنسى المغامر .. بل ان احد اقاربها تقدم للقضاء واستطاع ان يحصل على حكم يقيد حريتها فى التصرف ، فاضطرت الى الرحيل الى «سانت بيترسبورج» لترفع الامر الى المحكمة العليا ، ثم الى القيصر ، حتى تلغى هذا الحكم ..

مراوغة الارملة الماكرة !

◆ ولكن بلزاك لم يكن فى حال تجعله يقبل صدها .. فراح يلاحقها برسائله ، يؤكد لها حبه ، ويغرقها بفيض من العهود والتأكيدات ليطمئن مخاوفها .. وانقضى صيف وتبعه خريف ثم تلاهما شتاء فربيع .. ودارت السنة وعاد الصيف من جديد ، وبلزاك ماض فى الحاحه ، وهى ماضية فى اعراضها .. واخيرا ، فى يوليو سنة ١٨٤٣ وصلته دعوة منها كى يزورها فى سانت بيتر سبورج ، فارتحل اليها من فوره ، وهبط على الدار التى كانت مدام دوهانسكا تقيم فيها ، وقد انقضت عشر سنوات كاملة على لقائهما الاول !

وبهره الغنى والترف اللذين كانت تعيش فيهما .. وكان قد ازداد بدانة – الى حد ما – ووخط فوديه الشيب .. ولكن الاعوام الثمانية التى مرت منذ لقائهما الاخير كانت قد غيرت كثيرا من مدام دوهانسكا .. ومع ذلك فقد بدت له اكثر فتنة واصغر عمرا .. وكأنها لم تلد سبعة اولاد !

وراح يلح عليها فى ان تتزوج منه ، ولكنها دأبت على الارجاء والتسويف ، دون ان تقطع بالرفض ، متعللة بان عليها ان تصبر حتى تعثر على الزوج الصالح لابنتها ..

وعاد الى باريس فى شهر نوفمبر لينغمس فى العمل من جديد ، فقد الفى نفسه مرة اخرى على شفا الانهيار المالى ، فراح يقوم حاله بليال طوال من السهر والعمل المرهق .. وكان سوء حظه مبعث حظ لهواة الادب ، اذ عاد الى الانتاج الروائى ، والى اتمام «الكوميديا الانسانية» ، والى مواصلة سلسلة «الفلاحون»

ولاح له قبس من الامل يوم اعلنت اليه مدام دوهانسكا انها وجدت لابنتها خطيبا من الشبان النبلاء والاثرياء يدعى «جورج منيشك» وانها اعتزمت ان تقضى الشتاء التالى مع الخطيبين فى «درسدن» ، فراح يلاحقها بالرجاء كى تسمح له بان يلقاها هناك .. ولكنها ظلت تضن عليه باللقاء حتى ربيع سنة ١٨٤٥ .. فلما تلقى منها الاذن المنشود اخيرا ، القى بكل اعماله جانبا، واسرع الى درسدن ..

يبتاع قصرا من اجلها !

وهناك استطاع ان يكسب ود الخطيبين ، وان يلازم الاسرة .. وظلت مدام دوهانسكا تأبى الزواج ، وان قبلت ان تربط حياتها بحياته لعام او اثنين دون التزام او قيد ..

وانصرف بلزاك منذ عودته الى باريس ، الى جمع اثمن التحف واندرها ، ليجمل بها البيت الذى اخذ يعده ليستقبل فيه زوجته المقبلة .. ووقع اختياره فى خريف سنة ١٨٤٦ على قصر «بوجون» فى شارع «فورتينيه» ليكون هذا البيت المنشود .. فحرص على ان يسجله باسم «مدام دوهانسكا» حتى لا تمتد اليه ايدى الدائنين ، وراح ينفق بسخاء ، كلما توفر لديه المال ، حتى احاله الى متحف رائع .. ولقد زاره الشاعر الالمانى الخالد «جوته» فى ذلك البيت ، فخيل اليه ان زميله الفرنسى قد جمع ثروة تقدر بالملايين !

وفى سبتمبر سنة ١٨٤٦ رحل بلزاك الى «فايسبادن» لينعم بقرب محبوبته ، بعد ان كان قد فرغ من اروع واعظم انتاجه ، وهما روايتا : «ابن العم بون» و «ابنة العم بيت» .. فكانتا الفاصل فى حياته الادبية ..

وفى ذلك الخريف ، تداعت آخر الحجج التى كانت مدام دوهانسكا تتشبث بها لارجاء الزواج .. اذ تم عقد قران ابنتها «آن» على «كونت منيشك» .. وظن «بلزاك» ان الظروف

بدورها تساعده على اقناع حبيبته بالتخلى عن التسويف ، اذ ان الاسابيع التى كانا قد قضياها معا خلفت اثرا فى احشاء المرأة التى كانت مشرفة على عامها الخامس والاربعين ..

ولكن المرأة اصرت على ان ترافق ابنتها فى شهور زواجها الاولى ..

مصير غامض لابن بلزاك !

◆ وفى فبراير التالى اعتزمت مدام دوهانسكا ان تزور باريس .. وفى خلال اقامتها هناك اختفت الثمرة التى كانت قد نضجت فى احشائها ، فلا يدرى احد هل ولد الطفل وتخلصت منه امه ، ام انه ولد ميتا ..؟

ومرة اخرى ، اصرت على ان ترجىء عقد القران ، متعللة بأن لا بد لها من العودة الى روسيا لترتب شئونها !

واعتزم بلزاك ان يلحق بها بعد قليل ، ولكن صحته انهارت .. وللمرة الاولى فى حياته ، وجد نفسه لا يقوى على مواصلة العمل .. وما ان دبر احواله المالية ، حتى تحامل وانطلق الى «فيير شوفنيا» ، آملا ان يعود منها بعروسه الحبيبة .. ولم يشفق على نفسه فقطع الرحلة التى كانت تستغرق اسبوعين فى حوالى تسعة ايام ، وقد اتقدت لهفته لشعوره باقترابه من الهدف : الزوجة الحبيبة العريقة المحتد الواسعة الثراء !

ولاول مرة فى حياته ، لم يعد يفكر فى المال ، ولا فى العمل .. وراح ينعم بالحياة الخالية من المتاعب فى ضيافة مدام دوهانسكا .. لكنه فجأة ، وفى اقسى فترات الشتاء الروسى الجليدى – فى يناير سنة ١٨٤٨ – قرر العودة الى باريس ، فتركته مدام دوهانسكا يعود وحيدا .. ولعل الحياة الرغدة المرفهة التى كانت تحياها فى ضياعها جعلتها تخشى الحياة فى باريس وضجيجها الى جوار زوج متطرف فى اهوائه .. فى بذخه واسرافه ، وفى مغامراته ومقامراته بحظه !

غير انه عاد الى «فيرشوفنيا» فى اكتوبر سنة ١٨٤٨ .. وكانت لهفته قد فترت فى هذه المرة ، ولم يعد بلزاك الذى عهده فى نفسه .. كان نشاطه قد خبا ، وجسمه قد بدأ يستسلم لآثار الارهاق والانهاك .. وقد منى قلبه بضعف خطير جعله لا يكاد يبارح فراشه ..!

ومع انه ظل يتحدث فى حرارة عن حبيبته فى الخطابات التى كان يبعث بها الى اهله ، الا انه ولابد قد استشعر حوله فتورا وبرودا ، حتى لكأنه وسط قوم لا يرغبون فيه .. ولعل الوحشة التى تسربت الى نفسه بعثت لديه ذكرى صديقاته السابقات ، اللائى نسيهن فى غمرة انشغاله بمدام دوهانسكا .. فاذا هو يكتب الى «زولما كارو» والى «مدام ديلانوى»

الحلم .. يتحقــق !

◆ **واذا** كان بلزاك لم يدرك مدى سوء حاله الصحية ، الا ان اطباءه ادركوا ان لا شفاء له .. ولعلهـم صارحوا مدام دوهانسكا بذلك، فاطمأنت الى ان زواجهما لن يدوم طويلا، ومن ثم شاءت ان تنيله الامنية التى ظل يلح من اجلها سنين طويلة .. فلم يلبثا ان عقدا قرانهما فى ١٤ مارس سنة ١٨٥٠ فى كنيسة «سانت باربارا» بقرية «بيرديشف» باوكرانيا ، فى تكتم تــام ..

◆ ثم انطلقا فى رحلتهما .. الى باريس

وابى النحس الذى كان يلاحق بلزاك كى يتقاضاه ثمنا عن كل لمحة من السعادة ، ان يفارقه .. كان الرجل قد هيأ لوصول عروسه استقبالا رائعا ، شاعريا ، يرضى احلامه .. وكانت الظروف قد اخرتهما فى الطريق ، فلم يصلا الى قصر «بوجون» الا فى الهزيع الاخير من الليل .. واثلج صدر بلزاك أن الفى خادمه قد صدع بتعليماته ، فاذا الاضواء تملأ ارجاء البيت وتفيض منه ، واذا الزهور متناثرة حوله ، واذا الهدوء

الشامل يسيطر عليه .. وكان قد امر خادمه الامين «فرنسوا» بأن يصرف بقية الخدم ويبقى وحده ، فاذا ما وصلا الى الباب، فتحه واستقبلهما حاملا شمعدانا كبيرا ..

ولكن دقات جرس الباب لم تلق مجيبا .. واضطر بلزاك الى ان يبحث عمن يحطم له قفل الباب ، بينما كانت زوجته قابعة فى العربة تنتظر .. حتى اذا فتح الباب اخيرا ، وجد بلزاك مشهدا «دراميا» اروع من كل ما يوحى به الخيال .. كان خادمه فى احدى الحجرات صريع نوبة جنون حادة شاء لها القدر ان تتولاه فى نفس اللحظة التى وصل فيها مخدومه وعروســه !

خاتمة المطـــاف

◆ **كان** القدر حفيا ببلزاك حتى النهاية .. كانت احلى واعز امنيتين لديه هما : الشهرة ، وارضاء شوقه الى الانتماءللطبقة الارستقراطية .. وقد حظى بالاثنتين فعلا ــ او شكلا ، لأن احلامه كانت دواما تذهب به الى ابعد مما كان ينال ، وتضيف كل يوم جديدا الى ما كان يرجو !.. على انه ــ على أي الاحوال ــ نال فى النهاية البيت السعيد الذى كان يرجو ان يقضى فيه «الخمس والعشرين» سنة الاخيرة من عمره .. والذى كان يأمل ان يفرغ بين جدرانه الى اتمام «الكوميديا الانسانية» التي كان قد عقد عزمه على ان يصدر منها خمسين مجلدا ــ فوق ما سبق اعداده ــ لم يكن قد كتب منها حرفا واحدا ، حتى ذاك الحـين ..

ولكن ضوء عينيه اخذ يخبو سراعا ، حتى لم يعد يقوى على القراءة والكتابة .. ولم يستمتع بالكتب الانيقة التى حشد بها مكتبة داره الجديدة .. ولم يرض غروره فيـدعو الى «الصالون» الذهبى الفخم ، علية المجتمع الباريسى .. فقد حذره الاطباء من ابسط الحركات ، بل من مجرد الاسراف فى الكلام !

ولم تبد زوجته كثير اهتمام به او قلق او عناية ، بل كانت منصرفة الى اناقتها ، وجواهرها ، وراحة بالها .. بينما كان هو يرقد وحيدا فى الدار الكبيرة ، تتسلل امه الى مخدعه بين آن وآخر كالطيف لترعاه ..

وكانت النهاية تقترب حثيثا ، وقد بدت نذرها واضحة .. ولكنه ، دون الخلق اجمعين ، ابى أن يسلم بذلك .. الا حين دهمته ، فى الساعة العاشرة والنصف من مساء ١٧ اغسطس سنة ١٨٥٠ .. وكانت امه هى الشخص الوحيد الذى وقف الى جواره ، ورافقه فى لحظاته الاخيرة ، وأما زوجتـــه فكانت تنعم بدفء مخدعها الوثير !

وشيعت جنازته فى الثانى والعشرين من الشهر .. وكأنما كانت الطبيعة اوفى من الحبيبة ، فاذا بها ترسل دافقا مـن امطارها تبكيه .. وفى مقبرة الاب «لاشيز» - التى كان بلزاك يرتاح الى التردد عليها فى حياته - رقد الكاتب العظيم .. فكانت المأوى الوحيد الذى لم ينبذه .. وكان يقول عنها فى حياته «انها المكان الاوحد الذى لا يطاردنى فيه الدائنون» !

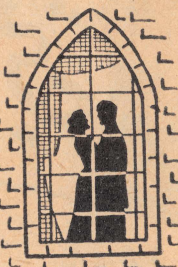


انتظر قريبا : أروع المسرحيات الغنائية فى كتاب

الاوبرات العالمية

عايدة ـ كارمن ـ سالومى ـ مينون ـ تاييس ـ توسكا ـ فاوست ـ أرفيو وايريديس ـ حلاق أشبيلية ـ لوتشيا دى لا ميرمور ـ مدام بترفلاى ـ فيديليو ـ لاترافياتا ـ التروفاتورى ...

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها اديب من اسرته وذوى قرباه هو «اليون دوديه»

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب «اعترافات جان جاك روسو» ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان أول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

وفى الاعداد الستة الماضية من كتابى قدمت لك الفصول الاولى من الكتاب الممتع الذى أصدره الاديب العالمى «أندريه موروا» منذ أسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة «جورج صاند»، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيلل .. دزرائيل .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم أقدم لك الفصل السابع من هذا الكتاب الشائق الذى سوف نتابع فصوله التالية فى اعداد كتابى القادمة باذن الله

خلاصة ما نشر

◆ انحدرت جورج صاند من سلالة عجيبة ، كان بين افرادها الملوك ، والقواد العظام ، والراهبات الذائعات الصيت ، والممثلات الشهيرات .. الخ وكان لكل نساء الاسرة أبناء وعشاق ، وكن مولعات بالابناء أكثر من ولعهن بالعشاق ! .. وتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فى العائلة بغير حساب ، لكن آباءهم كانوا يعترفون بهم ، فينشأوا فى ترف ورفاهية ، كأبناء الملوك !

وعن هذه السلالة العجيبة ورثت جورج صاند تحديها الجرىء للحياة ، وتعلقها بالارضيات ، وشراهتها الجنسية .. حتى ليمكن القول بحق ان تاريخ اسرتها فيه الكثير من عناصر قصص الف ليلة وليلة !

وكان أبوها - موريس دوبان - ضابط أركان حرب فى الجيش الفرنسى، فالتقى أثناء الحملة الايطالية بحسناء فاتنة الطرف ضاحكة السن تدعى صوفى ديلابورد - وكانت عشيقة قائده ! - وقد كتبت جورج صاند فيما بعد تصفها بقولها : «كانت امى من النوريات الفجر ، سليلة جنس منحط متشرد .. وقد كانت - فى فترة من حياتها - راقصة ، أو بالاحرى شيئا احط من راقصة ، فى ملهى من أقذر ملاهى باريس سمعة !.. حتى قيضت لها الاقدار رجلا موسرا أنقذها من هذا الوحل ، ولكن ليفرض عليها حياة أكثر وحلا ! وحين التقى أبى بها كانت فى الثلاثين ، تعيش فى دوامة من الفوضى الضارية .. لكنه كان ذا قلب كبير ، وقد ادرك أن الحسناء التعسة ما تزال قديرة على أن تحب ، وتهب قلبها مخلصا لمن تحب»

لكن موريس اشفق من مصارحة أمه - الوقورة المتزمتة - بحبه لتلك المرأة ذات العفة الجريحة ، وبتفكيره فى الزواج منها . فلبث يرجىء «الازمة» حتى حملت صوفى منه ، فاضطرا الى عقد زواجهما سرا فى ١٦ ابريل سنة ١٨٠٤ .. وفى مساء أول يوليه من نفس العام وضعت صوفى مولودتها «أورور» التى سنرى نجمها يلمع فى التاريخ باسم «جورج صاند» !

بين بيت جـــدتها .. والدير !

◆ وحين بلغت «أورور» عامها الرابع فقدت أباها ، على أثر سقوطه من على ظهر جواده ، وتزايد النفور بين أمها وجدتها - وكانت الاخيرة قد عارضت فى زواج الاولى من ابنها الراحل - فاضطرت الام الى الرحيل الى باريس ، تاركة طفلتها فى كنف جدتها الارستقراطية الثرية ، كى لا تحرمها من هذا الترف ! وجلبت لها الجدة من علمها الموسيقى ، واللغة اللاتينية ، والعلوم الطبيعية

.. لقرأت الصبية «الياذة» هوميروس وهى فى هذه السن الباكرة !.. لكن الجدة احطأت ذات يوم فصارحت حفيدتها بماضى امها الملوث ، فاحدث ذلك فى نفسية اورور ازمة عنيفة جعلتها ترفع منذ ذلك اليوم راية العصيان والتمرد .. حتى لم تجد الجدة بدا آخر الامر من ادخالها احد اديرة باريس كى تتم علومها بين جدرانها !

لكن حرص العجوز على الاطمئنان على مستقبل حفيدتها ، قبل موتها، جعلها تخرجها من الدير كى تعدها للزواج .. غير ان منية الاولى حانت قبل امنيتها ، وكانت اورور ما تزال فى السابعة عشرة ، فاخذتها امها لتعيش معها فى باريس .. لكن جنون الام المتزايد كاد يفرض على المسكينة زواجا اجباريا ، فأوشك الكمد أن يقتلها .. بحيث اضطرت أمها الى أخـذها لتقضى أياما فى ضيعة اسرة من اصدقاء زوجها القدامى ، بغية تبديل الهواء ..

زواج .. وخيبة امل !

◆ وعن طريق هذه الاسرة تعرفت اورور الى الضابط الشاب «كازيمير دوديفان» ، فلما فاتحها فى الزواج قبلته مرحبة .. ولم تلبث ان زفت اليه .. غير انها سرعان ما تبينت - ولاسيما بعد انقضاء النشوة الاولى وبعد ان رزقت بطفلها الاول «موريس» - ان بين طباعها وطباع زوجها تنافرا كبيرا ، فبقدر ما كانت هى تتذوق الادب والفن والموسيقى ، كان هو يجهل هذه كلها ولا يعبأ بغير ما يشغل الرجال التافهين .. وحتى المتعة الجنسية كان يشوبها التنافر أيضا بين شهوانية الزوج ، وبرود الزوجة ! كان هو ينشد فيها المرأة ، وهى تنشد فيه العاشق «الروحى» الذى يحقق لها احلام صباها .. بالحب !

حب عـذرى

◆ وفى غمرة هذه العزلة النفسية الموحشة التى كانت تعانيهـا اورور ، التقت بالمحامى الشاب «اوريليان دى سيز» ، وكان مرهف الحس ، ذواقة للشعر ، فوقع من فوره اسير هواها .. لكنه كان عفيف النفس فلم يسألها اكثر من الصداقة الخالصة ، وان اعترفت هى لصديقاتها بانه لو طالبها بالمزيد لعجزت عن الضن عليـه بما يشتهى ، ولو أدى بها الامر الى التضحية بنفسها ، وباخلاصها لزوجها !

وكان اقصى ما ناله اوريليان منها ان ضمها الى صدره ، فى عناق عذرى .. وذات يوم فاجأهما الزوج فى موقف عاطفى مشابه ، لكنها اقنعته ببراءتها.. واستمرت على صلتها بفتى احلامها ، بعد ان جددا العهد بان يتبادلا الحب دون ان تشوبه صلة جسدية .. فقد كانا يؤمنان بامكان قيام صداقة طاهرة بين الزوجة الوفية ، و«صديق العائلة» !

وبالفعل التزم العاشقان ميثاقهما العذري - وان تحللت منه الزوجة فى احلامها ، حيث كانت تطلق العنان لرغباتها .. فتمنح نفسها له ! - ولكن بمرور الايام بدأ يدب فى خطابات الشاب اليها لون من الفتور ، والتراخى ، فادركت اورور استحالة ان تحتفظ امرأة برجل ، دون رباط من التجاوب الجسمانى . استحالة ان تكون معشوقة ، ولا تهب عاشقها جسدها !.. ولم تعد خطابات اوريليان المتباعدة تصلح ((خطا دفاعيا)) قويا لها ، يحميها من الاستجابة لمغازلات ((المعجبين)) الملتفين حولها !

وكان قد ظهر فى افق حياتها شاب عرفته فى بيت جدتها قبل ان تتزوج، يدعى ((ستيفان دى جراندسانى)) .. ووجدت فيه اورور اكثر من سبب يجذبها اليه : فهو اول من ايقظ فيها عواطف الانوثة فى صباها ، ايام ان كان يدرس الطب ويلقنها دروس التشريح فى غرفتها الخاصة .. وهو باحث مطلع يتجاوب ذهنه مع ذهنها .. وهو اخيرا مريض يستدر عطفها الفطرى على المرضى (اذ كان نصف مصدور ، ونصف مجنون !)

وصارت تراه كثيرا ، لاسيما فى فترة تغيب زوجها فى باريس . ثم لم يكد الزوج يعود حتى رحلت هى الى باريس ، وكان ستيفان قد سبقها اليها! وبدأت رائحة الفضيحة تفوح ، وكثرت الاقاويل عن علاقة مؤكدة بين الاثنين. وتميزت خطابات اورور الى زوجها فى تلك الفترة بالمغالاة العاطفية التى تنغمس فيها النساء الخاطئات نتيجة ((شعورهن بالاثم)) ! .. ثم حملت وولدت طفلة - سمتها سولانج - فى تاريخ لاحق بتسعة اشهر لفترة اقامتها فى باريس ! وصار مفهوما لاصدقاء ستيفان ان الطفلة طفلته .. أما الزوج المخدوع فقد اغرق أساه فى الخمر ، وازداد مذلة وتبلدا فى الذهن ، كما اكتشفت زوجته صلة آثمة بينه وبين مربية الطفلة ، ثم صلة ثانية مع خادمه لاحدى صديقات الاسـرة !

.. وعشيق جديد !

وذات يوم التقت أورور فى دار بعض الاصدقاء بفتى فى التاسعة عشرة يدعى ((جول صاندو)) ، كان يدرس القانون فى باريس وقد جاء ليقضى اجازته فى (نوهان) .. ووقع الشاب فى هواها ، واحبته هى بدورها حبا ملك عليها مشاعرها ، فمنحته نفسها !

وحين انتهت فترة العطلة ورحل العاشق الشاب الى باريس أحست أورور بفراغ ووحشة قاسيين ، وبدأت تداعب خيالها فكرة اللحاق به فى العاصمة !.. ثم قرنت الفكرة بالفعل فاعلنت زوجها بقرارها الحاسم الذى لا رجعة فيه : لقد اعتزمت ان تقضى نصف العام فقط فى نوهان .. ونصفه

الثانى فى باريس .. وبذلك تبقى على رباط الزوجية الزائف ، محافظة على المظاهر !

وحين حلت ساعة الرحيل المحتومة بكى الزوج كالطفـــل ٠٠ أما هى فكانت تحلم بباريس ، بالعودة الى أحضان فتاها الساحر «صاندو» .. انها ستبعث الى الحياة من جديد ، وستعيش فى الجو الذى طالما اشتاقت اليه : جو المجتمعات الباريسية والصالونات الادبية التى تسمو بالقيم الانسانية وتحلق بالذهن فى السماوات السابعة .. ستعيش فى باريس التى يعيش فيها «بلزاك» ويتنفس فيها «معبودها» هوجو !

وفى ٤ يناير سنة ١٨٣١ ـ وهى فى السابعة والعشرين ـ رحلت «مدام دوديفان» الى باريس .. الى الحياة البوهيمية الموعودة التى ستراها تخلع فيها شخصيتيها السابقتين : شخصية الفتاة «أورور دوبان» ، وشخصية الزوجة «مدام دوديفان» ، كى تتقمص شخصيتها الثالثة الخالدة . شخصية الاديبة والعاشقة والملهمة للعباقرة والعظماء : «جورج صاند» !

والآن تستطيع أن تتابع القراءة :

فراشة ٠٠ فى مدينة النور !

◆ باريس !

وكان « جول صاندو » فى انتظارها فى العاصمة ، وقـــد اشتعل شوقا ، وانفعالا ! ٠٠ وقادها الى مسكن مؤقت تقرر أن تقيم فيه فى شارع « السين » رقم ٣١ ٠٠ وسرعان ما جمع الاثنان حولهما صالونا مؤلفا من : طالب فى الحقوق ، وصحفى جمهورى ، وطالب طب من أصدقاء صاندو ، ثم آخرين ٠٠

وأحست أورور بالسعادة وسط هؤلاء الشبان الذين أحبوها جميعا ، حبا متفاوت الدرجات ٠٠ ولكى تكون حرة فى الذهاب الى حيث يروق لها ، واقتصادا فى نفقات الثياب، ارتدت أورور زى الرجال ٠٠ وكانت قد ألفت هذا الزى منذ كانت تخرج مع صديق أسرتها الشيخ «ديشارتر» للصيد فى غابات «نوهان» ٠٠ وأعانها على ارتداء هذا الزى الآن أن طراز ملابس الرجال الذى كان سائدا فى تلك الآونة كان يميل الى الطول والاتساع ٠٠ واتخذت أورور لنفسها سترة رمادية اللون ، وقبعة من

قبعات الرجال من نفس اللون ، فبدت أقرب فى مظهرها الى طالب يافع فى عامه الاول بالجامعة !

وكان المسكن الذى أقامت فيه مؤقتا يخص أخاها غير الشقيق « هيبوليت » ، وكان هذا يحضر الى باريس بين الحين والآخر فيحتاج الى مسكنه ، ومن ثم تعين عليها ان تبحث عن مسكن آخر ٠٠ وثمة مشكلة أخرى واجهتها هى ضرورة البحث عن مورد للمال تستعين به على نفقات معيشتها الى جانب الثلاثة آلاف فرنك التى تصلها من ضيعة نوهان كل شهر ٠٠ فلئن كان هذا المبلغ يكفيها للمسكن والملبس والطعام فمن أين لها ما تبتاع به الكتب وأثاث البيت ؟

المال ٠٠ المال !

واذن فقد وجب أن تجد موردا آخر للمال ٠٠ ولكن كيف ؟ ٠٠ هل تزين علب السعوط وتبيعها ؟ أو ترسم صورا للاشخاص مقابل خمسة عشر فرنكا للشخص ؟٠٠ أو تكتب ؟ ولم لا ؟٠٠ « كنت أعلم انى أستطيع أن أكتب ، بسهولة ، وسرعة، ولفترات طويلة دون أن يدركنى التعب ٠٠ وكنت أعلم أن الافكار الكامنة فى ذهنى تجد طريقها الى الحياة والارتباط ببعضها البعض بمجرد أن أضع القلم على الورق ٠٠ »

وكانت قد أحضرت معها قصة طويلة كتبتها فى « نوهان » وأطلقت عليها « المعشوقة » ، ولكن كيف يتاح لها أن تكسب عيشها من شىء لم يكن حتى ذلك الوقت أكثر من «تسلية» ؟٠٠ كيف تشق طريقها الى عالم الادب ؟

وكانت صديقة لها تدعى مدام دوفيرنيه قد أعطتها خطاب تقديم الى أديب من أقربائها كان اسمه « هنرى دى لاتوش » ـ وكان أبوه صديقا لوالد أورور « موريس دوبان » ـ فمضت أورور لتقابله فى مسكنه بحى « رصيف مالاكيه » ٠٠ ووجدت أمامها رجلا بدينا في الخامسة والاربعين ، ذا وجه ينم عن ذكاء

وقاد ، ومسلك دمث .. وكان يملك مجلة ساخرة اسمها « فيجارو » ، فعرض أن يسلك المرأة الشابة فى عداد فريق « مساعدى المحررين » بمجلته ـ وهم الذين حلا له أن يطلق عليهم « النسور الصغيرة التى بدأت تنبت لها أجنحة ! »

وكانت المجلة تحرر فى منزل صاحبها ، الى جوار المدفأة ، حيث كان كل من محرريها يجلس الى منضدة صغيرة . واحتلت أورور مكانا لها بالقرب من النار ، وحرصت على أن لا تصيب سجادة صاحب الدار البيضاء النظيفة بأى اتساخ . وكان الرجل ولوعا بالتوجيه والنقد وابداء الاقتراحات ، فكان يقترح الموضوعات على نسوره ، ويوزع عليهم معها قصاصات من الورق يكون قد قصها الى الحجم المطلوب المناسب للغرض ..

وكانت هذه فرصة تمرين رائعة للاديبة الحسناء .. وكان المكتب يضج أحيانا بالاحاديث والضحكات ، فقد كان « لاتوش » محدثا نابها ذا لهجة «أبوية» جذابة .. وكتبت المحررة الجديدة فى مذكراتها : « اعتدت أن أصغى الى ما يدور من الاحاديث بانتباه شديد ، فكان ذلك أمرا ممتعا للغاية بالنسبة لى .. ولم أنتج فى الكتابة شيئا له أدنى قيمة ، ومع ذلك فقد كان نصيبى فى نهاية الشهر اثنى عشر فرنكا وخمسين سنتيما ! »

تستتر وراء اسم عشيقها !

◆ **وكان** « جول الصغير » بدوره قد بدأ يظهر على المسرح الادبى .. وقد ترددت اورور فى البداية فى تقديمه الى « لاتوش » ، لعلمها باستغنائه عن محررين آخرين .. لكنها لم تكد تطمئن الى مكانتها فى المجلة حتى تذرعت بالشجاعة فقدمت الى رئيسها احد مقالات جول .. وراق المقال للرئيس ، فضم صاحبه الى قائمة المحررين .. ولم يمض زمن حتى قدم الشاب الى مجلة « ريفو دى بارى » مقالا ادبيا اشتركت معه اورور فى تحريره ـ وان اقتصر توقيعه على جول وحده ـ فأعجب به رئيس تحرير المجلة ـ دكتور فيرون ـ ايما

اعجاب .. وكتبت اليه اورور تقول : « لقد سررت جدا بهذا النبأ الذى بلغنى عن جول ، فهويثبت ان فيه بذرة النجاح . وقد قررت أن اتخذه معاونا لى فى عملى ، او اكون معاونة له فى عمله ــ ايا كان الوضع الذى تفضله ــ لكن المفروغ منه على أى حال انه سيمنحنى اسمه كى أستتر وراءه فى كتاباتى ، فلست ارغب فى الظهور باسمى الحقيقى فى المجال الادبى .. وفى مقابل ذلك سوف اقدم له المعونة التى فى وسعى كلما احتاج اليها .. »

.. ذلك أن أورور أدركت جيدا العقبات التى تحول دون تذييل مقالاتها باسمها الصريح ، سيما وان حماتها البارونة سألتها ــ بعد ان ابدت لها دهشتها من بقائها فى باريس تلك المدة الطويلة بمفردها دون صحبة زوجها كازيمير ! ــ سألتها عما اذا كانت تعتزم حقا ان تطبع كتبها ؟ فلما أجابتها بالايجاب ، اردفت : « لست امانع فى ذلك ، لكنى آمل على الاقل ان لا تضعى الاسم الذى احمله على اغلفة هذه الكتب ! » .. فطمأنتها اورور : « لن افعل شيئا من ذلك بالتأكيد يا سيدتى ، فلا تخشى من هذه الناحية .. »

العاشقة تنزل الى ميدان التأليف

◆ **وفى** ابريل سنة ١٨٣١ ، وفاء بوعدها لكازيمير ، عادت أورور الى (نوهان) .. فاستقبلت كما لوكانت عائدة من أبسط رحلة عادية ! .. ووجدت طفلتها المترعرعة فى نضارة يوم من ايام الربيع .. وكاد ابنها يخنقها بقبلاته ! اما زوجها فكان كعهدها به ، ذلك الثمل المتصايح بصوته المرتفع ..

واغتبطت أورور بتجديد صلتها بعالمها الصغير القديم ، لكنها كانت قد خلفت قلبها وراءها فى باريس .. فلم يحل شهر يوليو حتى أعجزها حنينها الى باريس عن اتمام المدة المتفق عليها فى نوهان ، فعادت الى باريس واتخذت فيها مسكنا مستقلا دون ان تستشير فى امر ذلك أحدا .. بل انها

ضربت عرض الحائط بمعارضة امها ، واختها ، واخيها ، الذين كانوا جميعا ضد الفكرة ، لكنها ألزمتهم من فورها حدودهم !

وكتب اخوها هيبوليت الى زوجها خطابا جاء فيه :

« باريس فى ٦ يولية سنة ١٨٣١

« لقد تلقيت منذ لحظات خطابا من اورور .. ان زوجتك تريد ان تكون لها الحرية الكاملة ، ولما كانت تفعل كل ما يروق لها ، دون أدنى قيد أو عائق ، فلست أدرى أى مسلك تنوى أنت ان تسلكه ؟ .. نصيحتى اليك ان تسلم بما لا مفر منه ، ولا تقلق . حسبك ان تصون لسانك وتعنى بمصالحك واولادك .. وهى قد وعدتنى ان تعود الى نوهان فى سبتمبر »

وقد وفت بكلمتها .. عادت فى سبتمبر الى نوهان ، لكنها جلبت عشيقها الصغير معها الى حيث اتخذ له مسكنا فى ضاحية «لاشاتر» القريبة .. وهكذا استمر العاشقان يعيشان كما كانا فى باريس . كانا يعملان معا وقتئذ فى كتابة رواية طويلة اطلقا عليها «روز وبلانش» ، بعد أن تعاقدا عليها سلفا مع ناشر باريسى يدعى «رينو» .. وكانت الرواية تدور حول ممثلة وراهبة ، وبرغم ركاكة وفجاجة حوادثها فقد كانت فيها جاذبية خاصة ، ولاسيما فى مجال وصف جمال الطبيعة فى جبال (البيرينيس) واقليم (الجيروند) .. كما كانت بين شخصياتها واحدة ذات سحر لا ينكر ، هى شخصية « الاخت أوليمب » ذات القلب الذهبى واللسان الساذج .. فضلا عما حفلت به القصة من مشاهد الحياة الواقعية ، وتصوير وصول الاسقف .. الخ — **وكان نصيب اورور من الكتاب هو الافضل ، وقد استمدت جانبا كبيرا من «جوه» من ذكرياتها عن مدة حياتها فى الدير ، واحاديث امها الخاصة معها ، ومشاعرها هى الخاصة اثناء رحلاتها .. فى حين اضاف صاندو من جانبه صفحات من الفجور الصارخ المكتوب بلهجة ساخرة (مثل ذكريات الخصى المحتال) .. فلما ظهر الكتاب**

صدم هذا اللون فيه مشاعر أم أورور « صوفى » ، برغم ماضيها كله وحياتها المتحررة !

وكتبت المؤلفة الى امها تقول فى الرد على انتقاداتها : «اننى احنى رأسى راضية امام انتقاداتك .. ومع ذلك فاذا لمست فى شخصية «الاخت اوليمب» شيئا من الخشونة العسكرية ، فالخطأ خطأها وليس خطأى .. فلقد عرفتها معرفة وثيقة ، وتستطيعين ان تصدقينى اذ اجزم لك بانها برغم كثرة الايمان المغلظة التى تقسمها ، كانت من انبل النساء وأطيبهن !.. ولقد ذكرت لك أن الكتاب ليس كله من مجهودى الخاص ، وانا غير راضية عن الكثير من مواضعه الهزلية — فقد ابقيت عليها برغمى ، نزولا على رغبة الناشر ومطالبه..»

وقد كان الناشر على حق ، من وجهة النظر التجارية ، كما ظهر من رواج هذه القصة ذات اللون الواقعى !.. وبمجرد الانتهاء منها بدأت أورور فى كتابة قصة جديدة ، ولكن بمفردها هذه المرة .. وحين عاد صاندو الى باريس بعد فترة اقامته فى (لاشاتر) لم تتبعه صاحبته فى الحال .. فلما لحقت به فى مسكنهما الباريسى المشترك بحى «رصيف سان ميشيل» ، فى ربيع سنة ١٨٣٢ ، كانت فى صحبتها طفلتها الناضرة « سولانج » ، وقصتها الجديدة « انديانا »

مولد جورج صاند !

◆ **وادهش** وصول «سولانج» اصدقاء امها من الشباب .. فهل من اللياقة ان تعيش طفلة فى الثالثة والنصف من عمرها فى جو متحرر كالذى كانت تحيا فيه اورور ؟

وكتبت الام الشابة الى صديقها الناشر اميل رينو تقول :

« نعم يا صديقى ، لقد احضرت معى سولانج كى تراك .. فلست اعرف فى حياتى كعزباء ما يلحق بالطفلة ادنى ضرر ، ولسوف أكيف أسلوب معيشتى بما يلائم وجودها . سوف نتناول طعامنا فى البيت كالمعتاد ، وسوف تنام هى على الكنبة التى فى مخدعنا – بعد ان نضع عليها حشية اضافية – ولما كانت هى ما تزال فى الثالثة والنصف فانك تستطيع ان تطمئن الى انها لن تدلى بتعليقات او ملاحظات ، او تسأل اسئلة محرجة ، او تنغمس فى ثرثرة غير مرغوب فيها !»

أما بصدد قصة أورور الجديدة « انديانا » فقد طالعها عشيقها بمزيد الاعجاب ، والدهشة ، بل والحيرة .. فقد كانت اجود ، واكثر جدية – حسب ذوقه الخاص – مما كان يتوقع ! وهنا واجهته مشكلة : فقد ابت عليه امانته ان يضع اسمه على عمل ادبى لم يشارك فيه بحرف !.. اى اسم مستعار تضعه المؤلفة اذن على كتابها ؟ وكانت الحروف الاولى من اسم عشيقها «ج. صاند» قد حظيت بشىء من الشهرة – وان تكن الشهرة السيئة – بعد نشر القصة الاولى (روز وبلانش) .. ومن هنا وصل الاثنان الى حل وسط : ان تحتفظ اورور باسم «صاند»، على ان تعدل الاسم الاول الى «جورج» – فقد كانت مصممة على اتخاذ اسم رجل !

ومن هنا ولدت «جورج صاند» !

ادباء الجيل يغمرونها باكاليل الغار !

◆ **وقرب** نهاية مايو ، ارسل اليها الناشر فى مسكنها اول نسخة اخرجتها المطبعة من روايتها «انديانا» .. وصادف ان كان رئيسها السابق الاديب «لاتوش» يزورها فى تلك الساعة فأهدته النسخة المذكورة .. وفى الصباح التالى استيقظت لتجد امامها كلمة قصيرة منه يقول فيها : «جورج .. لقد قضيت الليلة باكملها اطالع كتابك .. وانى يا ابنتى لفخور بك !»

اى انفعال ولدته فى نفسها هذه العبارة المخلصة التى تفيض اعجابا ، والصادرة من ناقد قاس حاد اللسان ؟ .. لقد صعد الاطراء لساعته الى رأسها ، فاثملها .. وسرعان ما رددت الصحف صداه .. بل ان اديب الجيل «بلزاك» كتب فى باب النقد الذى كان يحرره بعنوان «كاريكاتير» يقول : «هذا كتاب تقف فيه الحقيقة راسخة القدم فى مواجهة الغرائب والمبالغات المجوجة .. وليس فى الامكان ان تكتب قصة ببساطة اعظم او تتصور بروعة اجمل مما كتبت هذه القصة ، التى تزدحم فيها الحوادث بصورة اقرب الى الحياة منها الى الفن !.. وبالاختصار فان نجاح هده القصة مفروغ منه .. »

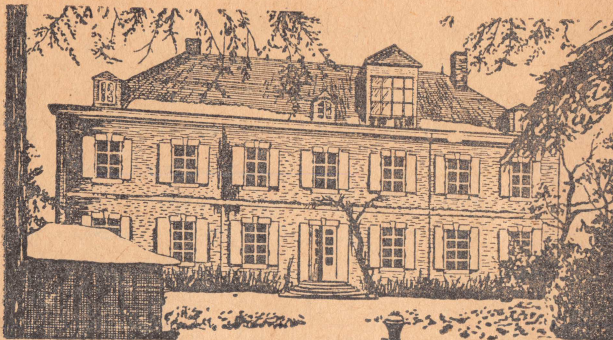
والاعجب من ذلك ان ناقد صحيفة «العالمين» - دو موند - المدعو «جوستاف بلانش» (أو جوستاف المرعب) الذى كان «بعبع» الادباء والمؤلفين ، والذى عامل «هوجو» نفسه باحتقار واضح ، وقسا على بلزاك فوصف انتاجه بانه «هذيان الافيون والروم والقهوة ! » .. هذا الناقد بعينه اثنى على الاديبة الناشئة ورفعها الى عنان السماء !

وعلى اثر ذلك تعاقد ناشر «انديانا» مع جورج صاند على رواية جديدة بعنوان (فالنتين) كانت قد حدثته عن فكرتها، ودفع لها من اجرها مقدما الفا وخمسمائة فرنك .. وهكذا وجدت جورج نفسها فجأة .. غنية ومشهورة !

تعب كلها الحياة !

◆ **نوهان** ، فى صيف ١٨٣٢

بعد بضعة اشهر من التحرر والاستقلال عادت اورور الى موطن طفولتها وقد انعقد تاج الشهرة فوق جبينها .. ان الاحداث قد جاوزت اعظم احلامها واطماعها ، ومع ذلك فان طعم الحياة فى فمها مر مرارة العلقم !



منزل جورج صاند فى ضيعة (نوهان)

كان الواقع الموجع انها قد بدأت تضيق بعشيق لم يمنحها الشبع الجنسى ولا الفرح الغامر الذى ينبع من الاعجاب .. ومن ثم احست اذ فارقته بشعور من الارتياح .. افزعها ! انها قد فقدت ايمانها بحبه ، ولكن اى رجل لم يكن ليخيب املها ؟ ان العاشق المثالى فى نظرها لابد ان يكون مزيجا من آله وطاغية ، ومع ذلك فانها قد اختارت عشيقها ضعيفا وذا نزعة انسانية ، كى يتسنى لها ان تمارس متعتها الكبرى فى اخضاعه والسيطرة عليه ! لقد كانت «رجلا» فى اصرارها على حريتها ، وكانت «امرأة» فى حنينها الملتاع الى «بيت» تأوى اليه وحولها أطفالها !.. لقد طالما اشتاقت الى ان تهجر (نوهان) وتحيا حياة مستقلة ، فلما حرمت من البيت وشواغل البيت ، تبينت أن العاطفة وحدها ايا كانت حرارتها لا تستطيع ان تمنح شبعا دائما !

ومع ذلك ، فانها عادت فى اكتوبر سنة ١٨٣٢ الى باريس واستأنفت حياتها مع صاندو ، بعد ان ازالا الجفوة بينهما وتبادلا الصفح .. لكن السلام بينهما لم يعمر طويلا ، ففى كل يوم كان جو التوتر يتكاثف ويتلبد .. او كما وصفه جول

فيما بعد : «فى البداية كان ينشب كل حين شجار من حيث لا يدرى أحد ، ينتهى غالبـا بالدموع والقبـلات .. ولكن سرعان ما تغيرت طبيعة الشجار فصارت الكلمات الجارحة تخترق الهواء كالسهم لتصيب الطرف الآخر كالصاعقة ..!»

وكانت اورور ـ برغم جمودها وبطء انفعالها فى العادة ـ قديرة فى بعض الحالات على ان تنتابها نوبات غضب وانفجارات عنيفة مفاجئة .. ولئن كانت حتى الان قد اعتبرت عـدم الانفصال عن صاندو مسألة «شرف» .. الا انها كانت متى اتخذت قرارا ـ كما حدث فى اوائل يناير سنـة ١٨٣٣ ـ جعلت القطيعة كاملة ، كما كان يفعل اى «رجل» فى مكانها !

وهكذا كانت هى التى اخلت مسكن جول .. وكانت هى التى حصلت له على جواز السفر .. وهى التى حجزت له مقعدا فى العربة المسافرة الى ايطاليا .. وهى التى اقرضته نقودا ينفق منها على الرحلة .. فكان هو فى الواقع «المرأة» وهى الرجل !.. وقد لامها أصدقاؤهما العديدون على مسلكها، ولكن العلاقات البشرية مسألة شديدة التعقيد فى الواقع .. واغلب الظن ان المرأة قد تصرفت ذلك التصرف الخشـن مضطرة ، كي تضع حدا لعلاقة قديمة صارت عبئا ثقيلا على كاهلهـــا !

صديق جديد : «سانت بيف»

◆ **ان** مرور الزمن وحوادث الحياة تلقى عند اقدامنا بلا انقطاع بغرباء كثيرين ، بعضهم يستكين هكذا على شاطىء حياتنا ويبقى على الدوام بعد ان تحطمت سفينته .. فيأخذ الاصدقاء الجدد مكان الذين سحبهم الجزر من شاطئنا ..

وقد حل الآن دور الناقد «سانت بيف» كى يصير صديقا وناصحا لجورج صاند . كان هو وقتئذ ندا لها فى السن ، يناهز التاسعة والعشرين مثلها .. وكان قد ظفر

بالشهرة كناقد ادبى عرف بحدة احكامه وصرامتها ، ومنذ ظهرت «انديانا» وسانت بيف يرفع عقيرته باطراء موهبة مؤلفتها الغامضة النابهة .. وقد وصل ذلك لمسامعها ، فكتبت اليه تقول : «انك ينبغى ان تأتى وقتما يروق لك ، فلسوف اكون دائما فى البيت حين تحضر .. ومهما حدث ، فلا تكرهنى ، فانى جد حريصة وراغبة فى صداقتك ..»

وسرعان ما غدا سانت بيف مستشار «جورج صاند» الناصح ، سواء فى المسائل الادبية او العاطفية .. وكانت هى منهمكة وقتئذ فى كتابة رواية جديدة - خلال فترة شقائها بخيبة أملها فى عاشقها اليافع - فلما انتهت الرواية أطلقت عليها « ليليا » ، وقرأت جزءا منها على صديقها « سانت بيف » .. كانت القصة كلها تكاد تكون اعترافا طويلا بالعجز الجنسى ، وكأن المرأة قد وجدت راحة هستيرية من شقائها فى وصف خيبة املها فى الحب ، وتحليل اسباب هذه الخيبة !.. ومن فرط أساها وحيرتها ، ونزيف جراحها الحديثة ، كان عقلها يتأرجح كثيرا بين الانتحار ، بما انطوى عليه من رعب ورهبة .. وبين سكينة النفس الابدية بين جدران الدير !

وهكذا كانت جورج صاند فى صيف سنة ١٨٣٣ ، صورة من بطلة قصتها «ليليا» ، امرأة متعطشة للحب وجديرة بان تحب ، ولكن عاجزة مع ذلك عن تلك «المذلة» التى بغيرها لا يتحقق حب !

ملهمة الفريد دى موسيه

◆ **ولكن** ، برغم فراغ قلبها فى تلك الآونة ، مضت جورج فى عملها الادبى كالمعتاد ، وان بدت لها الحياة فاقدة المعنى .. وفى مستهل الربيع اقامت مجلة «دوموند» للادباء المساهمين

فى تحريرها حفلة عشاء فاخرة فى مطعم (لوانتييه) المشهور بشارع ريشليو رقم ١٠٤ .. ودعى الى هذه الحفلة جميع محررى المجلة وكتابها ، فتقدم ناقد المجلة الاول المشهور «جوستاف بلانش» الى جورج صاند يأخذ ذراعها ويقودها الى المائدة لتجلس بجانبه .. ووجدت جورج الى جوارها من الناحية الاخرى الشاعر الناشىء ألفريد دى موسيه .. كان موسيه يومئذ فى الثالثة والعشرين ـ يصغرها هى وسانت بيف بستة أعوام . وكان يرتدى سترة رسمية سوداء ذات ياقة من القطيفة تصل الى خصره ، وقبعة عالية تميل على احدى اذنيه ، وبنطلونا ضيقا سماوى اللون .. فكان منظره يوحى باناقة مجلوبة من الخارج ، غير باريسية !

وكانت الاوساط الادبية تلوك سيرة دى موسيه بالكثير من السوء . كان قد استهل حياته الادبية فى سنة ١٨٣٠ استهلالا لامعا ، لكن الشاب الجاحد سخر من شهرته ولم يبال بنصح زملائه . فانغمس ـ ببساطة ساذجة ـ فى الخمر والأفيون والعاهرات .. وعرف اللذات قبل أن يعرف الحب ، فلم يجد فيها السعادة المنشودة .. وبرغم انه كان يكمن فى الشاعر الشاب ـ الى جانب الماجن المتهتك قبل الاوان ـ جانب آخر رقيق القلب مرهف المشاعر .. برغم ذلك فان « المجون ليس هزلا خالصا » كما يقول المثل الفرنسى ، ومن ثم اصيبت اعصاب الفتى من جراء تهتكه بتلف ملموس ، واجدبت قريحته فى كثير من الاحيان .. والأهم من ذلك : فرغ جيبه !

لكن ما رأته منه جورج صاند فى سهرة العشاء المذكورة التى اقامتها مجلة « دوموند » لم يفصح عن كل ذلك ، وانما بدا لها الشاعر شابا لطيفا ، متألقا .. وضحكت الحسناء الصامتة ذات النظرة الشاردة من نكاته ودعاباته ، سيما وقد كانت متعطشة للضحك ، وبرغم انها لم تكن تحسن النكتة والدعابة فقد كانت تفهمهما وتقدرهما فى الاخرين ..



ألفريد دى موسيه

وتلا ذلك غزل « خفيف » .. وكان موسيه يحسن اضفاء الجاذبية على التفاهات التى تصحب مثل هذه المقدمات فى العادة .. **واستقبلته صاند فى بيتها فى زى جرئ خارج على كل عرف .. ارتدت له «جلبابا» فضفاضا من الحرير الاصفر ، وصندلا تركيا ، وخمارا اسبانيا! وقدمت له سجائر « مصرية » ليدخنها ، ثم جلست عند قدميه على وسادة من الحرير الشرقى ، تنفث الدخان من غليون يوغوسلافى طويل من خشب الكرز .. !**

وركع الشاعر بجوارها ، يربت على خفيها بحجة انه يفحص بأصابعه نقوشهما الشرقية البارزة .. لكن نغم حديثهما ظل ناعما خفيفا ، كخيال غريب الاطوار !

ثم .. فى يوم ٢٩ يولية حمل البريد الى صاند مفاتحة صريحة من ألفريد :

« عزيزتى جورج ..

عندى شىء سخيف ومضحك اود ان اقوله لك .. سوف تضحكين فى وجهى ، وتقولين انى فى كل ما تفوهت به لك حتى الآن كنت مجرد شخص يحسن الكلام .. وسوف تريننى طريق الباب ، وتعتقدين اننى كاذب .. لكنى فى الحقيقة : احبك !

لكنها ترددت .. ومن الجوهرى ايضاح ذلك ، **لان الكثيرين صوروا صاند فيما مضى فى صورة المراة الخطرة** ، فى صورة

النمرة التى تبحث دائما عن صيد جديد .. لكن الامر – ولا سيما فى هذه المرة بالذات – كان ابعد ما يكون عن الحقيقة . كانت قد احست متعة فى صحبة شـاعر توسمت فيه ذكاء ونبوغا ، لكن ما ترامى الى سمعها عن حياته الضارية الماجنة التى يحياها افزعها واثار مخاوفها .. لقد قال لها مرة : « انى احب كل النساء ، واحتقرهن جميعا ! » ، فى حين انها كانت تحلم بالحب الذى يطعن فى الصميم ويعيش امدا طـويلا .. قد يقال انها هى بدورها لم تكن مخلصة لعشاقها فى غرامياتها الماضية ، لكن عذرها ان تلك الخيانات كانت نتيجة اليأس وخيبة الامل ..

وادرك موسيه طبيعة مشاعرها ، فلمس وترها الحساس فى رسالة تالية :

« لقد كنت غبيا اذ اظهرت لك اكثر من ناحية واحدة من نفسى .. فانك جديرة بأن تحبى فقط من يعرف كيف يحب . اما انا فأعرف فقط كيف اتألم .. فوداعا يا جورج ، انى احبك كالطفـل ! »

كالطفل ! .. ترى هل عرف حين كتب هذه الكلمة انه قد وجد المفتاح الوحيد الذى يفتح مغاليق قلبها ؟ .. كالطفل !.. غمغمت لنفسها وهى تعصر الخطاب بين اناملها المرتجفة بفعل انفعال غامض : « انه يحبنى كالطفـل ! اواه يا الهى ، ماذا يقول ؟ وهل يقدر الالم الذى يسببه لى ؟ »

ورأته مرة اخرى .. فبكى .. واستسلمت !.. « لولا شبابك ، لولا دموعك التى حطمت مقاومتى وقهرتنى ، لبقينا حتى الان بمثابة اخ واخت .. »

ولم يلبث موسيه ان مضى ليعيش معها فى مسكنها بحى (كيه مالاكيه) .. فانها احست مرة اخرى بحاجتها الى حيـاة مستقرة ونظام متبادل . انها ينبغى ان تكون للرجل الذى

تحبه لا خليلة فحسب ، بل ومدبرة منزل ، وممرضة فى ايام المرض ، وقبل كل شىء .. اما !

لكن « المحظى » الجديد لم ينعم بمكانته الجديدة هذه حتى اثار الحادث انتقادات غاضبة فى مجتمعات الاصدقاء .. فان اعضاء الصالون الادبى الذى ينتمى اليه العاشقان ، وفى مقدمتهم الناقد جوستاف بلانش ، كانوا جميعا بمثابة كلاب مخلصة اعتادت ان تجلس عند قدمى صاند ، فما كان منهم الان الا ان اطلقوا عقائرهم بالنباح الصاخب احتجاجا على هذا الدخيل .. واردفوا حملتهم بالحجج التى تبررها ، قائلين ان هذه الصلة المكشوفة مع شاب دعى و « حمار » مغرور لابد ان تكون لها نتائج مدمرة لسمعة صاند الادبية ! .. لكن النتيجة المباشرة التى افضت اليها الحملة هى اقصاء قائدها المتزعم لها وهو الناقد « بلانش » ، الذى كان الشاعر المرهف الاحساس يستثقل ظله من البداية !

حملة ضد الادب المكشوف

◆ فى تلك الاونة ظهر كتاب صاند الاخير « ليليا » فى الاسواق .. وأهدت المؤلفة الى خليلها نسختين منه ، خطت على اولاهما « الى قنفدى الصغير الفريد » ، وعلى الثانية : « الى مسيو لو فيكونت الفريد دى موسيه ، مع خالص اجلال خادمته المخلصة جورج صاند »

واحدث الكتاب ضجة فى اوساط النقاد .. ووجد فيه المنافقون منهم ميدانا فسيحا يصولون فيه ويجولون ، فكتب احدهم يطالب باعطاء المؤلفة قطعة من الفحم المحمى تكفي « لتطهير الشفتين اللتين اطلقتا هذه الافكار المخزية المنطوية على العار ! » .. ثم مضى فى تعليقه : « عندما تفتح كتاب (ليليا) ، احرص على اغلاق باب حجرة مكتبك لئلا تصيب عدواه سواك ، واذا كانت لك ابنة واردت ان تحفظ عليها

براءتها ، فلترسلها لتلهو فى الحقول مع لداتها .. »

اما الناقد المطرود « بلانش » فبرغم ضغينته الشخصية ارسل الى كاتب المقال السالف يتحداه ان يبارزه لاهانته لجورج صاند .. وكتب هو فى صحيفة « دوموند » مقالا جريئا يفيض تقديرا لقصة ليليا ولمؤلفتها ، وقدحا فى المنافقين المرائين من النقاد والقراء .. وقد جاء فى مقاله : « **ان النساء سوف يضعن خطوطا بأقلامهن تحت الفقرات التى تصور ـ بالكلمات ـ الذكريات الخفية لماضى حياتهن ، والسجلات المطموسة لمآسيهن التى لم تنشر على الملأ .. ولسوف يتعرفن ، والدموع فى عيونهن والخفقات فى قلوبهن ، على المشاعر التى تزيح الستار عن نفسها على صفحات الكتاب .. بل انهن سوف يقفن مشدوهات لجراة هذا الاعتراف الكامل ، وستحمر وجوههن حياء اذ يرين اسرارهن قد كشف عنها النقاب .. لكنهن فى حرمات اذهانهن سيعترفن بأن « ليليا » ليست صحيفة اتهام بل صحيفة دفاع !** »

« ليليا » .. فى سطور

◆ و « **ليليا** » ، بطلة القصة التى اثارت كل تلك الضجة ، امراة تنكر الحب ! انها حسناء ، رائعة ، لكنها باردة كتمثال .. اسمعها تحدث نفسها : « كيف اتحرر من هذا الغلاف الرخامى الذى يقيدنى ويأسرنى كجثة فى تابوت ؟ » .. وقد احب ليليا شاعر شاب يدعى « ستينيو » حبا عنيفا ضاريا ، لكنه يحاول عبثا ان يحرك مشاعرها : « انها ليست مخلوقة بشرية كاملة التكوين ، وانما هى ظل ، حلم ، فكرة .. وحيث لا يوجد الحب لا توجد امراة .. »

ويسعى صفى ليليا وموضع سرها ، المدعو « ترينمور » ـ وهو مجرم سابق قضى أعواما فى السجون ـ كى تدع ستينيو يعيش ، ولا تنفخ فيه من انفاسها الثلجية الباردة ، وهو

الفتى اليافع ، فتتلف بذلك سعادته .. لكن ليليا لا تجد الشجاعة التى تقويها على نبذ عاشقها المتيم ، وانما هى تمضى فى مداعبته : « انى أحب ان أدللك ، وأحدق فى وجهك كما لو كنت طفلى .. ! »

لكن ليليا لا تلبث ان تضيق بهذا الحب « الاموى » ، فهى لا تتوق الى ان تحب كأم ، وانما كغانية .. مثل اختها « بولكيريا » ، التى هى نموذج للحب الجنسى العارم .. وتحاول ليليا التعسة ان تحذو حذو شقيقتها ، لكنها تصاب بخيبة امل رهيبة : **« ان حواسى قد اضعفها طول العهد بالتأملات الصوفية الصارمة ، ودمى قد أبطأت من دورته جلستى بلا حراك وأنا استذكر دروسى . لقد نسيت كيف اكون شابة ، والطبيعة نسيت ان توقظنى .. ان احلامى قد حلقت اكثر مما ينبغى فى أجواء السمو الروحى ، فلم اعد استطيع الهبوط الى المستوى الخشن للشهية الدنيوية المنبعثة عن اللحم والدم .. فكانت النتيجة طلاقا كاملا ـ لم أتنبه له فى حينه ـ بين الجسم والروح ! »**

ثم تبدأ بالنسبة لليليا « حياة التضحية وانكار الذات » ، اذ تقبل ان تمنح زوجها اللذات التى لا تحسها او تشارك فيها ! .. او على حد تعبيرها : « ان ما دفعنى الى حبه طيلة ذلك الوقت انما كان انفعال محموم تولانى نتيجة عدم حصولى على الشبع الذاتى ! .. كنت وانا معه احس جوعا غريبا لا يقوى عناق على اشباعه ، وكأن نارا لا تطفأ تحرقنى بلهيبها ، وما كانت قبلاته لتبدد ظمأى البتة .. كنت أسحقه بين ذراعى بقوة خارقة للبشر ، ثم اتداعى بجواره منهوكة يائسة . كانت الرغبة فى حالتى حرارة « روحية » تشل قوى الحواس قبل حتى أن تستيقظ أو نشوة متوحشة تستولى على عقلى وتتركز فيه .. فاذا دمى يظل باردا مثلوجا ، عاجزا ، تعسا ، بينما تفر ارادتى الى ابعاد سحيقة ! .. وحين يشبع

هو ، ويقنع ، ويرتوى ، ارقد هناك بلا حراك الى جـواره ، ضحية لرعب مفزع .. واقضى هكذا ساعات ، ارقبه وهو نائم ، وقد بدا جميلا فاتنا .. وكانت نبضات دمى المضطرب ترسل الحمرة الى وجهى ، ورجفة لا تحتمل تنفض اطرافى .. كان يبدو لى كأننى احس خلجات العاطفة الجسمانية ، والمطالب الآمرة المتزايدة للشهوة البدنية .. فكنت احس ميلا عنيفـا يغرينى بأن اوقظه ، واختطفه بين ذراعى ، واطالب بتجـديد ذلك العناق الذى لم اجن منه شبعا ولا ريا .. ولطالما قاومت ذلك الالحاح الكاذب الصادر عن آلامى ، وانا ادرك جيدا أن ليس فى طاقة هذه الآلام تهدئته ..

« واقبل الربيع بشذاه وسناه ، وشمسه الدافئة وهوائه المنعش ، فألقى بى فى هاوية العذاب مرة اخرى . احسست وخزات قلق جديد ، ورغبات غامضة عاجزة .. وبدا لى ان فى وسعى ان احب ، وان « احس » فى هذه المرة .. وصادفت شابا آخر اقوى واكثر عنفا و « حمى » من الاول ، فتـلاحقت دقات قلبى .. ولكن فى جميع هذه الحالات المتعاقبة المتقلبة من الرغبة والخوف ، لم تكن قوتى تعاودنى حتى استنفدها .. حلمت بعناق عاشق شيطانى مجهول ، واحسست بأنفاسه الساخنة على جسمى ، بل خيـل لى اننى املك ان اغرس اظافرى فى لحمه ، واشعر بحدة اسنانه الضارية .. واشتقت للمتعة ولو حلت على اللعنة الابدية بعد ذلك .. ولكن عندما اشرق ضياء النهار ، وجدنى محطمة من التعب ، واشـد شحوبا من طلائع الفجر .. فحاولت أن أخفف من كربى باطلاق صرخات الالم والغضب .. »

واذ أنهكتها السقطة الاولى ، وكان خيالها قد حلق بهـا الى آمال عالية مبالغ فيها ، لم تستشعر ليليا حبا لعاشقها الاول .. لكنها لم تستطع ان تبعد عن ذهنها شـوقها الى مشاركة الرجل تلك المتعة البدائية التى تنعم بها سـائر الزوجات ، فباتت هذه المشاركة شـغلها الشاغل ، وغايتها

الاولى ، وهدفها الاوحد ! .. واذ تركت اشواقها تطير بها نحو ارض الاحلام ، انتهت بأن تبعتها بخيالها ، وامسكتها من جناحيها ، طالبة منها ان لم يكن السعادة الباقية فعلى الاقل تلك العاطفة العابرة لبضعة ايام .. واسلمت نفسها لهذه الحياة الجديدة دون وازع أو وخزة ضمير ، كانت تخون بخيالها كل صباح الرجل الذى احبته فى اليوم السابق !

واذا كان « دون جوان » قد الف ان يتنقل من امراة الى اخرى لانه لم يجد السعادة فى صحبة اية واحدة من الالف امراة وثلاث .. فان ليليا تتنقل من رجل الى رجل لان احدا منهم لم يستطع ان يمنحها المتعة .. واذن فمأساتها هى مأساة دون جوان ، ولكن من وجهة نظر نسائية !

(اقرأ الفصل التالى فى كتابى القادم)

محتويات الكتاب

الموضوع — **صفحة**

استفتاء «الزوجة التى يفضلها الرجل»

◆ **نظرا لكثرة الردود التى وصلتنا من القراء الاعزاء ردا على هذا الاستفتاء الذى وعدنا بنشر نتيجته فى هذا العدد ، اضطررنا لتأجيل النتيجة الى العدد القادم باذن الله**

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية




فى العامين الماضيين - منذ أول مارس سنة ١٩٥٢ -
أتاح لك « كتابي » أن تقتنى فى بيتك مكتبة ممتعة
لروائع الكتب العالمية التى لاغنى عنها لإنسان مثقف

والآن ...

كتابي

يبدأ عامه الثالث بإذن الله فى أول مارس
القادم بعدد ممتاز يفوق جميع الأعداد الممتازة
السابقة فى مادته وطباعته ، وتحريره ومظهره ..
ويكون فاتحة لأعداد متوالية كلها ممتازة !
انها قفزة جديدة
يقفزها « كتابي » فى عيد مولده الثانى
ليقطع بها شوطا كبيرًا فى طريقه الى الكمال الذى تنشده له ..

ترقب عدد أول مارس

مطبوعات
كتابي
يصدرها حلمي مراد

كتابي يحرص على أن يرتفع بمستواه فى كل عدد عن سابقه ، ليواصل
خدمة الثقافة الرفيعة .. جنبًا إلى جنب مع ربيبته الجديدة :